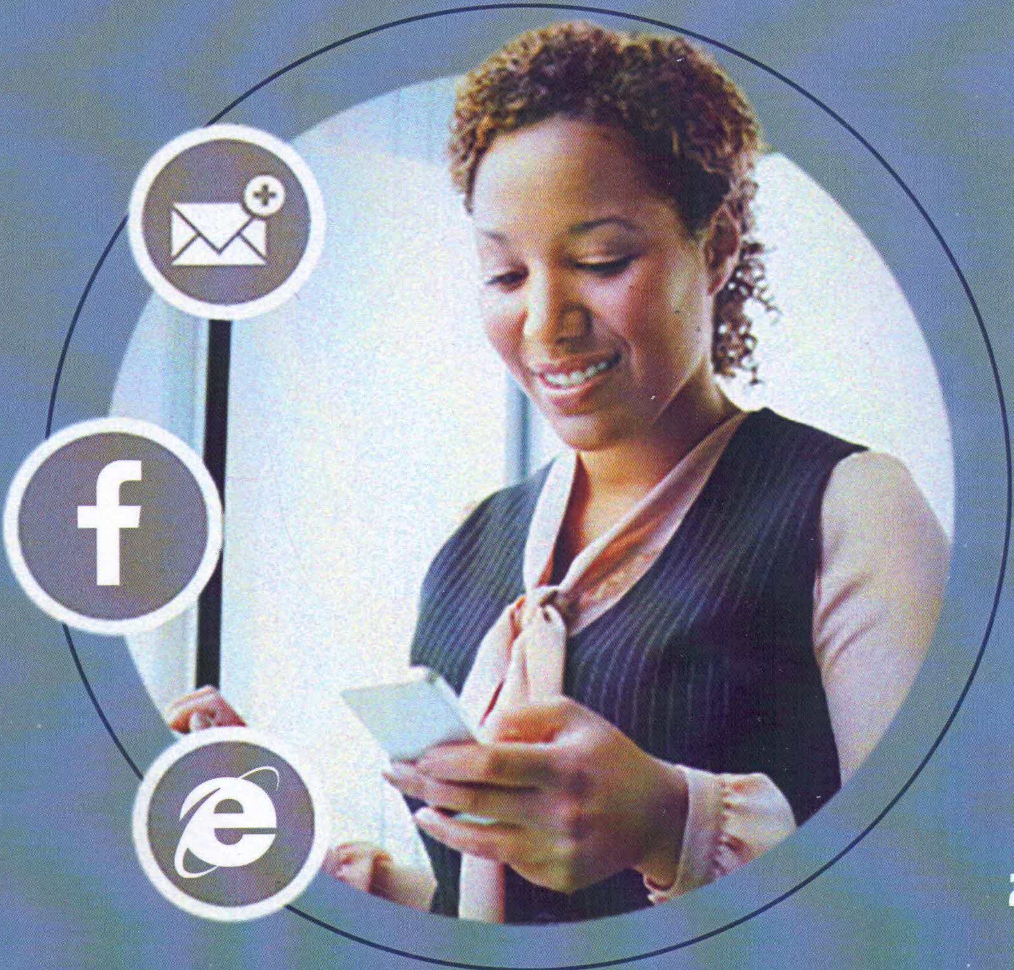
المركز القومي للترجمة

إينيكى باسكنز آن ويب

الأفريقيات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات

بحث في التكنولوجيا والنوع الاجتماعي والتمكين

ترجمة: عزة خليل



2707

قام الباحثون بمقابلات مع نساء من مختلف الطبقات الاجتماعية، والمستويات التعليمية، ومن الريف والحضر، يعملن في مختلف المجالات من الحرف اليدوية إلى تجارة الأسماك، وامتلاك وإدارة المشروعات التجارية المتوسطة والصغيرة، والمهنيات العاملات في مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات نفسه. واستخدموا في ذلك الأساليب الكيفية، وركزوا على أسلوب البحث بالمشاركة.
وأثار البحث سؤالاً آخر: كيف لا تؤدي التكنولوجيا كأصل، ستنال منها النساء القسط الأقل، نظرا لسياق عدم المساواة التقليدي، إلى تعميق عدم المساواة وليس العكس؟ وبدا واضحاً أن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لن تجدي لصالح النساء إذا تم التعامل معها كموضوع منفرد بحد ذاته، وليس في سياق واقع عدم المساواة الذي تعيشه النساء، وإذا لم يكن توفير فرص استخدامها مصحوباً بفهم عميق لرغباتهن، ويتم التمكين بواسطتهن وتعرفهن على القوة الداخلية الهائلة التي يمتلكنها.

تصميم الغلاف: هانى الشناوى

الأفريقيات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات

بحث فى التكنولوجيا والنوع الاجتماعى والتمكين

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2707
- الأفريقيات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات: بحث فى التكنولوجيا والنوع الاجتماعى والتمكين
- إينيكى باسكنز، وآن ويب
- عزة خليل
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة كتاب:
African Women and ICTS: investigating technology, gender and empowerment
Edited by: Ineke Buskens abd Anne Webb

African Women and ICTS was first published in English by Zed Books Ltd, London

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

الأفريقيات
وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات

(بحث فى التكنولوجيا والنوع الاجتماعى والتمكين)

تحرير : إينيكى باسكنز
آن ويب
ترجمة : عـزة خـليـل



2016

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الأفريقيات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات
:بحث في التكنولوجيا والنوع الاجتماعي والتمكين/ تحرير: إينيكي باسكنز ، آن ويب. ترجمة: عزة خليل
القاهرة – المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦
٣٦٨ ص؛ ٢٤سم
١– الاتصالات الالكترونية
٢– نظرية المعلومات
(أ) باسكنز ، اينيكي (محرر)
(ب) ويب، آن (محرر مشارك)
(جـ) خليل،عزه (مترجم)
(د) العنوان ٦٢١,٣٨٠٤١

رقم الإيداع ٢٠١٤/٢٦٥٤٦
الترقيم الدولي: I.S.B.N.978-977-92-0050-7
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

المحتويات

(الباب الثالث)

استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات: هل يجعل الحياة أفضل؟

(الباب الرابع)

خلق واقع جديد

شكر وتقدير

نود فى المقام الأول، توجيه الشكر، إلى هيلويسى إمدون، مدير برنامج أكاكيا (Acacia) فى مركز بحوث التنمية الدولية (International Development Research Centre)، الذى قدر أهمية تناول موضوع البحث فى علاقة النساء وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. كما نود توجيه الشكر إلى جينى رادلوف، وشات جارسيا، وإنريتى أسترهويسن، من مؤسسة الاتصالات المتقدمة (Association for Progressive Communications)، الذين تولوا، إلى جانب هيلويسى، الصياغة المفاهيمية لفكرة شبكة بحوث النوع الاجتماعى وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى أفريقيا. ونشكر مركز بحوث التنمية الدولية أيضًا على تمويلنا والإيمان بنا. وكم كانت راماتا ثيونى وإديث أديرا على نحو خاص، مصدرًا للإلهام والدعم لنا.

وشرفنا بالعمل مع النساء اللاتى شاركن معنا باعتبارهن مبحوثات، وأسهمن فى تكوين وجهة نظرنا حول رحلة النساء نحو التمكين، والأدوار التى يمكن أن تلعبها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى هذا. وتركت مقابلاتنا مع النساء فى سياق البحث، تأثيرًا واضحًا فى إثرائه. كما نشكر المنظمات التى وفرت لنا قنوات الوصول إلى النساء اللاتى كنا فى حاجة إلى الحديث معهن.

وقد تستحيل الإشارة إلى جميع من قدموا لنا العون والرعاية سواء كأفراد أو شبكات. إلا أننا نود توجيه الشكر بشكل خاص إلى هيلينا بايلى، وليفيينى جيثينج، ولويس جيبس، وريتشارد جرانت، ونانسى هافكين، وجرانت مارينوس، وتومسين أو ريوردان،

ونيدهى تاندون، وفاطمة تميجردين، وتاجانا فاكوجا. ونعبر عن امتناننا لأسرتينا وأصدقائنا على صبرهم وتحملهم غيابنا. كان حبكم دعما لنا لنتقدم فى عملنا.

وتود كل منا توجيه الشكر إلى الأخرى، لإخلاصها لمهمتها ولمهمة زميلاتها، بينما نمضى بالعمل فى ظل توترات ونزاعات تنشأ لا محالة فى ظل أى مجموعة متنوعة من الناس. ولكن كان تمسكنا بالهدف الذى تتبناه كل منا، سببا فى قوتنا والتقائنا.

شبكة جريس

تصـــدير

لا يمكن إنكار مشاركة الأفريقيات فى ثورة المعلومات والاتصالات، ولا تنوع هذه المشاركة؛ فالتغيرات التى حققها استخدام تلك الأدوات ظاهرة فى كل مكان. وفوق هذا، ما زالت آفاق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واعدة بالكثير لتنمية وتمكين النساء. ورغم هذا، لم يستمع الناس بعد إلى رواية النساء لخبراتهن، وحول استخدامهن لتلك الأدوات: وهل تغيرت حياتهن للأحسن بسبب تلك التكنولوجيا الجديدة؟ وإذا كان الأمر كذلك، كيف حدث هذا التغيير؟ وهل توجد مجالات فى ثورة المعلومات والاتصالات تلك لم تشارك فيها النساء بسبب كونهن نساء، رغم قدرتهن على المشاركة، أو ضرورتها لهن؟ كيف يمكن دمج منظور النساء على اختلافاته، ووجهة نظرهن، وواقعهن، بالنسبة لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وإمكاناتها، فى سياسات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التى يتم تطويرها وتطبيقها حاليا فى أنحاء القارة؟

وانطلاقًا من هذه الأسئلة، اشترك برنامج أكاكيا فى مركز بحوث التنمية الدولية، الداعم لبحوث تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التنمية فى أفريقيا، مع مؤسسة الاتصالات التقدمية فى توجيه الدعوة عام ٢٠٠٤ من جوهانسبرج، بجنوب أفريقيا، إلى مجموعة أكاديميين وناشطين أفارقة معروفين باهتمامهم الكبير بالمشاركة فى تمكين النساء وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. فقد نما إدراك بالحاجة إلى سرد الأفريقيات لوجهات نظرهن، وإلى نقل باحثين أفارقة هذه المعرفة إلى العالم وعملهم على توصيلها. ومن هنا، نشأ التصور حول انطلاق شبكة بحثية من هذه مجموعة من الأشخاص، لتعمل على أرض الواقع كفريق. ولاقت الفكرة قبولاً، وخرجت شبكة "جريس" إلى الوجود. وبينما شجع فريق البحث كل باحث على اتباع بواعثه البحثية

الفردية، كما شجع الباحثين على تصميم مناهجهم وصياغة أسئلتهم البحثية الخاصة، فإن الأرضية المشتركة والتمسك بالهدف المشترك كانا متوفرين.

لقد تطورت الأفكار فى مجال دراسات التنمية، وتجاوزت الدراسات الحديثة فكرة تقديم تدخلات فى شكل البنية الأساسية الكفيلة بجذب المستفيدين المستهدفين وإحداث التغيير. وفى الحقيقة، أدى منهج تساقط الثمار - وهو الاعتماد على رفع الجوانب المتطورة من الاقتصاد، للجوانب التى ينقصها التطور - إلى مستويات أفدح من التفاوت فى الواقع. ورغم هذا، ما زالت مناهج معالجة التفاوتات بين الناس استناداً على فكرة الحقوق، تحظى بالاهتمام وتحقق تقدماً. كما تبدو طريقة التركيز على "فاعلية" (agency) تتشكل من المستفيدين المستهدفين أنفسهم، بغرض تحقيق التنمية والتمكين، المستخدمة حاليا، معقولة وفى وقتها المناسب. كما أصبح مطلوباً من أى تفكير إنمائى، البحث عن طريقة تضمن استفادة النساء من التنمية.

وقد تبنت مجموعة من الأكاديميات والناشطات من جوهانسبرج، هدف تمكين النساء، واجتمعن تحت اسم "معا" (together)، حول قناعة بضرورة استناد المعرفة التى ينتجنها، على السعى إلى فهم فاعليات النساء. واستلزم التركيز على الفاعلية فى كل الأحوال، أن تكون الباحثات قادرات على إدراك إمكانات المبحوثات، وإظهارها فى أفكارهن وكتابتهن. وأدى هذا إلى تأكيد مناهج البحوث الكيفية؛ أى الالتزام بالبحث والتعلم المتواصلين؛ وإعطاء ثقافة الاحترام والمشاركة والدعم المتبادل التقدير الواجب لها.

ورغم هذه الفكرة المقتضبة، ربما ما زال التحدى قائما، بل هو كذلك على الأرجح. ولكن بلا شك، فقد أدت هذه الفكرة المقتضبة ذاتها إلى نجاح "جريس" كشبكة بحث بارزة، تتواصل جهودها ليس فقط من خلال الإسهام فى الجدل حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التنمية من منظور نوعى فى أفريقيا، وفى الجنوب على نطاق أوسع، ولكن كان لها إسهامها أيضا فى مجموعة البحوث المتماسكة والمتواصلة حول القدرات فى مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التنمية والنوع الاجتماعى.

ونأمل أن يثرى البحث الذى بين أيديكم أفكاركم، ويثير تساؤلاتكم وتأملاتكم. ويصل مدى انتشار القضية الرئيسية فى هذا الكتاب، ووجهات النظر التى تم بحثها، والحقائق التى تم كشفها، إلى ما هو أبعد من أفريقيا، وأبعد من مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ولعل أى شخص مهموم بقضايا المساواة النوعية الاجتماعية والتمكين، أن يجد فى هذا الكتاب مادة ثرية للقراءة.

هيلويسى إمدون

أوتاوا، أكتوبر ٢٠٠٨

مقـــدمة

إينيكى باسكنز - آن ويب

والآن اجلس مستقيمًا فاردا ظهرك.

ارخِ كفيك فوق ركبتيك، واملأ المقعد فى جلستك.

خذ نفَسا عميقًا، وأغلق عينيك.

خذ نفسًا آخر، اسحب الهواء من أنفك، واتركه يخرج من فمك.

نفسًا آخر... استرخِ تمامًا.

لاحظ أفكارك، وعواطفك، وردود فعل جسدك، من الداخل.

لا تتخذ حكمًا، ولا تستنتج معنى، لاحظ فقط.

بينما أنت مستريح فى جلستك، لاحظ فقط.

ركز فيما أنت فى حاجة للتركيز فيه:

اذهب بتفكيرك إلى مبحوثاتك، اسمع أصواتهن، انظر فى وجوههن.

خذ نفسًا عميقًا، واسترخِ.

لا تنس أنك جالس هنا، مستريح فى جلستك.

ما أهم رسالة يرسلنها إليك؟

ماذا يقلن؟

خذ نفسًا عميقًا، استرخِ.

لديك كل المعرفة التى تحتاجها، إذ قمت بعملك، والآن فقط،

دعهن يتحدثن إلى كتابتك

دع الكلمات تتدفق، لا تقم بدور الرقيب عليها، لاحظ فقط.

إينيكى باسكنز

إنتاج معرفة عملية وظيفية لصالح التغيير

كان علينا فى البداية وضع أنفسنا على مسافة متساوية مع كل الأشياء، ولعل هذا النمط من التفكير لا يبدو متقدمًا من الناحية التكنولوجية، ولكن مع العلاقات التى تربط بين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتمكين النساء، والتمييز النوعى، وفرص الوصول المتاحة، وريادة المشروعات، والنشاط الدفاعى وإلى آخر ما يمكن إضافته من أبعاد متعددة، لم يكن هناك بد من ذلك. لقد أخذنا على عاتقنا مهمة كبيرة، بمحاولتنا الوصول لأفضل فهم حول كيفية تأثير تمكين النساء فى استخدامهن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتأثره بها، وما إذا كان يؤثر فيها ويتأثر بها أم لا أيضا. لقد اعتزمنا استكشاف الحواجز الهيكلية الخارجية التى تواجهها النساء، والعوامل الداخلية والمفاهيمية التى تعوقهن أيضا عن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لصالحهن، أو تمكنهن من ذلك، والإستراتيجية التى استخدمنها للتغلب على المعوقات (Buskens et al. 2004).

وشكلت الرؤى التى حصلناها من ذلك الاستكشاف محتوى هذا الكتاب. لقد جمع المؤلفون بين السعى إلى التعرف على موقع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى حياة الأفريقيات، اللاتى يخضن نضالاً يوميا لتحقيق قدر أكبر من الاستقلال والمساواة، من خلال تصوراتهن أنفسهن، وبين دراسة السياق الذى يسيِّد تركيز الانتباه على وعود تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حول التنمية، أكثر من الاهتمام بأشكال عدم المساواة الحالية المميزة ضد النساء.

خلال ثلاث سنوات، اتصل عمل ١٤ فريقًا بحثيا (شارك فيها نحو ٣٠ باحثًا وباحثةً) من ١٢دولة. وتم تعزيز عملية البحث هذه، بإجراء تدريبات شخصية وجلسات عمل كل عام، ومتابعة مستمرة لما يتم عمليا من مناقشات واستقصاء وأصداء المنعكسة وتعامل مع الموارد[١]. وأجرى الباحثون عملهم البحثى فى مناطقهم الجغرافية أو مجتمعاتهم المحلية أو أماكن عملهم باستخدام اللغة المحلية، وفى بعض الحالات كانوا أنفسهم من ضمن المبحوثات. وبحثوا القضايا التى وقع اختيارهم عليها استنادًا إلى خبرتهم الشخصية واهتماماتهم والتزامهم بإنصاف النساء والعدالة الاجتماعية، المتضمن فى الفكرة الأساسية لمشروع "جريس"[٢].

وكانت النتائج مثيرة للإعجاب، من وجهة نظرنا، نظرًا لما أثمرت عنه من معرفة وفهم عميقين لواقع النساء والمعانى التى يحملنها عن هذا الواقع. وفضلا عن ذلك كشفت النتائج عن إمكانات، إذا توفرت لها الإرادة السياسية لدى صانعى القرار، ستكون قادرة على مواجهة الوضع القائم على المستوى العالمى، الذى يشهد ضعف استفادة النساء، مقارنة بالرجال، من المعلومات المتوفرة بالمجتمع، وضعف مساهمتهن فيها أيضًا (Huyer et al. 2005). ويصبح الوضع إشكاليا أكثر، عند بحثنا فيما إذا كانت المجتمعات ككل تستفيد من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتستخدمها فى تحقيق مزيد من التنمية، وما إذا كانت الرؤية حول التنمية التى يسعى المجتمع إلى تحقيقها، تعكس مصالح وحاجات السكان وتفى بها بإنصاف، أم أنها تعكس ما يخص القابضين على مواقع السلطة.

وتطلب الكشف عن المضامين خلال عملية البحث، ثم فهم دلالاتها، أن نجعل أنفسنا على مسافة متساوية من الأشياء مرة أخرى أيضًا. وكررنا استخدام تمرين بيضة النعامة أكثر من مرة، كما كانت هناك تدريبات أخرى على ما ينعكس عن الذات(*). واستخدمنا فى البداية تقنيات البحث الكيفى، من أجل توفير بيانات أكثر عمقًا،

(*) فى الأصل: Selfreflection. (المترجمة).

وحتى نتمكن من كشف الأبعاد والجوانب المختلفة للظاهرة. واستندت تساؤلات البحث ومناهجه وتدريبه، وبرامج التوجيه الدائم والدعم المصاحبة له، على قواعد البحث النقدى الهادف إلى التحرر (Buskens 2002; Buskens and Earl 2008).

وحدد المؤلفون المناهج الواجب استخدامها مع كل حالة، استناداً إلى كونها الأكثر ملاءمة للتعرف على حياة وتفكير المبحوثات. وكان أسلوب تعاملهم منهجيا مع المبحوثات، قائماً على أنهن عناصر فاعلة فى تحديد واقعهن الخاص، أكثر من اعتبارهن ضحايا لوضعهن. ورغم أن هذا قد يبدو مناقضا لنقطة الحرص على الفهم الجيد لحياة النساء، وتحديد اتجاهات تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وفقًا لها، فإننا رغبنا فى اكتشاف طريقة فهم النساء لأوضاعهن الحالية، وأردنا جعل تفكيرهن يتجاوز واقعهن الحالى، وأن ننظر فيما يحتجن لتوفيره فى سبيلهن إلى تطبيق وجهات نظرهن. ومن أجل القيام بهذا النوع من الانعكاس والتفكير، يجب أن ترى النساء أنفسهن قادرات على التصرف وفقًا لما يردن لأنفسهن (Buskens 2002, 2006; Buskens and Earl 2008; Hannan 2004; Kabeer 2003). ونعد هذا النوع من التفكير، تفكيراً قادراً على خلق معرفة تطبيقية يمكن توظيفها حتى تؤدى للتغير.

ولكن حتى يكون لهذه المعرفة مغزى أيضا، لا بد أن نأخذ فى حسابنا أعراف وقيم مجتمعاتنا التى يتشكل منها وعينا وسلوكنا. وليس سهلاً أن نصبح على بينة بالعوامل التى تشكل وجهات نظرنا وقيمنا، كما لا يسهل أيضًا تخيل صورة لواقع يتجاوز معرفتنا الواعية وتخيلنا. ولكنه كان التحدى الذى أخذه مؤلفو هذا الكتاب على عاتقهم، أن يبنوا بحثهم، وبعد ذلك تحليلاتهم وتفسيراتهم، وأن يحاولوا تحميل المعانى لتصورات المبحوثات، وأن يسعوا إلى جعل التغيير ممكنا فى سياق واقعهن الحالى وأحلامهن. ويستدعى هذا التشديد على ما قد ينعكس من قبل الباحثين، باعتبارهم يعملون فى محيطهم الاجتماعى الثقافى الخاص.

وأدى العمل فى بيئات مألوفة، إلى تسهيل بناء علاقة تفاهم متبادل مع المشاركات فى البحث وإدراك الخصوصيات المحلية. ولكن لم يكن من السهل توجيه إدراك العلاقات

والافتراضات المعيارية، الاجتماعية والثقافية والنوعية والاقتصادية (وغيرها) فى سياق البحث، وداخل نفس الشخص كباحث. وحيث كان الباحثون مستخدمين أدت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى تمكينهم، كانوا آملين فى مشاركة الآخرين أيضًا فى المنافع التى حصلوا عليها. وكما هو شأن "القادم من الخارج"، عمل المؤلفون باعتبارهم "باحثى أنثروبولوجيا من الواقع المحلى" (Rodriguez 2001)، مواجهين بمهمة بحث افتراضاتهم وتحيزاتهم الخاصة والتشكك فيها، وأن يكونوا واعين بعدساتهم الخاصة، وأن ينجحوا فى التصرف مثل الغريب العادى من الناحية الأنثروبولوجية (Buskens 2006, 2002). ويعد شرط الوعى الذاتى، أو الوقوف على ما قد ينعكس عن الباحث، الميزة الأساسية فى مقاربة البحث الكيفى التى تبناها الباحثون من كل فرق العمل.

وأسهمت تدريبات الانعكاس الذاتى، فى كشف المؤلفين للارتباطات بين الكلمات والتصرفات، حتى حينما تبدو متخالفة على السطح. وطبق المؤلفون أيضًا عملية وضعتها إينيكى باسم "مقابلة تهدف تعديل السلوك" (Transformational Attitude Interview)، كعملية ليضع الباحثون أنفسهم على مسافة متساوية، وللوعى بالذات، ومن أجل زيادة قدراتهم على إدراك الطبقات المتعددة للوعى، والطبقات المتصاحبة للمعنى (Buskens 2008). وتوفر هذه العملية التى تتضمن إجراء مقابلات مركزة تكشف عن الخبرات والقيم والأحلام، والتعارضات الموجودة بينها. وتكشف أيضا ما ينبغى اتخاذه فى سعينا للواقع الذى نرغب فى جعله قابلاً للتحقيق، وإدراك المعوقات (داخلنا وخارجنا على السواء) وعناصر القوة والظروف التى يجب جعلها متسقة مع الرؤية المرغوب فيها حول عالم معين.

هل تؤدى إلى التخلص من الهيراركية ؟

يرى مؤلفو الفصول التالية أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، تمثل أدوات قد تساعد الناس فى إدخال التحولات على واقعهم. ولم ننظر إلى منتجات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات باعتبارها تغييرًا للأنظمة والقيم غير العادلة، مثلها فى ذلك مثل

الأشكال السابقة عليها من تكنولوجيات المعلومات. فقد رسخ تصور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات اجتماعيا، "باعتبارها اصطناعية عن بيئة معينة، خلقها معنيان محددان لأغراض معينة" (Heeks 2002: 5). وبصرف النظر عن وضوح أو عدم وضوح تلك الأغراض، فإنها "تمت صياغتها داخل خطاب منتشر على نطاق واسع حول التحديث والتنمية المستندة على افتراض وجود نقص في المعرفة (الغربية)، مسئولاً بشكل جزئي"عن تخلف" (Schech 2002: 13) البلدان النامية. ورغم أنه افتراض متغطرس وساذج في الوقت ذاته، فإن يثبت وقوع العالم "المتقدم" و"النامي" في أسر بعضهما بعضاً، كما يفعل الشيء نفسه بالنسبة للواقع والعلاقات السياسية الاقتصادية.

وعلاوة على ذلك، نشأ إدراك عام بأن جذور تطور مجتمع المعلومات، بحكم طبيعتها وتوجهها، لا وجود لها في واقع النساء، وخاصة النساء اللاتي يعانين من الفقر والتمييز النوعي أيضاً، واللاتي ليس لديهن مواقع للسلطة في المجال العام (Hafkin and Huyer 2006; Huyer et al. 2005). وفي الوقت الحالي، نتيجة لمحدودية توثيق مسائل النوع الاجتماعي وعلاقتها بتأثير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أصبح من الصعب وضع مسألة تضمين قضايا النوع الاجتماعي في سياسات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وخططها وإستراتيجياتها بين يدي صانعي القرار. فوفقا لرؤية برنامج الأمم المتحدة للتنمية، "دون بيانات، لن تكون هناك رؤية واضحة؛ ومن دون رؤية واضحة، لن يكون هناك تحديد للأولويات" (ibid.: 50) '(cited in Huyer and Westholm 2000). وقد أوضحت الاستبيانات التي أجريت في برنامج "جريس"، رسوخ التفاوت النوعي في بيئات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ويتم بحثها حاليا بصورة منفصلة عن وجهات نظر المستخدمات (ibid.; Sciadas 2005).

وإذا كنا ندرك إمكانية استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحسين حياتنا، والمساهمة في رفاهيتنا، والاستفادة من الوقت بصورة فاعلة، وفي التنمية الاقتصادية وما إلى ذلك، إلا أنها يمكنها مفاقمة أوضاع الحياة والعلاقات والتصورات حول النوع الاجتماعي، وبذلك تلعب دوراً محافظاً رجعيا. وعليه، لا يتمثل صلب

الموضوع بدرجة كبيرة فى قضية فرص الوصول والقدرة على تحمل التكاليف، رغم أنها عوامل مهمة؛ بل الأمر متعلق أساسًا، بالتساؤل حول مزاولة الحق، وامتلاك المساحة، فى تقرير المصير.

تخلق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أنساقًا مختلفة للوقت ولأنواع الفضاء، ولكن لا يتضح تمامًا كيف تعمل على إتاحة فضاء لتقرير المصير؛ لأنها تحمل معانى مختلفة، وأبعادًا مختلفة، فى سياقات مختلفة. وفوق هذا، يفترض استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى تحسين حياة شخص ما، أن يكون لديه قدر من التحكم فى فضائه ووقته.

فصول الكتاب

يثير مؤلفو هذا الكتاب عددًا من التساؤلات استنادا إلى ما فهموه من وجهة نظر وخبرات النساء اللاتى يستخدمن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وشاركن فى بحوثها. بحث المؤلفون تأثير استخدام النساء لما هو متاح لهن من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وفى بعض الحالات تأثير عدم إتاحة هذا الاستخدام. وهم فى ذلك يناقشون شبكة معقدة من العوامل.

تعرفت جميع المبحوثات فى هذا البحث على نوع محدد من تكنولوجيات المعلومات والاتصالات، مثل التليفونات المحمولة، وأجهزة الكمبيوتر، وشبكة الإنترنت، والسى دى روم، والراديو. وتفاوتت بوضوح طريقة ارتباط النساء بالتكنولوجيا، والإمكانات التى رأينها أو سعين إليها فيما يتعلق بالفرص المتاحة للاستخدام، والاستخدام الفعلى، والتحكم فى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (سواء بالنسبة للغرض أو المحتوى)، والآثار الناتجة التى تعرفن عليها، وما ترتب على تلك التأثيرات إذا نظرن إليها فى سياقها الاجتماعى الاقتصادى والثقافى الأوسع. ولكن رغم التباين، فإن هناك مسائل عامة كشف عنها الباحثون، كانت حاسمة فى فهم معادلة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بهدف التنمية، أو تخفيف حدة الفقر، أو المساواة النوعية، أو العدالة الاجتماعية.

شكلنا أربع مجموعات من الاختيارات والعلاقات التى عبرت عنها المبحوثات بالنسبة لاستخدامهن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فيما يتعلق بمسألة التمكين.

النساء فى الفصول التى يضمها الباب الأول، تأثرن بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات على نحو "سلبى". ولقد تغيرت حياتهن نتيجة للأشكال المتنوعة من التكنولوجيات، ولكنهن لم يكن باستطاعتهن الوصول إلى تلك الأدوات واستخدامها، إما نهائيا، أو بشكل محدود فقط. وافتقار هؤلاء النساء لفرص الوصول والاستخدام، ارتبط بافتقارهن إلى البنية التحتية (بما فيها التيار الكهربائى والهارد وير)، الفقر (الأولوية الأساسية بالنسبة لهن الحاجات التى تقيم الحياة) والأمية. وترتبط تلك العناصر فى أغلب الأحوال جزئيا، وفى بعضها تماما، بالنوع الاجتماعى. على سبيل المثال، وفى بعض السياقات، تأثرت النساء بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إذ دخلت تلك التكنولوجيات إلى عالمهن من خلال استخدام أسرهن لها، وتوفر فرص الوصول إليها فى المجتمع المحلى، مع إدراك منافع استخداماتها المحتملة، حتى ولم تسع النساء بحماس لاستخدامها. واكتشف الباحثون أن بعض التكنولوجيات لا مجال لها لدى المبحوثات، وبعضها يجمع بين "النعمة والنقمة".

واستفادت المبحوثات فى الباب الثانى من الأماكن المقصورة على "الإناث فقط" التى أنشأنها لأنفسهن، أو ربما أنشأها آخرون من أجلهن. واستطاعت النساء، بواسطة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ومعها، أو الاستفادة بما قد يتوفر منها فيما بعد، الحصول على ملاذ فى تلك الأماكن، والتعبير عن أنفسهن، وأن يتعلمن ويكوّن شبكات، ويزاولن التجارة. ويمكن صياغة الأمر بأنه فى أحوال معينة تكون البيئات التى تعيش فيها النساء غير متوازنة نوعيا، فلا يحصلن على فرص لتحسين حياتهن وتوسيع مشاركتهن فيما يتوفر من الأماكن العامة الطبيعية القائمة فى المجتمع. ويمكن اعتبار خلق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتلك الأماكن الخاصة بهن ميزة، إذ تستطيع النساء التمتع بحريات جديدة واسخدامها. ويخلقن من خلال هذا أنماطاً جديدة من الفضاء -

استخدام التليفون المحمول عندما تقع حالات العنف فى مناطق معزولة فيزيقيا؛ إتاحة بيئة للتعليم والعمل داعمة للنساء لا تستدعى الدخول إلى المجال العام الأبوى؛ تحسين شبكات الدفاع القائمة – التى تؤسسها النساء من أجل إتاحة خيارات جديدة وحريات لأنفسهن. ورغم ذلك، بماذا توحى الرغبة أو السعى إلى أماكن مخصصة للنساء فقط لاستخدام التكنولوجيات، فيما يتعلق بخيارات النساء حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ومشاركتهن فيها؟ كيف نرى هذه الرغبة فى الانفصال عن هياكل السلطة القائمة بدلاً من مواجهتها، من منظور المساواة النوعية؟ فهل يكون فى هذا تعبير عن تمكين النساء المشاركات فيها؛ وتكون تلك الخيارات بمثابة أساليب للتمكين يعملن على ترسيخها؟

وفى الباب الثالث، اكتسبت النساء من خلال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مزيداً من التحكم بوقتهن وفضائهن الخاص سواء فى حياتهن الشخصية أو المهنية. ورغم ذلك، كثيرا ما تعارضت الأدوار النوعية التى يمليها المجال العام الذى تعيش فيه النساء، والأعراف السائد المتأثرة بالنوع الاجتماعى، مع استخدامهن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وعملت على إرباكه. وفى الوقت نفسه، اكتسبت النساء خبرة ممارسة الأنشطة المادية بصورة مستقلة مع استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات، وحققن مكاسب اجتماعية اقتصادية. ومن زاوية أخرى، أدى استخدامهن لتلك التكنولوجيات إلى تمكنهن من أداء أفضل للأدوار الثلاثة الملقاة على عاتقهن. وربما نصل بناء على ذلك إلى أن استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات يسهم فى الحفاظ على تقسيم العمل النوعى التقليدى، بل حتى قد يدعمه، وبالتالى يعطى الأثر نفسه على ميزان القوى بين النوعين. ورغم كل هذا، استطاعت بعض النساء باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إحداث تحول فى واقعهن، وليس مجرد تحسين حياتهن. وبهذا أحدثن تحولاً فى التصورات والأوضاع النوعية، فى علاقاتهن الشخصية ومجتمعاتهن المحلية.

وفى الباب الرابع، يتحدث المؤلفون مع النساء اللاتى استخدمن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتحسين حياتهن وفقًا لتصوراتهن الخاصة. وقد خلقت تلك النساء لأنفسهن وللأخريات، فضاءً جديداً يعشن فيه ويفكرن ويعملن، وأثرن بأساليب مختلفة على الفضاء العام، سواء فى الأسرة المعيشية أو المستويات المحلية والوطنية والدولية. وهكذا، بتحدى ظروفهن الخاصة وتحطيم السقوف الزجاجية، أصبحن مصدراً لإلهام الأخريات. وكن مجموعة متنوعة من النساء، فكانت بينهن مديرة تنفيذية لشركة تعمل فى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، لديها فرص واسعة فى التعامل مع المصادر، ومصففة شعر اضطرت إلى التوفير لمدة عامين حتى تتمكن من شراء تليفون محمول تبدأ به عملها، ثم أصبحت بعد ذلك قادرة على شراء منزل خاص بها، بل وتؤجر منه حجرة.

ويمكن تناول هذه المجموعات الأربع باعتبارها سيناريوهات، أو محطات، أو مراحل. فى كل مرحلة، أو محطة أو سيناريو، نتساءل حول مستوى التمكين اللازم، ليلائم فرص وصول النساء لنوع محدد من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخدامها، أو الملائم للمساهمة فى المساحات التى تنشأ مع تلك التكنولوجيات، وتظهر من خلالها. ويشير بحثنا إلى أن هناك "عتبات للتمكين" عند كل مستوى، تتشكل فى تجميعات متنوعة من العوامل الداعمة الداخلية والخارجية. ورغم ذلك، فعند كل مستوى، وحتى المستوى الذى لا تملك النساء فيه سوى أقل الخيارات بسبب حرمانهن العام من الحاجات الأساسية (مثل التيار الكهربائى)، ستجد النساء تعبيراً عن فاعليتهن. ويقرر أمارتى سن (Amarty Sen) "لا يمكن القول اليوم إن هناك ما يضاهى أهمية الاقتصاد السياسى للتنمية، مثل إدراك ما هو ملائم لمشاركة النساء السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتوليهن للقيادة". رغم ذلك فهو يعترف فى الوقت نفسه، بأن "الوصول إلى فاعلية النساء على نطاق واسع، يعد من أكثر المناطق التى تجاهلتها دراسات التنمية، والأكثر إلحاحًا بين ما ينبغى تصحيحه" (Sen 1999: 203).

وفى سبيل مزيد من الوضوح حول أسلوب ممارسة النساء لفاعليتهن باستخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات، ومن خلال كشف طريقة تأثير المسائل النوعية على فرص توصل النساء إلى استخدام تلك التكنولوجيات سواء بالسلب أو الإيجاب، ومعرفة لأى مدى تحقق النساء أحلامهن، وعلاقة ذلك باستخدامهن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والوقوف على ما يحتجن إليه للوصول إليها، وتحديد العقبات التى يواجهنها، والتعرف على خططهن فى التغلب على العوائق الداخلية والخارجية التى تحول دون استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتضالات، يسهم المؤلفون فى التوصل لفهم أفضل حول إمكانات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ونرى أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات موضوع يستحق انتباها خاصا، بقدر ما تمثل تلك التكنولوجيا أدوات قوية. وإذا لم يخص هذا الموضوع بالانتباه، سيترتب على ذلك ضياع فرص للنساء، ويعرضهن هذا لخطورة أن تؤدى تكنولوجيات المعلومات والاتصالات دون تعمد إلى تدعيم التمييز ضد النساء وإضعاف وضعهن.

الهـــوامش

(١) فضلاً عن التدريب على مناهج البحث الكيفية، تم التدريب على تكنولوجيا المعلومات أثناء ورشتى العمل السنويتين الأولين لمنظمة "جريس"، مع شراكة أساسية من جمعية الاتصالات المتقدمة، وخاصة مع برنامج النساء فيها.

(٢) تم تمويل هذا المشروع بواسطة مركز بحوث التنمية الدولية فى كندا. وتعبر الآراء الواردة فى هـذا الفصل وجميع أجزاء الكتاب، عن المؤلفين ولا تمثل بالضرورة رأى الممول. ولمزيد من المعلومات، يمكنكم الدخول إلى الموقع الإلكترونى: www. GRACE-Network.net.

المراجـــع

Buskens, I. (2002) 'Fine lines or strong cords? Who do we think we are and how can we become what we want to be in the Quest for Quality in Qualitative Research?', *Education as Change*, 6(1): 1–31.

— (2006) 'Gender research in Africa into ICTs for empowerment', *IICBA Newsletter*, 8(2), UNESCO.

— (2008) 'Transformational Attitude Interviewing', www.GRACENetwork. net.

Buskens, I. and S. Earl (2008) 'Research for change – Outcome Mapping's contribution to emancipatory research in Africa', *Action Research*, 6(2): 173–94.

Buskens, I., A. J. Radloff (2004) 'GRACE: Gender Esterhuysen and Research in Africa into ICTs for Empowerment', Project proposal, www. GRACE-Network. net/publications/ GRACE%20 proposal.pdf.

Hafkin, N. J. and S. Huyer (2006) *Cinderella or Cyberella? Empowering Women in the Knowledge Society*, Bloomfield, CT: Kumarian.

Hannan, C. (2004) 'Women's rights and empowerment: gender equality in the new millennium', Presentation to the United Nations Day Banquet, Dallas chapter of the United Nations, 24 October.

Heeks, R. (2002) 'i-development not e-development: special issue on ICTs and development', *Journal of International Development*, 14(1).

Huyer, S., N. Hafkin, H. Ertl and H. Dryburgh (2005) 'Women in the information society', in G. Sciadas (ed.), *From the Digital Divide to Digital Opportunities: Measuring Infostates for Development*, Ottawa: Orbicom/ITU, pp. 134–94, www.orbicom.ca/media/projets/ ddi2005/index_ict_opp.pdf.

Kabeer, N. (2003) *Gender Mainstreaming in Poverty Eradication and the Millennium* Ottawa: Commonwealth Secretariat/ *Development Goals*, IDRC/CIDA.

Rodriguez, C. (2001) 'A homegirl goes home: black feminism and the lure of native anthropology', in I. McClaurin (ed.), *Black Feminist Anthropology: Theory, Politics, Praxis and Poetics*, London: Rutgers University Press.

Schech, S. (2002) 'Wired for change: the links between ICTs and development discourses', *Journal of International Development*, 14(1).

Sciadas, G. (ed.) (2005) *From the Digital Divide to Digital Opportunities: Measuring Infostates for Development*, Ottawa: Orbicom/ITU, www.orbicom.ca/media/projets/ ddi2005/index_ict_opp.pdf.

Sen, A. (1999) *Development as Freedom*, New York and Toronto: Anchor Books.

UNEP/GRID-Arendal (2006) *Planet in Peril: Atlas of Current Threats to People and the Environment*, UNEP.

(الباب الأول)

تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات
فرص الحصول عليها واستخدامها

الفصل الأول

البحث مع النساء بهدف التحول

إينيكى باسكينز

معروف أن البحوث الكيفية مع النساء، من النمط الذى أجراه مؤلفو هذا الكتاب، تشكل تحديًا حقيقيا. وقد نشأ الباحثون والمبحوثات على السواء فى مجتمعات يتحكم فيها الرجال سياسيا واجتماعيا[1]. ويعنى هذا أن كلا الطرفين سينظر إلى نفسه وإلى الآخر خلال مرشحات تشكلت فى قلبه التفكير الجنسانى السائد وبواسطته. وبينما هناك بلا شك تنوع كبير فى المرشحات الموجودة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية والدول، وبداخل كل منها أيضا، الأمر الذى سيظل غير مدرك بدرجات مختلفة، لكن فى الحقيقة سيبقى لكل شخص مرشح جنسانى من نوع ما لا يستطيع الفكاك منه.

النساء باعتبارهن مبحوثات

لدى النساء افتراضات باطنية لم تتعرض للاختبار، ومفاهيم متحيزة حول القدرات الموجودة لديهن أو التى يفتقرن إليها. ويصل هذا إلى حد أنهن فى أكثر الأحيان لا يعرفن بالفعل من يكنّ ولا ماذا يردن. ربما تعتقد النساء باطنيا أنهن أقل مما هن عليه بالفعل باعتبارهن أشخاصًا، من حيث القيمة والقدرة والكفاءة والمواهب... إلخ. والأكثر من ذلك، أن المفاهيم المقبولة ثقافيا فى المجتمعات التى يهيمن عليها الذكور، لا تسمح غالبًا

بتعبير النساء عن واقعهن وخبراتهن. ودائما ما تكون أيديولوجية الحكم السياسى والاجتماعى الذكورى المهيمن جاهزة للحكم على النساء وتشويههن (Daly 1973; Belenky et al. 1986; Gilligan 1982).

وفى البحوث الكيفية، عندما يطلب الباحثون من النساء التحدث عن حياتهن، فكأنهم يطلبون من أنفسهم أيضاً اختيار المفاهيم التى سيعملون من خلالها. وحيث ستكون تلك المفاهيم متأثرة بالصور التى تخدم ثقافة سيطرة الرجال، فالاحتمال الوارد أن يكون الباحثون معياريين، أو أن يضفوا تشويها من عندهم، أو حتى مجرد أن يكونوا غير ملائمين لعكس واقع النساء. وحينما تخرب المفاهيم التى يبطنها النساء عن أنفسهن مسيرتهن الإنسانية، سيعانين من توتر وصراع بين ما يعرفن حول أنفسهن عبر ما ورثنه، وما يعتقدن أنهن قادرات عليه. وربما لا يعرفن حتى إن المفاهيم الاجتماعية الثقافية التى يحملنها حول النساء عموما، تتحدث طوال الوقت إلى ما لديهن من صورة ذاتية أنثوية مركبة بصورة شخصية. عندما نسأل النساء حول مشاعرهن، نصل إلى منطقة الحقيقة والخبرة الشخصية، بينما نفتح بالتزامن مع ذلك علاقتهن مع هذه الثقافة المهيمنة. وتحتفظ النساء فى المساحة الذهنية بين المفاهيم المقبولة ثقافيا والحقيقة الشخصية، بالتوتر بين طريقة تفكيرهن فيما هن عليه. أو ينبغى أن يكن عليه، وكيف يشعرن فعليا (Anderson and Jack 2006).

ماذا يتوقع الباحثون أثناء محادثاتهم مع النساء؟

ربما تكون لدى النساء حساسية عالية حول ما يتوقعن أن الباحثين ينتظرون سماعه، لأنهن يشعرن بعدم الأمان، عندما يكون عليهن التعبير عن تصورهن حول أنفسهن ومشاعرهن. وفى أغلب الحالات، لا تمتلك النساء مفاهيم "يشعرن أنها صواب تماما" من وجهة نظرهن، وأنها تمثل خبراتهن بالكامل. وربما تتناقض النساء مع أنفسهن، ويتحدثن فيما بين السطور. وربما يقيّمن أنفسهن إزاء الصورة النمطية التى يحملنها عن "المرأة الصالحة" وأحيانا يفعلن هذا مصحوبا بالاشتراك مع ما هن

"عليه واقعيا بأنفسهن". ربما يتكلمن من خلال "التصور الثابت" فى أوقات، معبرات عن الجزء المقبول ثقافيا من دورهن الأنثوى، وفى الوقت نفسه يكتمن أصوات خبراتهن الشخصية الأصيلة (ibid).

وقد تتناقل النساء الخبرات مع بعضهن بعضًا، بينما ينتقدن ما يقلن فى الوقت نفسه، بواسطة ما وراء التصريح. وربما كانت المفاهيم التى تستخدمها النساء "مفاهيم تحت التكوين" وقد يجربن مفاهيم غيرها فى أوقات لاحقة. وربما يستخدمن أحيانا المفاهيم المقبولة ثقافيا فى انتقاد حياتهن؛ وأحيانا أخرى سيستخدمن خبرتهن الشخصية فى انتقاد المفاهيم المقبولة اجتماعيا. كما يكون لدى النساء أيضا كثير من الأحلام غير المتحققة، وقلق وشكوك حول تحقيقها. وربما يظهر البحث المعمق كل هذا فيسبب لهن شعورا بالضيق. وعليه، فاللجوء إلى الاستشارة ملائم يعتمد عليه الباحثون (.ibid).

البحث مع النساء: زيمبابوى مثالاً

فيما يلى، نناقش مشروع البحث الذى أجراه فريق شبكة "جريس" فى زيمبابوى، حتى نسلط الضوء على نمط التقارير البحثية، التى تميز عادة البحث الكيفى على النساء ومعهن، حول فرص الوصول إلى تكوين معرفى متقن ومفيد، وهو ما يتوفر فى هذا البحث. هذا غير أننا سنعرض البحث كاملاً فى الفصل السادس.

فى جامعة زيمبابوى، لاحظ ثلاثة باحثين، كانوا يعملون فترة هذا البحث أمناء مكتبة بالجامعة، أن عدد الطلاب الذكور فى معمل الكمبيوتر بالجامعة يفوق عدد الطالبات بكثير. وكان كمبيوتر المكتبة متاحا لكل الطلاب من جميع الكليات. وتأكدت ملاحظاتهم بواسطة الإحصائيات التى جمعوها من سجلات دخول المعمل ونسب التحاق الطلاب بالجامعة. ولم تكن لدى المكتبة أجهزة كمبيوتر كافية حينها لاستيعاب جميع الطلاب المحتاجين لاستخدامها. وطبقت حينها قاعدة "من يأتِ أولا، يحصل على الخدمة أولا".

ووفقا للإحصائيات وملاحظات المشاركين، صمم الباحثون دراسة كيفية مركزة لفهم هذا الوضع. وفى تحليلهم لروايات الطالبات حول فرصهن فى معامل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى الحرم الجامعي، وجد الباحثون أسبابا متنوعة تفسر محدودية فرص الطالبات. وسنناقش فقط سببا واحدا بالتحديد هنا، أن المنافسة للوصول إلى الكمبيوتر ينتج عنها عادة تدافع بدني. وبعبارة أخرى، قد يدفع الطلاب الذكور الطالبات بعيدا. وكان من الممكن أن يتوقف الباحثون عند هذه النقطة، وبالبيانات التى جمعوها، بإمكانهم تكوين رواية تنصب حول العلاقة بين الطالبات، واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ومؤسسات التعليم العالى فى أفريقيا.

ورغم هذا، ركز الباحثون انتباههم على "خاصيتين" رئيسيتين أسفر عنهما البحث: أولاً أن هناك طالبات قليلات وصلن إلى معامل الكمبيوتر، وأطلق عليهن عبارة مفردات "شاذة" لأنهن انحرفن عن القاعدة العامة للسلوك، وثانيا؛ حقيقة أن عدداً قليلاً بالفعل من الطالبات "الطبيعيات"، عندما سئلن عن مشاعرهن حول عدم استطاعتهن الوصول إلى معمل الكمبيوتر حينما أردن، لم يشككن على الإطلاق فى قاعدة "من يأت أولا، يحصل على الخدمة أولا". فكانت القاعدة مقبولة تماماً من وجهة نظر تلك المبحوثات، وتمثل لهن تحسنا مقارنة بما اعتدن عليه من قبل. وفى الوقت نفسه، اشتكت نفس الطالبات تحديدا فى حسرة، لأن عليهن التوجه إلى مقاهى ومجمعات الإنترنت حتى يصلن لاستخدام الكمبيوتر.

وعندما نظر الباحثون إلى "المفردات الشاذة"، الطالبات اللاتى وصلن إلى معمل الكمبيوتر بالجامعة، وجدوا أن تلك الطالبات لسن أصغر فى السن فقط، ولكنهن أكثر خبرة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أيضا. وفوق هذا، كانت تلك الطالبات تدرك جيداً أن الطالبات الأخريات يتخلفن عن الدخول، وكن على علم بأسباب هذا. وكن واعيات بالتناقض بين العدالة الظاهرة للقاعدة، وما تؤدى إليه من إجحاف.

وفيما يتعلق بالطالبات "الطبيعيات"، كان يمكن أن يستنتج الباحثون عند هذه النقطة، أنهن لا يتمتعن بالصبر ويتسرعن فى إطلاق الأحكام، ثم يخرجون بتقييم حول

المبحوثات "الطبيعيات" بأنهن متناقضات مع أنفسهن، ومرتبكات وغير قادرات على اقتناص الفرصة عندما تتاح لهن. ولكنهم فعلوا خيراً بعدم اتباع هذه السبيل. وأدركوا حقيقة تشكيل المبحوثات لآرائهن، ووجهات نظرهن في وضع اجتماعي، تعتبر فيه قاعدة "من يأت أولا يحصل على الخدمة أولاً" ديمقراطية وعادلة - بعبارة أخرى - حائزة بالقبول الاجتماعي. وأدركوا أن مثل هذا المفهوم إذن لا غرابة في هيمنته. بل ربما لا يكون لدى مبحوثاتهن غيره في فهم مضمون خبرتهن حول عدم تمكنهن من الوصول إلى المعمل. ولمسوا واقع أن النساء لا يمتلكن غالبا مفاهيم صحيحة جاهزة لديهن بالفعل، حتى يستخدمنها في التعبير عن شعورهن. وفهموا أن هذه الظاهرة لا تكشف عن أسلوب فردي في التفكير، أو عن أوجه القصور العاطفي لدى النساء، ولكنها تنم عن واقع أنهن ولدن وتربين كنساء في مجتمعات تحت السيطرة السياسية والاجتماعية للرجال. وفهموا كباحثين أيضا، أن ظاهرة التناقض الواضح هذه، عندما تحلل على نحو ملائم، تسفر عن رواية أكثر تركيزاً تمتد إلى طبقات أعمق للمضمون والخبرة.

وكان يمكن استنتاج أن صفات الطالبات الممثلات للمفردات "الشاذة"، هي الصفات التي على الأخريات امتلاكها حتى ينجحن في الوصول إلى استخدام معمل الكمبيوتر. ولكن الباحثين فعلوا خيراً أيضاً، إذ لم يستنتجوا ذلك، واتجهوا بتحليلهم إلى مستوى أعمق، شمل عمليات تمت مع مجموعتي المبحوثات، لخلق المضمون الخاص بكل من خبرة عدم التمكن من الاستخدام، والخبرة حول قاعدة حصول الجميع على فرص متساوية. وبربط هذا بما أدركوه عن المجموعتين، ظهر مفهوم جديد: وهو أن الثقة في النفس، والقدرة على تحدى التمييز النوعي بمجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، تعد أساساً تعتمد عليه خبرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

ووفقا لدراسة الحالة هذه، تتضح إمكانية نجاح البحث مع النساء إذا ما كان الباحثون راغبين في تجاوز ما يبدو واضحا، ومستعدين للإبقاء على طبقات غير مكتشفة من المضمون والخبرة، حتى لحظة الوصول إلى مستوى الرؤية الأعمق القادر على إعطاء مغزى لجميع البيانات، على أساس نموذج تفسيري واحد متماسك. وبلا شك،

سيبقى حافزًا للوصول إلى معرفة سياسية عملية، قابلة للاستخدام، وقادرة على خلق تغيير مستدام، مشجعًا للباحثين وملهمًا لهم للإبقاء على عملية التحليل مفتوحة، وألا يغلقوا بابها بشكل مبتسر.

بالنسبة للمبحوثات

يستلزم إجراء بحوث مع النساء أن يستمع الباحثون جيداً لهن، ويضعوا ما يسمعون فى موقعه بسياقه، وأن تكون لديهم قدرة تامة على قبول ما يسمعون كاملاً، وعلى تفنيده بالكامل أيضا، وابتكار منهج كلما تطلب الأمر أيضًا، وكلما أمكن. وفوق هذا، يتطلب البحث الهادف إلى قبول فاعلية النساء وإشراكهن فى تحقيق التحول: تشجيع الباحثون للمبحوثات على التفكير المتجاوز لحقائق واقعهن، والنظر فيما يرغبن فى توفره لهن بديلاً عن ذلك، حتى يتمكن من السعى لتحقيق وجهات نظرهن.

الاستماع للنساء، الاستماع لهن فعليًا، يعنى استماع الباحث إلى ما تقوله المبحوثة، والطريقة التى تقوله بها، بل ويعنى الاستماع إلى ما لم تقله، وما لا تستطيع قوله. ومن المهم جدا الاستماع بعناية لما يقال "بين السطور" ورصد الاتصال غير اللفظى. ومن المهم أن يبقى الباحثون على مسافة مع المبحوثة، وذلك عن طريق أن يصلها لها اللحظة وجيزة أن قصدها ما زال غامضاً، فينبغى تجنب أن ينتقل إحساس "بالقرب الشديد" من الباحث إلى المبحوثة.

ولأن لحظات التناقض والمفارقات، تدل على المواقع التى يسودها توتر بين قبول النساء للقيم الاجتماعية الثقافية وبين خبراتهن الأصيلة وما يحلمن به لأنفسهن، فلا بد من توفر قدرة للباحثين على معرفة تلك اللحظات واستخدامها. وعادة يكتنف استخدام مثل تلك اللحظات، شيء من التحدى والارتباك، ويبدأ من المعرفة العميقة بمجمل السياقات التى تعيش فيها النساء دون إصدار أحكام على خياراتهن وأفكارهن وعواطفهن. وحينما يركز الباحثون على الأفكار والعواطف والخيارات التى عبرت عنها النساء،

عليهم تضمين مفهوم "تفضيلات مكيفة" (Adaptive preferences) فى المعادلة: تستبطن النساء خرافات عدم المساواة النوعية السائدة فى مجتمعاتهن، ويشكلن منها شيئا ملتصقًا بهوياتهن تغذيه هذه الخرفات والممارسات الراسخة داخلهن (Nussbaum 2000).

وربما تقتنع النساء "بغير المقبول على أنه الأمر الطبيعى"، وربما يشاركن فى تبنى "حقائق حول أنفسهن" من هذا المنظور. وإذا لم تخضع هذه الحقيقة للبحث، ستصبح النساء أدوات "ناقلة للمعرفة" فى اتجاه عكسى من مسار تمكينهن لأنفسهن، حتى ولو كان ذلك فى سياق معالجة الغرض منها التمكين، وإحداث تحول. ورغم هذا، من المهم فى الوقت نفسه امتلاك الباحث حساسية إدراك حدود النساء، واحترام كشفهن لمشاعرهن وأفكارهن واختياراتهن.

من أجل فهم أحلام النساء ورغباتهن فيما يتجاوز الدور المقبول للأنثى، من الضرورى دائما خلق فضاء ذهنى لهن، يستطعن من خلاله التعرف على جزء من نواتهن، وإتاحة فرصة للتعبير عنه. يجب أن تنظر خطط البحث ومناهجه إلى إمكانيات النساء فى التغيير وامتلاك أمر أنفسهن، وتكون موجودة جنبًا إلى جنب فى الوقت نفسه مع تنشئتهن الاجتماعية فى ظل القيود. وهكذا يمكن الجمع فى هذه الحالة بين تكنيكات تحفيز الإبداع والتعبير الحر عند النساء، مع المقابلات المركزة، والملاحظة بالمشاركة.

ما ينبغى لباحث يجرى بحثا مع النساء

ينبغى على الباحثين الاستماع إلى أنفسهم حينما يستمعون للنساء. ليس فقط لأن ما يقال إذا سبب لهم قلقًا بشكل شخصى، فذلك قد ينبههم إلى تعارض موجود بين ما تقوله النساء وما يشعرن فعليًا به (Anderson and Jack 2006)، ولكن أيضًا لأن الباحثين عليهم الوعى بالفلاتر الكامنة فى عقولهم هم أنفسهم، حتى يتعرفوا على أى انحياز غير واعٍ قد يصيب القناعات التى قد يخرجون بها

(Buskens 2006, 2002; Smaling 1990, 1995, 1998). ونظرا لأن البحث يتناول تأثير النوع الاجتماعى على مسار تمكين المرأة فى مقابلات بحثية، لا بد أن يواجه الباحثون والباحثات على السواء، ما ترسب فى ذاتهم هم أنفسهم حول النوع، وما لديهم من فلاتر جنسوية(*). وبقدر استعدادهم للنظر فيما تعكسه لهم المرآة، ويمتلكون وجهة نظر خاصة، بقدر ما ستكون علاقتهم مع مبحوثاتهم أغنى، وستكون العملية البحثية ومادتهم البحثية أغنى. ولكن ربما كانت ديناميكيات العلاقة بين البحث، وبين المترسب فى نفس الباحثين حول النوع وخبرتهم النوعية، تعنى أشياء مختلفة بالنسبة للباحثين والباحثات. ففى الوقت الذى قد يدرك فيه الباحثون الرجال عديداً من ديناميكيات الاتصال الشخصى غير الواضحة، يمكن أن يفوت على النساء الوعى بتلك الديناميكيات، لأنهن قد يرجعن إلى حكم لم يخضع للبحث.

بعد فترة طويلة كانت فيها مسألة الجنسوية لدى الإناث موضوعا محرما، إلا أنها أصبحت الآن موضوعا يمكن مناقشته (Chesler 2001). ويبدو أن الخوف من تحديد الهوية والاتصال مع النساء الأخريات، يدفع بقوة خفية الجنسوية الأنثوية. وترتبط مواقف النساء الجنسوية تجاه النساء الأخريات، بنسبة الجنسوية فى البلاد عموما: ففى دراسة أجراها جليك وفليكس حول تسع عشرة دولة فى خمس قارات، وجدا أن ثلاث دول، من بين الأربع التى بها أعلى درجات من الجنسوية، توجد فى أفريقيا:

(*) فى الأصل: sexism ونترجمها جنسوية. وتعنى هنا كيف يتم النظر للفوارق والعلاقات بين الجنسين، وهى تختلف عن النوع الاجتماعى gender المتعلق بطريقة بناء المجتمع لدور كل من النوعين، وما تعنيه كلمة رجل وامرأة والعلاقة بينهما. ويميل باحثو الدراسات النسوية إلى استخدام عبارة جنسوية للإشارة إلى الفوارق الفيزيقة، أكثر منها الاجتماعية. وهناك من يضيف إلى كلمة جنسوية كلمة اجتماعية، فتكون جنسوية اجتماعية، فتصبح أقرب لمعنى النوع الاجتماعى. وهناك أيضًا من يرون فرقًا بين الجنسوية الاجتماعية والنوع الاجتماعى، ويحرصون على استخدام الأولى، حيث تتضمن عبارة النوع الاجتماعى بين ما تتضمن، من وجهة نظرهم محاولة الباحثين فى الغرب إقحام حرية المثلية الجنسية على التفكير العالمى، ولذلك يؤكدون على المعنى الاجتماعى للفروق البيولوجية، حيث لا ينتج عن الفروق البيولوجية سوى جنسين فقط. وإن كنا لا نجد هذه الحجة شديدة الوجاهة، بل مغرقة فى تصورات وتخوفات وهمية ومرسلة عن الباحثين الغربيين ككتلة واحدة. (المترجمة).

بوتسوانا ونيجيريا وجنوب أفريقيا (Glick and Fiske 1996, 1997; Glick et al. 2000; quoted in Chesler 2001)[٢]. وتعبر عدوانية النساء تجاه النساء الأخريات عن نفسها بشكل غير مباشر غالبًا، في شكل تجنب أو تشهير أو إطلاق أحكام، تصل إلى حد الوصم (Chesler 2001). وحتى كونهن نسويات، لا يبدو ضامنًا لعدم العداء تجاه النساء الأخريات[٣].

وتعتبر عناية الباحث بالمواقف الانعكاسية (reflexive attitudes)، أمرًا مهمًا في البحوث الكيفية؛ وتصبح غاية في الأهمية بالنسبة للبحوث حول النوع الاجتماعي. وحينما يتأمل الباحثون القرارات المتخذة بخصوص البحث، والعواطف والأفكار التي نشأت لديهم عند الانخراط فيه، ستكون لديهم فرصة لمعرفة المزيد حول أنفسهم. فعندما يفكر الباحثون في سؤال "ماذا سأفعل الآن؟" و "ولماذا أفعل هذا؟" فهم يسألون أنفسهم أيضا "أي ذات أستحضرها إلى هذا البحث في هذه اللحظة الحالية؟ أي ذات تعبر عن نفسها بخصوص نقطة تركيز البحث، والمشارك في البحث الآن؟"، ومع هذه التساؤلات الانعكاسية، يدخل الباحثون في علاقة مباشرة مع الفلاتر الجنسوية التي لديهم، والتحيزات المحتمل وجودها. وربما كان ذلك شديد الصعوبة ومؤلمًا أيضًا. وحتى يساعدوا أنفسهم في العناية بموقفهم الانعكاسي، ينبغي أن يترفق الباحثون بأنفسهم. فما يهم هو مواصلة السعي تجاه الأفضل، والاطمئنان إلى أن جميع المصادر التي يعتمد عليها الباحث في قيامه بمهمته (من الناحية العاطفية والذهنية والاجتماعية والمالية) متوفرة بالكامل، والتوصل إلى فهم ما، وقبول الانتكاسات. ويمكن القول عن هذا الفعل "أن يحب الباحث نفسه"، ويطلق على نظام القواعد المتضمن تعبيرًا عن هذا الموقف "العناية بالنفس". ويمكن بهذا المعنى، أن ينهض نظام "العناية بالنفس" كشرط منهجي أساسي (Buskens 2002). حيث من دونه لن تتوفر صفة الاستدامة للموقف الانعكاسي.

وكما تقول شيسلر، يمكن تجاوز جنسوية الإناث من خلال ممارسة علاقات الأختية (sisterhood) وفقًا لنظام من القواعد. ويقوم هذا النظام على أساس من الشعور بحب الذات (Chesler 2001). وربما تجد النساء صعوبة خاصة في الشعور بالحب تجاه أنفسهن.

إذ يعد اغتراب الذات أحد أكثر آثار القهر تخريبا، حيث يؤدى إلى فقدان الأشخاص انتمائهم لأنفسهم، ولمشاعرهم العميقة وحبهم لأنفسهن (Fanon 1967, quoted in Mageo 2002).

ولكن الذكور أيضا مواجهون بصعوبات على العمق نفسه فى بحوث النوع الاجتماعى التى تُجرى على نساء، رغم أنها قد تكون ذات طبيعة مختلفة، إذ يواجهون أيضا نواتهم النوعية، وفلاترهم الجنسوية. وهذا يجعل التزامهم بنظام قواعد انعكاس الذات، ومن ثم حب النفس، شبه مستحيل.

البحوث من أجل التغيير

فى مشروعات البحوث من أجل التغيير، مثل المشروعات التى تتبناها منظمة "جريس"، يركز الباحثون عادة على أحاديث مباشرة تتناول عمل المبحوثين وحياتهم الخاصة. وكان سؤال البحث الرئيسى فى مشروع "جريس"، "كيف تستخدم النساء فى أفريقيا تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التمكين؟"، ولم يكن بمقدور أى شخص فى مشروع "جريس"، القيام بما قاموا به، من تمكين لأنفسهم، لولا استخدامهم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وفى عودتهم للمجتمعات المحلية التى ينتمون لها من أجل إجراء بحثهم، إذ يشاركون الناس اللغة نفسها، والانتماء العرقى والدينى نفسه، وحتى أحيانا عملوا فى قرية مسقط رأسهم نفسها، أو بحثوا فى المنظمة نفسها، كان باحثو مشروع "جريس" يعملون باعتبارهم "باحثين محليين فى الأنثروبولوجيا (native anthropologists)" (Rodriguez, 2001). ومكنهم هذا من بناء علاقات حميمة مع مبحوثاتهم؛ وكانت فيه أيضا مواجهة لمواقفهم الانعكاسية وشجاعتهم ودأبهم وإحساسهم بالحب تجاه أنفسهم.

وفوق هذا، كان معظم الباحثين من المشتغلين بالبحوث مع النساء. وبقدر ما كانت المرأة مثبتة أمام الباحث فى مواجهته بشكل مباشر أكثر، كلما زادت احتمالات أن تصبح رؤيته لنفسه وللآخر أعمق، وستصبح الخبرة البحثية أكثر تحدياً، وسيصبح الرفق بالذات أكبر أهمية.

أن ينظر المرء إلى انعكاس نفسه فى المرآة، ويكتسب من ذلك وعيا، يعتبر فى حد ذاته فعلا تحوليا. بينما يعمل أداء انعكاس الذات فى حد ذاته إلى التغيير (Reason and Bradbury 2001; Meulenberg-Buskens 1998; Van der Walt 2000). ويمكن أن يظهر ذلك معوقًا، حتى عندما يكون التغيير مرغوبا فيه، ومنتظرا، ومتبنيًا، لأن كل تغيير يحمل بداخله أيضا خسارة. وفى البحوث، التى من أهدافها المحددة تكوين معرفة من أجل التمكين والتحول، يكون التغيير على أجندة كل شخص. وهكذا، يتحتم على الباحثين تعلم كيف يعملون مع عملية التغيير، ليس فقط التغيير فى مبحوثيهم، ولكن أيضا فى أنفسهم.

وبالضرورة ينبغى النظر إلى ممارسة الحرص على مساحة التساؤلات النقدية، والانحياز إلى الأمل فى التغيير، أثناء خوض الظروف المعاكسة والعواصف العاطفية التى تحدثها المواجهة المباشرة مع هشاشة أحوال النساء داخل سياق البحث ومن خلاله، باعتبارها محاولة مركبة تتضمن استيعابا تاما. ويصبح التحدى أعظم عندما يعود الباحثون فى بحثهم إلى مجتمعاتهم المحلية وبيئاتهم الحيوية. ورغم هذا لا يستطيع مطلب بحثى تجاوز العقول التى صاغت مفاهيمه وأثارته. ومن ثم لا بد أن تكون العقول التى على دراية وثيقة بالوضع الراهن والمتضررة منه، نفس العقول التى تصيغ الأسئلة التى ستثمر عن رؤية لإمكانات تمكين النساء.

الباحثون الذين لا يخشون التغيير فى أنفسهم وبيئاتهم، لن يخشوا شهود تغيير يحدث مع مبحوثاتهم، أو حتى لن يخشوا تحريضهن عليه. ويعطى التسليم بوضع النساء الأضعف المصاحب لمثل هذا الالتزام، مصداقية للباحثين فى النهاية، ليشاركوا فى بحث يجرى مع النساء بغرض إحداث تحول.

الهـــوامش

(١) يشير مصطلح (Androcracy) إلى هيمنة الرجال الأقوياء، الذى يختلف عن هيمنة الذكور أو الأبوية، انظر (1995) See Eisler.

(٢) فى دراستهما لتسع عشرة دولة من خمس قارات، اكتشفت جليك وفيسك أنه "بينما سجلت النساء كمجموعة، درجة أقل من جنسوية (الانحياز المضاد)، مقارنة بالرجال، فى جميع الدول التى تمت دراستها، كان ما سجلته مجموعة النساء من جنسوية (الانحياز مع) لا يختلف عن الرجال غالبا، وكان أحيانا أعلى منهم بدرجة فارقة. وفى الأربع دول التى سجلت أعلى مستوى للجنسوية (التى منها ثلاث فى أفريقيا: بتسوانا ونيجيريا وجنوب أفريقيا)، كان تبنى النساء لجنسوية (الانحياز مع) أعلى بدرجة واضحة عن الرجال. وتبدو جنسوية (الانحياز مع) لدى الإناث مفضلة لدى نمط النساء الذى يتبنى القيم التقليدية، ومرفوضة بشدة من النساء اللاتى كسرن القوالب. ويعمل هذا النمط من الجنسوية على استبقاء الوضع الراهن. يرتبط سلوك النساء الجنسوى تجاه النساء الأخريات، بالمعدل العام للجنسوية فى البلاد، ويمكن تصنيف جنوب أفريقيا باعتبارها جنسوية بشدة. وكلما كانت الدولة جنسوية أكثر، نسبت النساء إلى الرجال بشكل أوضح، وسوف تقبل جنسوية (الانحياز مع).

(٣) فى دراسة اجريت عام ٢٠٠٠ على ١٥٥ امرأة من الطالبات والعاملات والمنتميات للطبقة الوسطى، من مجموعات عرقية مختلفة، وجدت كوان (وفقا لاقتباس شيسلر) أن "عدائية النساء تجاه اله اء الأخريات لا علاقة لها بتصنيف المرأة لنفسها على أنها نسوية أو باستخدام معيار نسوى (صفحة ١٥٠). رغم أن الدراسة أجريت خارج أفريقيا، ولم تجرى فى أفريقيا دراسات مشابهة، فإن الدراسات عابرة الثقافات كشفت عن وجود معدلات عالية من الجنسوية فى أفريقيا (Glick and Fiske 1996, 1997; Glick et al. 2000, quoted in Chesler 2001)، ونظرا لواقع ارتباط معدل الجنسوية العام فى أحد البلدان مع معدل جنسوية الإناث، فلا يمكن إنكار احتمال أن تصل دراسة مشابهة إلى نتائج مشابهة فى أفريقيا.

المراجـــع

Anderson, K. and D. Jack (2006) 'Learning to listen: interview techniques and analyses', in R. Perks and A. Thomson (eds), *The Oral History Reader*, 2nd edn, London: Routledge.

Belenky, M. F., B. Clinchy, N. Goldberger and J. Tarule (1986) *Women's Ways of Knowing: The Development of Self, Voice and Mind*, New York: Basic Books.

Buskens, I. (2002) 'Fine lines or strong cords? Who do we think we are and how can we become what we want to be in the Quest for Quality in Qualitative Research?', *Education as Change*, 6(1): 1–31.

— (2006) 'Gender research in Africa into ICTs for empowerment', *IICBA Newsletter*, 8(2), UNESCO.

Chesler, P. (2001) *Woman's Inhumanity to Woman*, New York: Thunder's Mouth Press.

Cowan, G. (2000) 'Women's hostility towards women and rape and sexual harassment myths', *Violence Against Women*, 6(3): 238–46.

Daly, M. (1973) *Beyond God the Father– Toward a Philosophy of Women's Liberation*, Boston, MA: Beacon Press.

Eisler, R. (1995) *The Chalice and the Blade – Our History, Our Future*, San Francisco, CA: Harper.

Gilligan, C. (1982) *In a Different Voice. Psychological Theory and Women's Development*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Glick, P. and S. T. Fiske (1996) 'The ambivalent sexism inventory: differentiating hostile and benevolent sexism', *Journal of Personality and Social Psychology*, 70(3): 419–512.

— (1997) 'Hostile and benevolent sexism: measuring ambivalent sexist attitudes toward women', *Psychology of Women Quarterly*, 21: 119–35.

Glick, P. et al. (2000) 'Beyond prejudice as simple antipathy: hostile and benevolent sexism across cultures', *Journal of Personality and Social Psychology*, 70(5).

Mageo, J. M. (2002) *Power and the Self*, Cambridge: Cambridge University Press.

Meulenberg-Buskens, I. (1998) 'Reflections on research methodology and research capacity building in a participatory action research project in South Africa1996–1998', in S. Fehrsen et al., *Coping Strategies Project Report South Africa*, Unpublished research report, Brussels: EU.

Nussbaum, M. C. (2000) *Women and Human Development: The Capabilities Approach*, Cambridge: Cambridge University Press.

Reason, P. and H. Bradbury (2001) *Handbook of Action Research: Participative Inquiry and Practice*, London: Sage.

Rodriguez, C. (2001) 'A homegirl goes home: black feminism and the lure of native anthropology', in I. McClaurin (ed.), *Black Feminist Anthropology: Theory, Politics, Praxis and Poetics*, London: Rutgers University Press.

Smaling, A. (1990) 'Role-taking as a methodological principle', Paper presented at the William James Congress, Amsterdam, August.

— (1995) 'Open-mindedness, open-heartedness and dialogical openness: the dialectics of openings and closures', in Maso, Atkinson, Delamont and Verhoeven (eds), *Openness in Research: The Tension between Self and Other*, Assen: Van Gorcum.

— (1998) 'Dialogical partnership: the relationship between the researcher and the researched in action research', in Boog, Coenen, Keene and Lammerts (eds), *The Complexity of Relationships in Action Research*, Tilburg University Press.

Van der Walt, H. (2000) 'Nurses and their work in the Tuberculosis Control Programme for the Western Cape: too close for comfort', Unpublished PhD thesis, UCT, Cape Town.

الفصل الثانى

هل كان استخدام النساء لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى موزمبيق أداة تمكين؟

جيرترود ماكويفى؛
جوديت ماندليت؛ لوسيا جينجر
بولى جاستر؛ إيسلينا ماكوم

باعتبارنا نساء محترفات يعملن فى مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فقد افترضنا أن جميع النساء قادرات على الاستفادة (كما استفدنا نحن) من استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وأظهر عدد من دراسات النوع الاجتماعى (Johnson 2003; Payton et al. 2007) أن مستخدمى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (وخاصة الكمبيوتر والإنترنت والبريد الإلكترونى) هم أساسًا من الشباب الذكور، والنساء لا تستخدمها إلا بشكل هامشى، وهو ما يشير إلى وجود فجوة بين الخطاب وحقيقة تمكين النساء عبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ورغم هذا يقول باحثون مثل شارما (٢٠٠٣) وستيفن (٢٠٠٦) إن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يمكن أن تؤدى إلى تمكين النساء من خلال تطوير مشاركتهن فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية، كما أنها تيسر عليهن اتخاذ القرارات بناء على معرفة. وطرح هؤلاء الكتاب أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يمكن وصولها إلى النساء فى المناطق الخارجة عن نطاق وسائل

الاتصال الأخرى، ويمكنها تيسر اتصالهن مع شبكات أخرى فى أماكن متفرقة، وتمكنهن من الحشد عند تنظيم الحوارات، والمشاركة فيها، والتعبير عن أنفسهن.

ولهذا نهدف إلى بحث ما إذا كانت النساء فى ريف موزمبيق، إذا توفرت لهن فرص استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بتوفير مراكز تقديم خدمات الإلكترونية الاتصال عن بعد(*)، وتوسيع شبكات التليفون، سيصبحن أكثر تمكينا. وبوجه عام تشكل الزراعة أساس الحصول على أسباب الرزق للريفيات، بالإضافة إلى التجارة الصغيرة فى القطاع غير الرسمى. ومعظم تلك النساء أميات (نسبة الأمية على المستوى الوطنى ٥٣٪، ولكنها بين النساء ٦٦٪ (UNDP 2006)؛ وهن لا يتحدثن اللغة الرسمية (البرتغالية)، ناهيك عن الإنجليزية، وهى اللغة التى تكون المعلومات متاحة بها غالبًا على الإنترنت. وبينما تلعب الريفيات دورًا بالغ الأهمية فى المجتمع، وفى الحد من الفقر، إلا أنهن يمثلن فى الوقت نفسه المجموعة الأفقر والأكثر تهميشا (Fôrum Mulher/SARDC WIDSAA 2005).

وفى هذا السياق، نعتزم فى البحث إجابة الأسئلة التالية:

- هل يتاح للموزمبيقيات فى ريف مانهيكا Manhiça وساسونديجا Sussundenga استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتاحة فى المدينتين الريفيتين؟ وإذا كان الأمر كذلك، ففى أى شىء يستخدمنها؟ وإذا لم يكن كذلك، فما السبب؟

- هل يؤدى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتاحة إلى تمكين النساء؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يتم؟ وإذا لم يكن، فما الأسباب؟

(*) فى الأصل telecentres وهى أماكن تقدم فيها مجموعة خدمات إلكترونية مرتبطة بوسائل الاتصال عن بعد. وهى مختلفة عن السيبر والإنترنت كافية، لأن الخدمات التى تقدم فيها متنوعة ومتباينة. ويمكن من خلالها بث محطة إذاعية، كما سيتضح لاحقًا. سنشير فيما بعد لهذه المراكز بعبارة (مراكز الاتصال) للتبسيط، ولذا وجب التنويه. (المترجمة).

ونأمل أن تكون نتائجنا مفيدة فى توجيه وتكيف برامج التدخل لنشر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى الريف، لتعمل لصالح تمكين النساء بدلا من توسيع الفجوة النوعية، حتى وإن كان بغير تعمد.

فى نطاق فهمنا، لا يوجد نموذج وحيد للتمكين. كما تعرف كلمة "تمكين" بأساليب مختلفة. على سبيل المثال، وفقا لبوش Bush وفولجير Folger (١٩٩٤) يعنى التمكين إحياء شعور الناس بقيمتهم الخاصة تقوية قدرتهم على حل مشاكلهم، أما بالنسبة للوكالة النرويجية للتنمية والتعاون Norwegian Agency for Development Cooperation (1999) فيعنى زيادة فرص الرجال والنساء على السواء، فى التحكم بحياتهم: ويعنى التمكين المتساوى وجود صلاحيات متساوية فى صناعة القرارات، والقدرة على التعبير، وتحديد الأجندات، والتفاوض ومواجهة الصعاب بالطريقة التى يفضلها كل شخص. ويعرف التمكين أيضا باعتباره قدرة الجماعة أو الفرد على تحديد الاختيارات، ومن ثم تحويل الاختيارات إلى أفعال ونتائج يرغبونها (Alsop et al. 2002).

وبالنسبة لنا يتضمن التمكين عناصر متعددة، اقتصادية واجتماعية وسياسية (World Bank 2002; Alsop et al. 2006; United Nations 2005). ولخدمة أهداف هذا الفصل وسياقه الخاص، نعنى بتمكين النساء بواسطة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، الدور الذى لعبته فرص الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى توسيع أصول النساء وقدراتهن، وخاصة فى ريف موزامبيق. وتتضمن الأصول كلا من الأصول المادية والمالية (World Bank 2002) والكفاءات، ونعنى بالكفاءات القدرة على القيام بأعمال ذات قيمة وتحقيق وضع له قيمة أو الوصول إليه، وفقا لكل فرد وسياقه أو سياقها (Sen1987, 1992, 1997; Sen and Nussbaum 1993). وعندما نشير إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى هذا الفصل نعنى الإذاعة، وأجهزة الكمبيوتر، والبريد الإلكترونى، وشبكة الإنترنت، والتليفونات (المحمولة والأرضية). ونناقش كيف استخدمت كل منها فى تمكين الريفيات فى موزمبيق، استنادا إلى بحث ميدانى أجريناه فى ديسمبر ٢٠٠٥ وفبراير ٢٠٠٦.

مجال الدراسة

نظراً لاتساع حجم موزمبيق وعدم تجانسها، قررنا دراسة مدينتين إقليميتين ريفيتين: مانهيكا بمقاطعة مابوتو فى الجنوب، وساسونديجا بمقاطعة مانيسا فى المنطقة الوسطى. واخترنا هاتين المنطقتين، لأنهما استفادتا لسنوات بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتاحة فى مراكز للاتصال، تضمنت محطات إذاعة محلية، ومن ثم يتضح معهما ما يحدث فى المناطق التى بها الحد الأدنى من قنوات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (تقنيا).

كان إنشاء مراكز الاتصال فى موزمبيق عام ١٩٩٩، مؤشراً على بدء محاولة توفير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى متناول المناطق الريفية والمجموعات المحرومة، بمن فيها النساء. كان ينظر إلى مراكز الاتصال، المملوكة لسكان المقاطعة، باعتبارها مراكز تنمية. وتوفرت فيها فرص لاستخدام الكمبيوتر والتدريب على تكنولوجيا المعلومات، ومعالجة الكلمات، وتصميم الجرافيك، وتليفون عام (خط أرضى)، وفاكس، وآلة تصوير، وبريد إلكترونى، وخدمات الإنترنت والمعلومات. ثم أدخلت المحطات الإذاعية فى المجتمع المحلى إلى معظم مراكز الاتصال فى مرحلة تالية. وكان التليفون المحمول آخر أداة اتصال أدخلت إلى المدن الإقليمية بأعداد متزايدة. ورغم محدودية انتشار التليفون المحمول على نطاق واسع فى المناطق الريفية حتى الآن، فإن أعداد مستخدميه فى موزمبيق أصبحت بالفعل تفوق أعداد مشتركى تليفون الخطوط الأرضية إلى حد بعيد.

وتوجد محطتان لتشغيل التليفون المحمول فى موزمبيق. تعمل الاثنتان على بث إرسالهما من مانهيكا، إلا أن إحداهما بدأ تشغيله من ساسونديجا فى نهاية فترة بحثنا. ولا تزال شركة الاتصالات اللاسلكية، صاحبة احتكار البنية الأساسية للخدمات الصوتية الأرضية لديها بضعة أكشاك للتليفون فى كلتا المنطقتين الخاضعتين للدراسة، بالإضافة إلى خدمة التليفون فى مراكز الاتصال، وفى القطاعات الحكومية المحلية الرئيسية، والمنظمات، والشركات التجارية. وشكل غياب المنافذ الجيدة الرخيصة

للاتصال التليفونى (أو أى نوع للاتصال غالبا)، عقبة أساسية فى استخدام البريد الإلكترونى بواسطة الإنترنت؛ كما يوجد عامل آخر مهم يتمثل فى نقص محترفى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى الريف.

ويعيش ٨٠٪ من إجمالى سكان موزمبيق (٢٠ مليونًا، ٥٢٪ منهم نساء) فى الريف، وتمثل النساء ٨٠٪ من عمال الريف، وتعمل ٢٪ منهن فقط فى القطاع الرسمى. وتقع مانهيكا على بعد ٨٠ كيلو مترًا شمال مابوتو، ويبلغ تعدادها نحو ٢٠٠ ألف نسمة تقريبًا. وفى عام ٢٠٠٢، بلغ معدل الفقر فيها ٦٠٪. ولم يذهب نحو ٦٠٪ من النساء والفتيات إلى المدارس، ولم يكمل سوى ١٢٪ فقط ممن ذهبن إلى المدرسة تعليمهن الابتدائى، رغم أن نسبة المتحدثات بالبرتغالية ٢٠٪. ويعمل فى الزراعة ٩٠٪ من الناشطات اقتصاديا، سواء لصالح الأسرة أو لصالح أنفسهن. ومن ناحية أخرى، شكلت الفتيات تحت سن العاشرة ١٥٪ من فلاحى المقاطعة (MAE 2005a).

وتبلغ ساسوندينجا ثلاثة أضعاف مساحة مانهيكا، بينما يعيش فيها نصف عدد سكانها. وهنا تتحدث النساء البرتغالية بنسبة ٩٪ فقط، و٨٣٪ أميات (مقارنة مع ٦٢٪ بالنسبة للرجال). ويعمل فى الزراعة نسبة ٩٦٪ من الناشطات اقتصاديا، رغم هذا فجدير بالذكر أن ١٢٪ من المدرسين، و٥٢٪ من العمال الصحيين فى المقاطعة من الإناث (MAE 2005b).

البحث فى استخدام الريفيات فى موزمبيق لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات

اعتمدنا فى البحث على بيانات ميدانية كيفية فى المقام الأول. وقمنا بجمعها من خلال مقابلات شبه مهيكلة (semi-structured)، ومناقشات جماعية حول التصورات والمشاهدات وسير الحياة المتنوعة. وتمت المقابلات باللغات المحلية مع نساء قمن بزيارات لمراكز الاتصال خلال الفترة التى حددناها للعمل الميدانى، ومع قائدات محليات ومهنيات، إلى جانب نساء اخترناهن عشوائيا من المنطقة القريبة من مراكز الاتصال، وتضمن ذلك المدارس والمستشفيات والأسواق والشوارع فى تلك المنطقة. وهكذا تمت

مقابلات مع ٧٤ سيدة (٤٤ من مانهيكا و٣٠ من ساسوندينجا) من بين المدرسات والممرضات وربات البيوت والعاطلات عن العمل والبائعات في السوق وبائعات جائلات، ورئيسات جمعيات نسائية. كما حللنا أيضًا إحصائيات الاستخدام الخاصة بمراكز الاتصالات، التي قمنا بتنظيمها على أساس مجموعات العمر والجنس والخدمات التي تم استخدامها.

لا تزال الإذاعة المحلية أداة تمكين فاعلة في الريف

مثّل بث محطات الإذاعة المحلية الذي يتم عبر مراكز الاتصال، أكثر أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات استخدامًا من الناحية الفعلية، واشتركت في ذلك جميع النساء اللاتي أجرينا معهن المقابلات. وكان البث مجانيا للمستمعين، وهكذا مثل فرصة للحصول على خدمة لا تعتمد على توصيلات كهربية، أو ملكية جهاز – الراديو – حيث كان الناس يتجمعون للاستماع معا في الأماكن العامة والمنازل. وبسبب تكاليف التشغيل المنخفضة عمومًا، كانت الإذاعة أكثر أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات توفرًا في متناول المناطق الريفية، وخاصة مع توفر أجهزة الراديو المزودة بهوائيات.

ورغم هذا، ما زال بعض أشخاص غير قادرين على امتلاك جهاز راديو خاص بهم. وعلى سبيل المثال، أخبرتنا ربة منزل في مانهيكا أنها لم تستخدم أي تكنولوجيا، وأنها لا ترغب في الحصول على جهاز راديو أو تليفون، لأنه يعني بالنسبة لها مزيدًا من التكاليف: حيث "حجارة البطارية مرتفعة الثمن". كان كل ما تريده هو الحصول يوميا على ما تأكله. وتساءلت: "في أي شيء أحتاج أستخدم التليفون؟". وكانت في مركز الاتصالات، عندما أجرينا المقابلة معها، للحصول على بطاقتها الشخصية التي ضاعت منها: ووجدها أحد الأشخاص وتركها في مركز الاتصالات، الأمر الذي أعلنوه في الإذاعة. وسمعت إحدى جاراتها الإعلان وأخبرتها. ولو لم تكن هناك محطة الإذاعة التي لعبت دور مركز يثق فيه الجميع، لما تعرفت هذه السيدة على مكان بطاقتها.

وأكد لنا نحو ٩٥٪ ممن أجرينا معهن مقابلات، أنهن يستمعن إلى الإذاعة، وأخبرتنا عديدات من كلتا المنطقتين، بمعرفتهن لجدول البرامج المذاعة. وكانت فقرة الإعلانات العامة أكثر البرامج شعبية، وخاصة الإشعار عن وجود وفيات؛ ففي سياق الثقافة الاجتماعية لتلك النساء، تمثل مشاركة أعضاء المجتمع والأقارب في العزاء، جزءا جوهريًا من نسيج المجتمع، كما تعد الإذاعة الطريقة الأسرع، والشكل الأكثر اقتصادية في الوصول إلى عدد كبير من الناس. وكانت هناك شعبية للبرامج الإخبارية أيضا، وخاصة الموجهة للنساء. وتعمل برامج الأخبار على تمكين النساء، لأن الحصول على معلومات يخفف من عزلتهن سواء على نطاق مجتمعهن المحلي أو على المستوى الوطني أو الدولي. وتغطي برامج النساء دائرة من الموضوعات، مثل سلوك المراهقين داخل الأسرة، والاحتياطات الواجب اتباعها في البيت، ومرض الإيدز، والطهو، وصحة الأطفال ويسلوكهم الاجتماعي. وتساعد البرامج التعليمية التي تبثها الإذاعة، وخاصة الموجهة للنساء، في تحسين قدراتهن على العمل ناشطات في مجال مكافحة الإيدز، مثلاً، وتغيير أساليبهن في التعامل مع مشاكل الرعاية الصحية، والمشاكل الاجتماعية، وغيرها داخل المجتمعات المحلية والأسر.

ونعتقد أن عملية كاملة تتم هناك، تتضمن استماع النساء للإذاعة، والتعلم مما سمعنه، وتطبيق ما تعلمنه داخل الأسر، وتعليمه للآخرين. وبوجه عام، عبرت النساء عن الأهمية الكبيرة لبرامج الإذاعة بالنسبة لهن، إذ يعرفن منها ما يحدث في العالم. وتعمل الإذاعة على إشراك النساء المحليات بصورة مباشرة أيضا، فتتيح لهن التطوع للعمل في إنتاج وتقديم البرامج. وهكذا، يتعلمن مهارات جديدة ويكتسبن ثقة في أنفسهن، نتيجة لاحتلالهن مزيداً من الفضاء العام. ومن ناحية أخرى، تتزايد الثقة لديهن نتيجة لأن من يعملون في هذه البرامج معروفين لهن (أو حتى أفراد من أسرهن). ورغم هذا، عبرت المتطوعات عن أسفهن، لأنهن رغم تمتعهن بالعمل، فإن ضعف الحوافز يثير مشاكل داخل البيوت، كما اتضح على سبيل المثال في حالة إحدى النساء المشاركات في إحدى المناقشات الجماعية في ساسوندنجا: "نشعر بالقلق عندما نترك بيوتنا ونأتي إلى هنا في مركز الاتصالات، لأن أزواجنا يسألون دائما عن المكسب الاقتصادي الذي يعود على الأسرة من التعاون مع هذا المركز".

كيف تؤدى فرصة الاستماع إلى مجرد بث إذاعى إلى تمكين الريفيات؟ والإجابة فى بث الإذاعة المحلية لمعلومات تحتاج إليها الريفيات وتراها ذات قيمة، ولأنها متاحة بلغتهن المحلية، وتزيد قدرتهن فى التأثير، سواء تلقين المعلومات بشكل مباشر أو غير مباشر. وحتى اليوم، لا تزال الاتصالات الشفهية وسيلة حصول معظم الموزمبيقيين على المعلومات الأكثر قوة والأوفر.

وينظر إلى التطوع فى الإذاعة ومركز الاتصالات، على أنه فرصة لاكتساب علاقات اجتماعية أيضًا فى المجتمعات المحلية الريفية. ويرى بعض الباحثين مثل كارنوى (M. Carnoy) (١٩٧٥) وسن (٢٠٠٢)، أن التحاق الأطفال بالمدرسة لا يطور فقط مهارات القراءة والكتابة لديهم، ولكنه يمكنهم أيضًا من تعلم أسلوب لاكتساب علاقات اجتماعية، وهو أمر يفيدهم فى المستقبل. وبالمثل، رغم أن النساء لا يكتسبن أصولاً مادية إلى جانب المهارات التقنية، فإن مركز الاتصالات يعلم المتطوعات خبرة اكتساب علاقات اجتماعية مع الأخريات، ولعب دور عام فى مجتمعهن المحلى، وتنظيم أنفسهن، وتعبئة الأصول والأفكار من أجل حل المشاكل المرتبطة بالمصالح العامة. وربما كانت التجربة الأولى من نوعها لكثير من المتطوعات الشابات خارج المدرسة أو أنشطة وقت الفراغ.

دور التليفون المحمول فى تمكين الريفيات: اكتشفنا معرفة كثير من الناس للتليفون المحمول فى كلتا المنطقتين، حتى رغم عدم اكتمال تحميل الشبكة فى ساسوندنجا وقت إجراء الدراسة الميدانية، وكان أصحاب التليفونات المحمولة لا يستطعون استخدامها تقريبا إلا إذا تسلقوا شجرة أو عندما يذهبون إلى عاصمة المقاطعة. وكان التليفون المحمول بالفعل أكثر تكنولوجيا شائعة بين النساء بعد الإذاعة فى مانهيكا.

مع تراجع استخدام التليفونات الأرضية نظرًا للقوة الشرائية المحدودة للسكان، وخاصة فى المناطق الريفية، والتوسع السريع لشبكات التليفون المحمول (Muchanga and Mabila 2007)، بدا أنه حتى الفقيرات ينظرن إلى التليفون المحمول باعتباره مفيدا.

ـ ويرجع هذا إلى سببين: الأول، إمكانية التنقل التى يتمتع بها، تعنى توفير الوقت، وإمكانية إجراء الاتصالات دون اضطرار إلى ترك مكان عملهن؛ والثانى، حقيقة أن الأشخاص الأساسيين الذين يتصلن بهم، سواء زبائن أو موردين، معهم تليفونات محمولة أيضا، يجعل هذا بإمكانهن الاتصال بشكل مباشر بدلا من الاضطرار إلى الانتقال، وترك رسالة، وطلب مكالمة فى التليفون العمومى بموعد متفق عليه لتلقى المكالمة. والشىء نفسه صحيح بالنسبة للاتصال بأفراد العائلة فى موزمبيق والخارج.

وكانت تكلفة إجراء مكالمة أرضية بين المدن، أثناء فترة العمل الميدانى، ما زالت عالية نسبيًا. ولم تكن بطاقات دفع تكلفة المكالمة مسبقًا تتضمن تكاليف مخفية، بينما امتلاك خط أرضى له تكلفة شهرية ثابتة، سواء استخدم أم لم يستخدم، هذا بالإضافة إلى أن النساء يعتقدن أن تكلفة استخدام التليفون المحمول يتم تعويضها مع الوقت، فى فوائد اقتصادية واجتماعية، حتى ولو كانت المكالمات المحلية أرخص فى الكشك الأرضى. ومن هنا، لم يحل التليفون المحمول فقط مكان الأرضى، بل أسهم أيضا فى زيادة أسية لحجم الاتصالات التليفونية. ورغم أن الأنشطة التى عرضناها يمكن أداؤها خلال التليفون الأرضى، فإن بعضها لا يمكن معه ذلك، وفى الغالب ستكون الكفاءة أقل.

وجدنا فى مانهيكا نساء يتصلن بأزواجهن العاملين فى جنوب أفريقيا بواسطة التليفون المحمول. كما تستخدم البائعات فى الأسواق التليفون المحمول فى أمور تجارتهن، وللاتصال مع زملائهن فى العمل. على سبيل المثال، بائعات الزيكادو(*) فى سوق مانهيكا، اللاتى يقمن بشراء المشروب من أجل بيعه، يستخدمن التليفونات المحمولة لينبئن الموردين لهن فى مقاطعة جازا، أنهن فى حاجة إلى كمية أكبر، وهكذا يتخلصن من ضرورة الرحلات الطويلة التى قد تكون غير مثمرة أحيانا.

وقالت لنا ممثلة عن منظمة نسائية فى مانهيكا: "بالنسبة لى، التليفون المحمول بمثابة أقدام إضافية فى عملى". وهى تستخدم التليفون المحمول فى الاتصال بأعضاء

(*) فى الأصل xicadju، وتعنى عصير الكاجو المخمر. (المترجمة).

منظمتها أينما كانوا. كما وجدنا أيضا امرأة تستخدم تليفونها فى البحث عن عمل، حيث يمكن الاتصال بها عندما تظهر وظيفة مؤقتة. وقالت لنا أخرى فى مانهيكا، إنها تقسِّم وقتها بين الحقل والعمل المنزلى فى بيتها، ولديها أسرة مكونة من عشرة أشخاص، وعندما لا يتوفر طعام فى البيت، تستخدم التليفون المحمول للاتصال بأقاربهم فى جنوب أفريقيا، وتطلب منهم إرسال بعض الطعام لهم. ونظمت امرأة أخرى تجارة صغيرة لنفسها فى بيع بطاقات الدفع المقدم لاستخدام التليفون المحمول. وخصصت إحدى المبحوثات الربح الناتج من تليفوناتها الثلاثة، لدفع رسوم المدرسة ونفقات أسرتها المعيشية، كما تقوم أيضا بمساعدة الزبائن - معظمهم نساء - بتعليمهم استخدام التليفون أو تقوم بطلب المكالمة لهم.

رغم أن معظم المبحوثات لا يمتلكن تليفونات محمولة، فإنهن يشاركن فى تليفونات أعضاء الأسرة والأصدقاء. على سبيل المثال، قالت لنا بائعة زيكادو بالسوق إن صديقاتها يطلبن فى بعض الأحيان إجراء مكالمات، وإرسال رسائل وإشعارات ليقوم الطرف الآخر بطلبهن. وحتى رغم عدم معرفتهن طريقة إرسال الرسائل نصية، عرفت بعض الأميات استقبال المكالمات وإجراءها، وكان بإمكانهن التعرف على أحد الأسماء فى قائمة الأرقام المسجلة على التليفون. وأخريات كن لا يعرفن حتى طريقة طلب أحد الأرقام، ولكن استخدمن التليفون عن طريق طلب المساعدة من شخص آخر. ويمكن لمن ليس لديهن تليفونات محمولة، طلب استخدام تليفونات جيرانهن: "ليس لدى تليفون محمول، ولا يوجد فى البيت من لديه واحد منها، ولكنى أحتفظ معى بأرقام الأقارب الأبعد تحسبا لحالة طوارئ؛ فحينئذ يمكن أن أطلب من جيرانى الاتصال لى بها". والمدهش، إشارة بعض من ليس لديهن تليفون محمول، إلى أهمية وجوده حتى يمكن طلب الشرطة إذا ما ظهرت مشاكل.

وجدنا (الباحثون مع المبحوثات)، أن استخدام التليفون المحمول يؤدى إلى التمكين سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية. فهو اجتماعيا، يوفر القدرة على الحركة والمرونة، وفيه إمكانات المحافظة على تواصل منتظم مع العائلة، أيًا كان بعد المسافة؛

ونتيجة ذلك تمتلك النساء روابط عائلية قوية، بما تتضمنه من شبكة الدعم. وكما تعزز النساء أيضا شبكاتهن الموحدة عبر الاشتراك فى التليفونات، بينما ييسر ازدياد قنوات الاتصال العمل فى أنشطة المنظمات الجماعية وحملاتها. وبالإضافة إلى ذلك، يحفز التليفون المحمول بعض النساء على تعلم الحد الأدنى من المهارات الحسابية حتى تتمكن من التعرف على الأرقام وطلبها، وقد يكون فى ذلك أول خطوة نحو محو أميتهن.

وتساعد التليفونات المحمولة الفقيرات أيضا على زيادة دخلهن بطرق مختلفة: تساعدهن فى تجارتهن بفاعلية تكاليف الاتصالات، بينما انفتحت بظهور تجارة استخدام التليفون فرصة أمام النساء لتأسيس أعمال تجارية صغيرة. ويمكن أن يحل الاتصال بالعائلة أيضا بعض المشاكل الاقتصادية، حينما تتحدث نساء مانهيكا مع أقاربهن فى جنوب أفريقيا لطلب مدد عاجل من الطعام.

وهكذا، تحسن النساء من خلال التليفونات المحمولة قدرتهن على توفير الأصول التى تساعدهن فى التغلب على مخاوفهن اليومية الكبرى، فى عملية اجتماعية اقتصادية تزيد من استقلالهن.

أدوات لها مستقبل ولكنها أقل ثورية فى البيئة الريفية

الأدوات المتصلة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وبالتحديد الكمبيوتر، والبريد الإلكترونى والإنترنت، متاحة أساسًا فى مراكز الاتصال أو فى قليل من ورش العمل (لم نجد واحدة تمتلك كمبيوترًا من المبحوثات): لا تستخدم النساء، فيما عدا المتعلمات القليلات، هذه الأدوات خارج مراكز الاتصال. والعجيب، أن فى المقابلات الفردية اتضح أنه حتى مع توفر إمكانية استخدام هذه الأدوات للنساء، فإنهن لم يستخدمنها إلا قليلا فى العمل بسبب "قلة الوقت".

ووجدنا نحو ٣١٪ من المبحوثات يستخدمن الكمبيوتر والبريد الإلكترونى والإنترنت. وكانت مستخدمات تلك الأدوات الخاصة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات

أساسا من المشتغلات فى مجال الصحة، أو الخدمات الإدارية، أو المنظمات غير الحكومية، بالإضافة إلى الطالبات والراهبات والعاملات بمراكز الاتصال. وتعتبر نسبة عالية نسبيا إذا ما نظرنا إلى البيئة الريفية، إلا أننا أجرينا المقابلات أساساً فى مدينتين كبيرتين تركز فيهما الخدمات العامة والبنية الأساسية.

وعبرت ممثلة المنظمة النسائية فى مانهيكا عن النموذج الأساسى للاستخدام: كانت تستخدم الكمبيوتر فى تحضير المشروعات، واستخدمت الإنترنت والبريد الإلكترونى عرضًا، ووجدت طريقها إلى تلك التكنولوجيا فى مراكز الاتصال. وذكرت أن استخدام خدمات مراكز الاتصال يعنى وجود تكلفة، ولكنها قالت إن هذا كان أفضل من عدم توفر فرص استخدام التكنولوجيا نهائيًا. وتلقت هى برامجها التدريبية على الكمبيوتر فى مابوتو، فكانت تسافر يوميًا، ولكن أطفالها تعلموا فى مراكز الاتصال فور إنشائها.

ورغم أننا وجدنا نساء استفدن من البرامج المجانية للتدريب على الكمبيوتر فى مراكز الاتصال فى المنطقتين، فإنهن كن مستاءات، حيث لم يساعد البرنامج التدريبى فى الحصول على عمل بأجر فى بلدتهن، نظرا لغياب الوظائف. وأيضا، لم تكن هناك أى تدريبات للمتابعة تجعلهن قادرات على التقدم فى الاستخدام، والاعتماد على مراكز الاتصال فى ذلك لا يستطعن تحمل نفقاته من مواردهن الخاصة.

عندما قمنا بمقارنة إحصائيات مراكز الاتصال مع البيانات التى لدينا، وجدنا أن النتائج متناظرة: كان المتوسط فى كلا المركزين، أن ثلثى الزائرين من الذكور، والباقى إناث. وفوق هذا، معظم العملاء (وخاصة النساء) كانوا هناك لتسلم أوراق مصورة، أو لاستخدام التليفون العام، وليس لاستخدام الكمبيوتر أو الإنترنت أو البريد الإلكترونى. ولم يكتسب البريد الإلكترونى ولا الإنترنت حتى الآن وضع الاعتماد عليهما، نظرا للتكلفة وعدم الثقة فى النتائج.

وقدمت اللاتى لم يستخدمن تلك التكنولوجيات على الإطلاق عديدا من الأسباب لذلك مثل: "ليست من أجل أشخاص مثلنا"؛ وبعبارة أخرى، هناك تصور سائد بأن غير المتعلمين أو الأميين، والذين لا يتحدثون البرتغالية، النساء أو الفقراء مستبعدون تلقائيا

من استخدامها. وبالنسبة لأخريات، رغم إدراكهن للفوائد المرتقبة، مثل تعليم مهارات جديدة وإمكانية الحصول على المعلومات، فإنهن لا يجدن فيها مكاسب مادية مباشرة. ومن ثم يفضلن قضاء وقتهن بدلاً من هذا فى البيع بالسوق. وكان من بين الأسباب التى قدمتها البائعات لعدم استخدامهن تلك الأدوات أنه "ليس هناك وقت"، "ومن سيعتنى بكشكى؟" أو أنها "باهظة التكلفة"، ولكن حجتهن الرئيسية، أنهن ملتزمات كلياً بالعناية بتوفير الحاجات الرئيسية لأسرهن من يوم إلى آخر، ولا يستطعن التفكير فى أى شيء آخر لا يرتبط بذلك مباشرةً. كما أنهن لم يشاهدن أمثلة توضح بصورة عملية المزايا التى تعود عليهن من استخدام تلك الأشكال من التكنولوجيا.

لا يسود بين معظم النساء فى البلدتين اللتين طبقنا فيهما البحث، النظر إلى الكمبيوتر والبريد الإلكترونى والإنترنت، باعتبارها إضافة إلى القيمة والإمكانات فى حدود المناطق التى تمثل لهن أموراً أهم، وهى تحديداً الحفاظ على مصدر الرزق والقضايا الاجتماعية. ورغم ذلك تعمل أجهزة الكمبيوتر على معاونة عدد محدود من النساء، استخدمنها بالفعل فى تحسين وتطوير الجوانب المهنية فى عملهن.

الخلاصة: الدروس المستفادة

عندما بدأنا هذا البحث، كنا آملين فى استطلاع ما يسهم به توفير فرص استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى تمكين الريفيات فى موزمبيق، على مستوى ما. وقد لاحظنا أننا أنفسنا استفدنا من الفرص التى وجدناها لاغتنام التكنولوجيات الجديدة. أكدت نتائجنا أنه برغم استفادة المبحوثات جوهرياً من استخدام التليفون المحمول والإذاعة المحلية، فإن معظم الريفيات لا ينظرن إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المشمولة فى الكمبيوتر (الكمبيوتر والبريد الإلكترونى والإنترنت) على أن فائدتها ترتبط بشدة بحاجاتهن المباشرة لما يحفظ عليهن حياتهن، أو على الأقل لا تفيد فى ذلك بدرجة مرضية. وفى بعض الحالات لم تكن تلك النساء واعيات بالإمكانات التى تتيحها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الموجودة بالكمبيوتر.

وقدرنا المسئوليات الهائلة التى لا نهاية لها الواقعة على عاتق الريفيات فى موزمبيق (والفقيرات الأخريات فى كل مكان بالعالم)، وتعلمنا جديداً عن أسلوبهن المنطقى فى اختيار الأولويات. كما لاحظنا أننا لا نستطيع وضع افتراضات معممة بشأن حاجات شخصية، ومدى استفادة الأشخاص، إذ يعتمد هذا على الخبرة الخاصة لهؤلاء. ولكن سنخطئ أيضًا إذا استخلصنا من ذلك أن تلك النساء غير قادرات أو غير راغبات فى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، استناداً إلى قيود تتصل بالتعليم، أو غياب الرؤية، أو عوائق ثقافية.

ووجدنا أن النساء بدأن فى اقتناء التليفون المحمول، واكتشفن أسلوبهن الخاص للتغلب على صعوبات الأمية واللغة والتكلفة، وتعاون مع بعضهن، واستخدمنه باعتباره أداة توسع من إمكاناتهن وقدراتهن، دون حاجة لتدريب تكنولوجى أو تجهيزات مسبقة. ربما كان هذا أفضل مثال على تمكين الذات باستخدام أشكال جديدة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وهذا الشيء الذى لم يحدث مع الأشكال الأخرى التى تتصل بالكمبيوتر، نظرا للطريقة التى تعرض بها هذه التكنولوجيا على الريفيات. ونؤيد الرأى القائل بأن الريفيات لن يستطعن اقتناء أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والأدوات الموجودة بالكمبيوتر، وتمكين أنفسهن المتحقق ترتبا على ذلك، إلا إذا وُلِىَ انتباه إلى جعل هذه الأشكال والأدوات مفيدة لهن. إذ لا تحتوى الأشكال المعروضة الآن من هذه التكنولوجيا إلا على قدر ضئيل مما يفيد الريفيات فى القضايا المرتبطة بتوفير أسباب الرزق لأنفسهن (مثل معلومات عن الأعمال التجارية البسيطة والزراعة)، هذا إلى جانب محدودية قابليتها للاستخدام وقدرتها على التنقل. إذا تم تدارك هذه العوامل، ربما تستخدم النساء تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الموجودة بالكمبيوتر بسهولة أكبر، حتى فى ظل العوائق القائمة فيما يتعلق بالوقت والمال والمهارات. ومقارنة بالتليفون المحمول، لا تقدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الموجودة بالكمبيوتر سوى قليل من تسهيلات التواصل للريفيات، إذ تستطيع النساء استخدام التليفون المحمول فى التحدث والتداول بشأن مشاغلهن حول توفير أسباب الرزق لأنفسهن.

ينبغى إدخال بعض التغييرات على المجتمع، الذى تخوض فيه النساء معركة كسب أسباب الرزق، وإذا لم يتم ذلك ستتسع الفجوة النوعية فى استخدام التكنولوجيا الرقمية. وقد ذكرنا من قبل، أن النساء لم يتحقق لهن التمكين عن طريق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتضمنة بالكمبيوتر، ليس لأنهن وجدن ما يتوفر منها فى مراكز الاتصالات غير مفيد لهن، ولكن بسبب أنهن يخضن معركة اجتماعية اقتصادية لكسب الرزق. ومن ثم، فقد يساعد تحسين ظروفهن الاجتماعية والاقتصادية على النظر إلى التكنولوجيا بشكل مختلف، ومن ثم على تمكينهن. وفى تلك المرحلة من التنمية، تكون الأولوية البارزة لدى النساء، هى الأدوات التى تزيد قدراتهن وإمكاناتهن فى المدى القصير، كأن تجعلهن قادرات على العمل بكفاءة أكبر، وتوفر لهن الوقت والتكاليف، وتحقق الاكتفاء الذاتى لهن ولأسرهن.

الخلاصة الرئيسية التى توصلنا لها، عندما يتجاوب شىء ما مع الحاجات الفعلية لمجموعة من الناس، سيكون متلائما معهم. وإذا قدمت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الموجودة بالكمبيوتر، حلا حقيقيا لمشاكل الريفيات المباشرة، لأقبلن على اقتنائها واستخدامها لتقوية قدرتهن على حل المشاكل، واتخاذ قرارات، وتحديد الاختيارات، والإقدام على التصرفات المطلوبة.

توصيات

نحو استخدام حقيقى لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتمكين من خلالها:

ليست استنتاجاتنا جديدة ونظريتنا سابقة لتطبيقنا. ونفهم الآن بشكل أفضل أنه لكى تصل الريفيات إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصال المرتبطة بالكمبيوتر الممكنة لهن لا يكفى توفير المعدات. ويعنى هذا أن مراكز الاتصال، والمؤسسات الأخرى المساهمة فى تنمية المرأة وتمكينها، يتوجب عليها بذل جهود كبيرة لتوفير المحتوى فى صورة قابلة لاستخدام الريفيات لها، ومن خلال مزيد من التأكيد على الإمكانات والقضايا الاجتماعية الاقتصادية التى تعطيها النساء وزنا. وتتضمن تلك القضايا الأسعار،

وأساليب الإنتاج الزراعى ورفاهية الأسرة. وربما يؤدى خلق ظروف اجتماعية اقتصادية أخرى، مثل توفر أسباب الرزق، إلى مساعدة النساء فى الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المرتبطة بالكمبيوتر، وأن يتم تمكينهن عبر هذا الاستخدام فى عدد من النواحى (ليست بالضرورة اقتصادية).

وكما نوصى السعى إلى إنشاء بنية تحتية تمتاز بفاعلية الاتصال والكفاءة، حتى يتحسن أداء تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ويتم دمج الأشكال الموجودة بالكمبيوتر منها مع التكنولوجيات الأخرى، لتعظيم إمكانية أن تؤدى كل منها إلى تيسير سعى النساء نحو ظروف وحقائق تؤدى إلى تمكينهن. وحتى تزيد إمكانية وصول المعلومات والمادة المتصلة بالنساء، المتوفرة على شبكة الإنترنت، يمكن توفيرها خارج الشبكة فى مراكز الاتصال وخلال الإذاعة أيضا، باللغة البرتغالية والمحلية؛ ويمكن بالمثل تشجيع تبادل المواد عبر التليفون المحمول، فى حالة إتاحة تلك التكنولوجيا فى المناطق الريفية.

وعلاوة على هذا، فالمعرفة بالقراءة والكتابة تعد أمرًا أساسيا، فمن دون القراءة والكتابة لن يكون هناك تمكين، وخاصة بالنسبة للنساء والفتيات (Sen 1999; Dighe and Reddi 2006). ومن ثم، نشدد على التوصية بتحسين معرفة النساء بالقراءة والكتابة فى المناطق الريفية. ونؤمن بأن معرفة النساء القراءة والكتابة، إذا اجتمعت مع زيادة المحتوى الذى يهم النساء، يمكن أن يؤدى إلى أن تصبح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الموجودة فى الكمبيوتر أساسا تستند عليه النساء فى سعيهن إلى أسباب الرزق والسيطرة على حياتهن.

المراجـــع

Alsop, R., M. Bertelsen and J. Holland (2006) *Empowerment in Practice – from Analysis to Implementation*, Washington, DC: World Bank.

Bush, R. and J. Folger (1994) *The Promise of Mediation*, San Francisco, CA: Jossey-Bass.

Carnoy, M. (1975) 'The role of education in a strategy for social change', *Comparative Education Review*, 19(3).

Dighe, A. and U. Reddi (2006) *Women's Literacy and Information and Communication Technologies: Lessons that Experience Has Taught Us*, Commonwealth of Learning – Commonwealth Education Media Centre for Asia. Fórum Mulher/SARDC WIDSAA

(2005) *Beyond Inequalities 2005: Women in Mozambique*, Maputo and Harare: Fórum Mulher/ SARDC.

Johnson, K. (2003) 'Telecentres and the gender dimension: an examination of how engendered telecentres are diffused in Africa', Unpublished MSc thesis, Georgetown University, Georgetown. MAE (Ministério de Administração
Estatal) (2005a) *Perfil do Distrito de Manhiça. Província de Maputo. Série Perfis Distritais*, Maputo: MAE.

— (2005b) *Perfil do Distrito de Sussundenga. Província de Manica. Série Perfis Distritais*, Maputo: MAE.

Muchanga, A. and F. Mabila (2007) '2006 Mozambique telecommunications sector performance review', Unpublished report, Maputo: Universidade Eduardo Mondlane. Norwegian Agency for Development

Cooperation (1999) *Handbook in Gender and Empowerment Assessment*, www.norad.no/default. asp?V_ITEM_ID=967, accessed29 March 2008. Payton, F., L. Kvasny, V. Mbankn and

A. Amadi (2007) 'Gendered perspectives on the digital divide IT education and workforce', Proceedings of the 9th International Conference on Social Implications of Computers in Developing Countries, São Paulo.

Sen, A. (1987) *On Ethics and Economics*, Oxford: Blackwell.

— (1992) *Inequality Re-examined*, Oxford: Oxford University Press.

— (1997) *On Economic Inequality*, Oxford: Oxford University Press.

— (1999) *Development as Freedom*, New York: Knopf.

— (2003) 'The importance of basic education', Full text of Amartya Sen's speech to the Commonwealth Education Conference, Edinburgh, available at: www. guardian.co.uk/education/2003/ oct/28/schools.uk4.

Sen, A. and M. Nussbaum (eds) (1993) *Capability and Well-being: The Quality of Life*, Oxford: Oxford University Press.

Sharma, U. (2003) *Women's Empowerment through Information Technology*, New Delhi: Authors' Press.

Stephen, A. (2006) *Communication Technologies and Women's Empowerment*, New Delhi: Rajat.

UNDP (2006) *Human Development Report 2006 – Beyond Scarcity: Power, Poverty and the Global Water Crisis*, New York: UNDP.

United Nations (2005) *Gender Equality Equality and Empowerment of Women through ICT*, New York: Division for the Advancement of Women, Department of Economic and Social Affairs, United Nations.

World Bank (2002) *Empowerment and Poverty Reduction: A Sourcebook* (Draft), World Bank, siteresources. worldbank.org/intempowerment/Resources/486312-1095094954594/draft.pdf, accessed 31 March2008.

الفصل الثالث

البحث فى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عندما لا تتوفر شبكة كهرباء مضمونة دراسة حالة من ريف جنوب أفريقيا

جوسلين مولر

خلفية

يوجد اهتمام متزايد فى جنوب أفريقيا بالدور الذى قد تلعبه أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى زيادة فاعلية برامج الحد من الفقر، وتحقيق أهداف التنمية فى الألفية الثالثة. وتتحدث الأدبيات فى أغلب الأحوال حول أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، الإنترنت على سبيل المثال، باعتبارها "طاقة نور" للبلدان النامية (Gurumurthy 2004; World Bank 2004). ورغم هذا، يتم التغاضى دائما عن إمدادات الطاقة الكافية كشرط لازم للتنمية التى يحتمل تحقيقها بواسطة أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

ويستهدف هذا الفصل استطلاع ما تعتقده النساء فى المجتمعات الريفية الصغيرة فى جنوب أفريقيا، حول القيود والفوائد المتحققة من توفير خدمات الطاقة

(باسـتـخـدام نظام مـينى هايبـيـرد mini-hybrid system) وعـــلاقـة هذا بـالوصـول لاستـخدام أشكال بعينها لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مثل التليفون المحمول والإذاعة والتليفزيون.

تعانى البلدان النامية – وخاصة سكان الريف فيها – من نقص استثمارات البنية التحتية والخدمات الاولية، بما فيها توفير الطاقة اللازمة. ونادرا ما تصل نظم الإمداد بالطاقـة إلى المناطـق الريفـيـة، وهى لا غنى عنها لاسـتـخدام مـعظم أشكال تكنولوجيا المعلومات؛ بل إننا نشـهد اتجـاهاً فى العـقود الثـلاثة المـاضيـة لتـضـاعُف عـدد من لا تصلهم الكهرباء فى المناطق الريفية فى أفريقيا (مثلمـا تضـاعف العدد ثلاث مـرات فى المناطق الحضرية، نتيجة للتوسع الحضرى) (ITDG 2005). وقدرت وكالة الطـاقة الدولية (IEA 2006) القيمـة الإجمالية للحاجة إلى الاستثمار فى الكهرباء بنحو ٢٠٠ مليار دولار حتى عام ٢٠١٥، لخدمة نصف الأشخاص الذين يعيشون على أقل من دولار واح فى اليوم. وهكذا، تندر اسـتـفادة سكان المناطق الريفـيـة النائية، حيث ما زال الفقـر مـخيمـاً، من الازدهار الذى دفعت إليه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فى الحضر بشكل أساسى. وإذا كان جنى ثمار مجتمع المعرفة ممكنا بالنسبة للبعض، إلا أنه يكاد يكون مستحيلا بالنسبة للغالبية. ولا تزال آثار "تساقط الثمار" المنتظر بعيدة المنال.

والنساء آخر من يتوقع له جمع ثمار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى أفريقيا جنوب الصـحـراء، إذ تتـراوح نسـبـة الأسـر التى تعـولهـا نسـاء مـا بين ٥٠٪ و٨٠٪ من الأسر المعيشية الريفية، هذا فـضلاً عن هـجـرة الرجال إلى المراكز الحضـرية سعيا إلى الوظائف، تاركين زوجاتهم (ITDG 2005). وقد يكون هذا فى حد ذاته، سلاحـاً ذا حدين. ويعنى التقسيم النوعى للعمل، أن مسـئوليات النسـاء المنزلية، بما فيها العناية بالمرضى والمسنين والأطفال، تصـعب عليـهن الهـجرة، فلن يكون عليـهن مجرد "التقاط حـاجاتهن والرحيل" إلى المناطق الحضـرية. ويؤدى هذا الميل، انحراف نسـبة النسـاء إلى الرجـال فى الحـضـر، إلى ترجيح زيادة أن أن عـدد الرجـال المعرضـين للتعـامل مع تكنولوجـيـا المعلومات والاتصالات (غير المتاحة فى المناطق الريفـيـة)؛ وفضلا عن هذا، يملك الرجال

قوة شرائية أكبر، تمكنهم من شراء تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الراغبين فيها، أو الوصول إلى فرص استخدامها. ولذلك تقل احتمالات امتلاك النساء تكنولوجيات المعلومات والاتصالات، مثل التليفزيونات والتليفونات المحمولة والإذاعة، بل بالأحرى يستخدمن دخلهن فى تلبية حاجات الأسرة المعيشية من طعام وكساء وحاجات الأساسية الأخرى.

ويقدر أن ٩٠٪ من سكان الريف الأفريقى، وغالبيتهم نساء، ما زالوا يعيشون بلا كهرباء. ولهذا تعانى النساء من فقر الطاقة بنسب غير عادلة، مما يجعل وضعهن أضعف إزاء ما يترتب على ذلك من آثار (Clancy and Khamati-Njema 2005). وهكذا، اتخذ فقر الطاقة، وفقر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات طابعًا نوعيًا.

وفى أفريقيا، حتى المناطق التى يتاح فيها للسكان فرصًا للوصول لمصادر الطاقة سواء التقليدية (مثل المولدة بالفحم) أو متجددة، تكون كفاءة الإمدادات متواضعة فى الغالب، بحيث لا يمكن الاعتماد عليها. ويرجع السبب فى ذلك إلى فشل الحكومات فى توفير استثمارات لصيانة البنية التحتية القائمة، أو خدمتها (ITDG 2005). ويحد هذا من الخدمات وأشكال التكنولوجيا التى يمكن استخدامها. ويرتبط بهذا العامل، حقيقة أن الأسر الفقيرة لا يكون فى متناولها غالبًا استخدام الكهرباء؛ فيترتب على هذا توجيه تلك الأسر استخدامها من الكهرباء إلى التليفزيونات الأبيض والأسود، وأجهزة الراديو والإضاءة، بدلا من استخدامها فى الخدمات الحرارية كثيفة الطاقة مثل الطهو وتدفئة الجو. ويوضح هذا تقلص مستوى استهلاك الكهرباء للفرد فى أفريقيا، من ٤٣١ كيلو وات فى الساعة إلى ١١٢ كيلو وات فى الساعة، من ١٩٨٠ إلى ٢٠٠٠ على التوالى، وهو ما يشير إلى وجود طلب مكبوت وغير ملبًى، الشىء الذى يمكن إرجاعه عموما إلى زيادة مستويات الفقر (ibid.).

أصبحوا ينظرون الآن بشكل متزايد إلى أشكال التكنولوجيا المعتمدة على الطاقة المتجددة باعتبارها الطريق الواجب اتباعه، وكان هذا من ناحية استجابة إلى الاهتمام العالمى والإقليمى بنقص خدمات الطاقة الحديثة فى معظم أفريقيا، وبسبب تأثير مصادر

الطاقة التقليدية على البيئة من ناحية أخرى (مثل الحصول على وقود من الفحم). ورغم هذا، لا يمكن لمصادر الطاقة المتجددة التى يتم نشرها حاليًا، تلبية أى من الحاجات الملحة للنساء (كنوع اجتماعى) من الطاقة، مثل وقود الطهو وتسخين المياه. وهو ما كان من شأنه معالجة أى من المشاكل المتعلقة باستخدم مصادر الطاقة التقليدية – مثل عدم كفاءة استخدام الوقود الخشبى، وتركز الانبعاثات البيئية محليًا نتيجة لاستخدام بقايا المحاصيل والمخلفات الحيوانية كوقود، والآثار السالبة على الصحة نتيجة للدخان فى الأماكن المغلقة، وخسارة الوقت الذى يستغرقة جمع المواد المستخدمة فى هذه الأنواع من الوقود. كما يوجد عامل آخر يعوق انتشار أو التغلغل الأبعد مدى لأنواع التكنولوجيا المعتمدة على الطاقة المتجددة، ويتمثل فى أنهم نادراً ما يعمدون إلى تقييم معدل الكفاءة الوظيفية لبرامج الطاقة المتجددة، فى تجاوز التنفيذ أو مواعيد الإنجاز، ولذا تصبح فى معظم الأحيان باهظة التكلفة ومحدودة المردود (Villavicencio 2002).

نطاق البحث

يعرض هذا الفصل بحثًا أجرنياه وفقا لمنهج البحث بالمشاركة، فى رحلة بحثية إلى لوسينجوينا (Lucingweni)، وهى قرية نائية فى كيب الشرقية، بجنوب أفريقيا. وشاركت نساء من القرية فى عملية مصممة للوقوف على ما لديهن من معرفة وتقييمات، بخصوص ترتيبهن للحاجات الأكثر إلحاحا من الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتأثيرها على إحداث تحول فى التفكير، بغرض تعزيز مستوى واضح من التمكين للنساء، اللاتى يتم إقصاءهن فى معظم الأحيان إلى مواقع ثانوية فى المجتمع (Hill 2003).

وفى ٢٠٠٤، اتفقت هيئة تنظيم الطاقة الوطنية فى جنوب أفريقيا (National Energy Regulator of South Africa) (بتكليف من وزارة التعدين والطاقة Department of Minerals and Energy)، على إنشاء نظام شبكة مصغرة لمزيج من المصادر (mini-grid hybrid system) فى لوسينجوينى (Lucingweni)، كمشروع تجريبى لكهربة الريف بالطاقة المتجددة، وقامت شركة شل للطاقة الشمسية بتركيبها. وكان نظام

الطاقة المتجددة يتألف من مصفوفة سعة ٥٠ كيلو وات من شل للطاقة الشمسية، ١٠٠ وات وحدات كهرو ضوئية (PV)، و٣٦ كيلو وات من مولدات تعمل بواسطة الريح. وتم توصيل ٢٢٠ أسرة فى القرية بالنظام، بحيث يتاح لكل أسرة أربعة استخدامات؛ فى الإضاءة، وجهاز راديو، وجهاز تليفزيون، وشاحن للتليفون المحمول. وصمم النظام على أساس إتاحة أمبير واحد كحد أقصى، فى حدود كيلو وات/ساعة يوميا كحد أقصى، مقارنة مع نحو ٦ كيلو وات/ساعة شهريا للأسرة فى نظام الطاقة الشمسية للبيوت القائم بذاته. ويقدر متوسط استهلاك الأسرة منخفضة الدخل من الكهرباء التقليدية، نحو ١٣٨ كيلو وات فى الساعة كل شهر. وكان نظام الشبكة المصغرة يستهدف أيضا توفير طاقة كهربائية لإنارة الشارع وضخ المياه. إلى جانب مد تيار ٢٣٠ فولتًا إلى متجرين، وأحد مرافق التخزين بواسطة بطارية، من المفترض أن تمد المركز المجتمعى المحلى بخدمات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات العامة.

وربما كان توسيع أنشطة المركز المجتمعى المحلى، حتى يصبح فى نهاية الأمر أحد مراكز الحكومة المجتمعية المحلية متعددة الأغراض "Multi Purpose Community Centres (MPCCs)"، جزءًا من الخطة الحكومية المتكاملة لتوصيل الخدمات إلى الريف. وكان مقررًا للمراكز المجتمعية المحلية متعددة الأغراض، أن تكون طريقة أساسية لتطبيق التنمية من خلال توفير خدمات المعلومات والاتصالات للسكان، لضمان توفر المصادر اللازمة لهم من أجل تحسين مستواهم المعيشى. ويفترض أن نظام الشبكة المصغرة سيوفر الكهرباء التى يحتاج إليها المركز المجتمعى المحلى متعدد الأغراض فى لوسينجوينى.

وفى عام ٢٠٠٥، بدت لوسينجوينى كموقع مثالى لاستكشاف الفرص المتوفرة لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إذا تم تقديم خدمات الطاقة الأساسية بواسطة تكنولوجيا الطاقة المتجددة، فى المواقع الريفية النائية. ورغم هذا، ففى الزيارة الأولية لفريق البحث إلى الموقع، بدا التاريخ المتعثر للنظام واضحًا، وأن الصعوبات

ما زالت قائمة. وقد أطلعنا السكان على مشاكل من بداية نظام الشبكة المصغرة فى ٢٠٠٤ ما زالت مستمرة. كان من بينها عدم الثقة فى تواصل الإمداد، وغياب الصيانة الكفء اللازمة لتقديم الخدمات وتشغيلها، وعدم توفر القدرة التكنولوجية المحلية، مثل عدم توفر مكونات النظام محليًا. وحتى أثناء وبعد هذا البحث، نشأت مشاكل عديدة، منها حسم ملكية النظام ما بين الوزارات المختلفة، وأمور متعلقة بالفساد، وكان أهمها التخريب واسع النطاق الذى أصاب منظومة الألواح الشمسية فى فبراير ٢٠٠٧، واتضح تدريجيا أن كل خبرة نظام الشبكة المصغرة فى لوسينجويني، الذى بدأ بتوقعات هائلة حول التنمية، كانت لها آثار شديدة السلبية على المجتمع المحلى.

منهج البحث

وداخل هذا السياق المركب، أجرينا بحثنا حول الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، من أجل تمكين النساء فى جنوب أفريقيا. وتبنينا منهج التنمية التى محورها البشر، المبنى على النظر إلى الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات ومفاهيم النوع الاجتماعى بصورة متكاملة فى طريقة البحث (Ead, 1997). واستخدمنا أساليب البحث بالمشاركة (participatory research methods): المناقشة الجماعية المركزة (focus groups)، ومقابلات التعبير الحر (free attitude interviews- FAI) (Buskens 2005b)، ومقابلة تعديل السلوك (transformational attitude interview -TAI)، (Buskens 2005b)، وأيضًا رصد الأثر .(outcome mapping-OM) (Earl et al. 2001) واخترنا كل هذه الأساليب التشاركية لخلق حوار مع النساء بهدف الوصول للتمكين، بما يتضمنه ذلك المشاركات فى الدراسة. وحاولنا باتباع هذا المنهج الوصول إلى عدد من الأهداف:

- إدخال أدوات وتقنيات مشاركة النساء الداعية بوضوح إلى تبنى أسلوب التعليم والتفكير فى حياتهن.

– تطوير مهارات النساء والثقة في استخدام أساليب وتقنيات كيفية وتشاركية بعينها.

– عرض المنهج التشاركي على النساء بهدف أن تندمج فيه رؤاهن حول الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بصورة خلاقة، بحيث يعكس قيمهن وحاجاتهن ورغباتهن الفردية والجماعية على السواء.

– تطوير قدرات النساء في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

وفي البداية، قصد فريق البحث إشراك النساء اللاتي لديهن فرص استخدام الطاقة الناتجة عن نظام الشبكة المصغرة. ولكن وجدنا أن لوسينجويني تتكون من ٦ قرى، ولا تشكل المنطقة التي دخلت فيها الكهرباء من خلال نظام الشبكة المصغرة سوى جزء من المجتمع المحلي. وكان هناك إلحاح من المجتمع المحلي على ضرورة تمثيل القرى الأخرى. وبادروا بانتخاب سيدة واحدة من كل قرية للمشاركة في مشروع بحثنا. واختيرت المشاركات الآتيات: زانيلي مانجكسا Zanele Mangxa، ونونتوبيكو لاندولي Nontobeko Landule، سينديسوا مانيبا Sindiswa Manipa، وسيلفيا سكواتي Sylvia Skwati، نوزاميلي نوكوسيني Nozamile Nkosini، ونوثيساوا نكوسيني Nothiswa Nkosini. ومن خلال هذا المنهج، استكملت الدراسة، حيث أصبحنا قادرين على تطوير فهم أكثر اتساعًا للتنوع في المفاهيم حول وجود فرص الحصول على الطاقة في المنطقة واستخدامها، وكيف يؤثر ذلك على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في لوسينجويني.

ومن خلال رواية سير حياتهن، وانعكاس حقائق الحياة التي يعشنها عليهن، عبرت المشاركات عن تصورهن للتأثير الذي قد تتركه الطاقة، وأشكال محددة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على حياتهن (Mbilinyi 1992). واستهدفت عمليات مقابلة تعديل السلوك، بشكل أساسي، النساء المقيمات في لوسينجويني، للتعرف على تصورهن حول الأساليب التي تسهم بها الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في إحداث تحسن في مستوى معيشتهن.

تحديد المفاهيم الرئيسية وتأسيس رؤية

قبل التعامل مع القضايا الأساسية المتعلقة بالتطوير الممكن تحقيقه بواسطة الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، كان علينا تخصيص وقت لنحدد مع المشاركات مفاهيم الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وهذا جزء جوهرى من عملية التمكين، بما أن اجتذاب مساهمة جدية من المشاركات، يعتمد على المعنى الذى تخلقه عندهن المفاهيم والقضايا والخيارات المتاحة المتصلة بالموضوع، قبل تحديد ما لديهن من أهداف فى تطوير الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

تأسيس رؤية حول الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التنمية فى لوسينجوينى

وبعد المناقشات التى تمت باعتبارها مقدمة علمت على تركيز مفاهيم الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، طبقنا "عملية عاكسة"، وكررناها مرة أخرى، حتى تصبح المشاركات قادرات على تحديد رؤيتهن الفردية والمشتركة، فيما يتعلق بالطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى لوسينجوينى. وفعلن هذا من خلال رؤية انعكاس حقائق حياتهن المتصلة بالطاقة واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والعقبات التى يجدنها مانعة لاكتمال الصورة؛ فضلاً عن استكشافهن للإستراتيجيات الممكنة للتغلب على العقبات. وحتى نتعرف على أولويات المجتمع المحلى للطاقة، طلبنا من المشاركات تخيل أن أحلامهن حول الطاقة تحققت، وتحفز هذه العملية قدرة النساء على الإبداع فى تصور احتمالات جديدة، وتلهمهن فى العمل على الوصول لرؤية مشتركة. وطورت كل مشتركة منهن رؤيتها الخاصة، ثم تبادلت أفكارها مع المشاركات المجاورات لها والمجموعة. وأصبحت الرؤية الفردية رؤية مشتركة. وبلورت رؤيتهن الجماعية حول الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أشكال الطاقة التى يرغبن فى توفيرها لهن حتى يتمكن من:

(١) الأنشطة المنزلية

- الطهو.
- تسخين الماء.
- ضخ الماء.
- الإنارة، بما فيها إنارة الشوارع.
- شحن التليفونات المحمولة.
- أداء الأعمال المنزلية، الإنارة.
- الاستماع إلى الإذاعة.
- مشاهدة التليفزيون.

(٢) خدمات مجتمعية محلية

- مراكز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التى بها كمبيوترات وخدمة فاكس وبريد إلكترونى وطباعة واستخدام لشبكة الإنترنت، ونسخ على الآلة الكاتبة، وماكينات تصوير فوتوغرافى.
- تقديم الطعام، برنامج تغذية المدارس.
- دعوات لتجمعات مجتمعية محلية، استخدام الإذاعة، كتابة خطابات، استخدام الرسائل النصية القصيرة.

(٣) أعمال تجارية صغيرة

- متاجر سبازا(*)، تليفونات للاستخدام، أدوات إنارة وتبريد.

(*) Spaza shop باللهجة العامية فى جنوب أفريقيا تعنى متاجر صغيرة، تدار غالبا من المنازل الخاصة. (المترجمة).

- صالونات تصفيف الشعر
- مجموعة للخياطة.
- زراعة الفواكه والخضروات، ضخ المياه اللازمة للرى.
- مرافق لتنظيف الملابس.

كانت سيلفيا قادرة على عكس الشروط الجوهرية التى تمثل حياتها، واسترسلت فى الحديث عن جوانب خبراتها حول الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وأعطتها أكبر قيمة، وأوضحت اعتزامها تحسينها فى المستقبل. وعبرت عن أمنياتها بقولها:

"إذا سارت الأمور كما أريد، أود أن تكون عندى كهرباء، حتى أستطيع تشغيل جهاز الراديو، وشحن تليفونى، وأتمكن من الطهو. فسيتيسر لنا شحن تليفوناتنا، إذا كانت لدينا كهرباء".

كما عبرت زانيلى فى جريدتها المصورة عن رؤيتها أيضاً:

"عندما فكرت فى هذا الحلم، لم يكن لدى فهم ولضح عما يجرى، ولكن الآن، يمكننى الإحساس باقترابى من النجاح. أستطيع رؤية نفسى وقد أصبحت عندى كهرباء ومشروع للغاز، وتوجد فى مدارسنا أجهزة كمبيوتر يتعلم الأطفال عليها. هذا حلمى، ألتقط لنفسى صورة وأنا واقفة أمامه".

ونلفت الانتباه، إلى أن تكوين رؤية مستقبلية، بمثابة تجربة استكشافية، إذ يتضمن استكشاف الاحتمالات استناداً إلى لحظات استثنائية، تغذيها الحقائق المعاشة. وضعنا كل امرأة من المشاركات فى العمليات العاكسة بهذا البحث، أمام تحدى تقديم تصور عن مستقبل أفضل، على أن يكون التصور عملياً. ومن ذلك أن يكون له أساس فى سيرتها الشخصية، وأن يكون مبتكراً فى الوقت نفسه أيضاً، وبناء على فهمها لقدراتها الحالية، وهكذا تفكر فى زيادة إمكاناتها فيما يتجاوز تصورها الحالى عن نفسها.

واقع حياة النساء

اكتشفت المشاركات فى البحث معنا، وجود تناقض بين أحلامهن وظروف حياتهن فى الوقت الحاضر حينها، وذلك برسم خريطة تعبر عن واقعهن الحالى، والعقبات الداخلية والخارجية التى تحول دون أحلامهن. واعتبرنا العقبات الداخلية، عوامل قابلة للتحكم فيها، أو أننا نملك التأثير عليها، بينما تحول دون وصولنا إلى أحلامنا، مثل مهارات معينة أو سلوك أو اتجاهات عاطفية. وكانت العقبات الخارجية، ما لا نملك التحكم فيها إلا قليلاً، أو لا نستطيع التحكم فيها إطلاقًا، مثل خلفيتنا الاجتماعية الاقتصادية وبيئتنا وثقافتنا النوعية.

ووصفت نوزاميلى فى جريدتها المصورة واقع حياتها، واستخدمت الطهو كمثال، مزجت فيه فهمها المحمل بمضمون نوعى حول النساء باعتبارهن مستخدمات للطاقة ومقدمات لها، فكتبت ما يلى:

> "التقطت صورة لجارتى وهى تطهو فى قدور سوداء؛ وعندما نضج الطعام قدمته فى الصحون لأسرتها. كانت تطهو باستخدام الحطب الذى جمعته من الغابة؛ والغابة بعيدة جدا، ولكنها الطريقة الوحيدة التى نعيش بها هنا فى لوسينجوينى. ولدنا فى ظل هذا الوضع، ولكننا راغبون فى تحسين أسلوب حياتنا لو استطعنا. باستطاعتنا رؤية المناطق الأخرى تعيش أفضل مما نحن فيه. وأود لو كانت لدينا هنا فى لوسينجوينى إضاءة (كهربائية)".

واستطاعت سينديسوا أيضا إيضاح الفرق بين استخدام الرجال والنساء للحطب.

> "الرجال لا يستطيعون استخدام الحطب فى إشعال النار، إنهم يهدرونه باستخدام أكثر مما يلزم، لأنهم لا يعرفون أنه يجلب من مكان بعيد، وأن جمعه أمر صعب".

وأيد ما عكسته النساء عن حياتهن، أولويات استخدام الطاقة فى البلدان النامية؛ فى الطهو ضمن الأعمال المنزلية، تليه التدفئة والإنارة. وظهر نفس الميل عند أسر لوسينجوينى، إذ يستخدم فى الطهو عمومًا، جمع بين عدد من مصادر للطاقة، تصنف فى معظمها

كمصادر تقليدية (مثل الروث وبقايا الزراعات، والوقود الخشبى)، ومصادر وسيطة (مثل الكيروسين) أو حديثة (مثل البترول السائل، وبيوجاز، وإيثانول جيل، والزيوت النباتية، وثانى ميثيل الأثير، والكهرباء): ولا تلبى الخدمة المقدمة من مشروع الشبكة المصغرة فى لوسينجوينى تلك الحاجات من الطاقة التى لها الأولوية.

وتتكرر حاجات الطاقة التى أعطتها النساء أولوية، بناء على خبرتهن حول الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات:

"يجف فى فصل الصيف ماء النهر الذى نجلب منه، حتى فى الأنهار الكبيرة. وتوجد لدينا صنابير، كنا نظن المياه ستتوفر لنا خلالها، ولكن لم يحدث أى تقدم فى مشروع المياه. وليس لدينا علم بالمشكلة التى حالت دون ذلك. لقد ركبت الحكومة تلك الصنابير والأنابيب، ولكن المياه لم تصل بعد".

ويزداد الموقف سوءًا بسبب موسمية إمكانية الحصول على الماء، وقد تسبب ذلك فى مشاكل كبيرة هنا من قبل. و تأكد لنا هذا فى لقاء كان يهدف رصد صدى هذه المسألة:

"المياه مشكلة. وإذا وجدنا مياه قد لا تكون جارية، ورغم هذا نستخدمها حيث لا توجد بدائل أخرى. ونشرب هذه المياه ونطهو بها. فنصبح أمام مشكلة الكوليرا. وتأتى الممرضات إلينا مع خيامهن، لأن الناس يمرضون من شرب المياه الملوثة. والآن، نغلى المياه كما علمتنا الممرضات، وهكذا يمكننا بهذه الطريقة القضاء على الكوليرا فى القرية. وعندما نغلى المياه نستخدم الحطب الذى جمعناه من الغابة".

وفقًا للمشاركات، تفاقمت الأزمة الصحية لقلة فرص الوصول إلى عيادات الرعاية الصحية، وقلة خدمات المواصلات العامة والتليفون فى المنطقة. فإذا عولجت العقبات المعيقة للتنمية باعتبارها مشاكل ملحة، وتم تذليلها بنجاح، ستكون الأشكال المختلفة من تكنولوجيا الطاقة فى المناطق الريفية (تقليدية أو متجددة) قادرة على تخفيف التوترات.

وتنظر النساء إلى نظام الشبكة المصغرة لخدمات الطاقة الأساسية الذى وفروه إلى ٢٢٠ أسرة فقط، كنوع من التمييز. فى حين شكت بعض النساء من مشاكل نظام

الشبكة المصغرة للطاقة، وكانت امرأة مثل نوثيسوا التى تعيش فى جزء آخر من القرية، محبطة، لأنها وأهلها مستبعدون من النظام:

"قريتى لم يصل إليها التيار الكهربائى، وسمعت الناس تتحدث عن التيار الكهربائى (المولد من نظام الشبكة المصغرة)، ويقولون إنهم غير معجبين به. وكم وددت لو كان لدينا فى قريتى مثله حتى أتحقق من الأمر بنفسى، وأعرف عما يتحدثون".

وقالت سيلفيا أيضا إن الجزء الذى تعيش فيه من القرية لم يصله التيار الكهربائى بعد، وقالت:

"مازلنا نجد صعوبة إذا رغبنا فى شحن تليفوناتنا المحمولة، لأن عليك إعطاءه (التليفون) لشخص يكون ذاهبا إلى البلدة، حتى يشحنوه لك هناك، وعليك دفع مقابل ذلك".

وقالت أيضا، رغم أن الأسر متصلة بالنظام، فإنهم يكادون لا يستفيدون شيئًا، لأن الخدمة أساسا للاستخدام فى الإنارة وشحن التليفونات المحمولة فقط، فلا يستطيعون استخدامها لأجهزة الراديو أو التليفزيون، لأنهم سيحتاجون حينها لهوائى خاص، ولا يستطيع معظم الناس تحمل شرائه:

"عديدون لديهم تليفون محمول، ولكن التليفزيون نادر. ويحتاج الشخص إلى هوائى ليصل إليه الإرسال الإذاعى أو التليفزيونى".

واشتكت سينديسوا من إمدادات الطاقة التى تصلهم، حيث لا يمكن الوثوق فى الاعتماد عليها. وقالت إنهم فى الحالات التى كان النظام يعمل فيها، لم يكن استخدامه متاحًا إلا ساعتين فى اليوم فقط. ووفقا للنساء، لم تكد تلك المناسبات "الخاصة" تزيد على ستة أشهر تقريبا من الاستخدام المتواصل. وعندما يتوجه الأهالى لسؤال موظفى المكتب المحلى للمشروع، الذين ركبوا النظام، أو القادة المحليين التقليديين، يقولون لهم إما أن استخدامهم للنظام مفرط مما يسبب ضغطا عليه، أو أن مكونات معينة هلكت وطلبوا توريد أخرى لتحل محلها.

وتسلم سينديسوا بأنه فى الحالات التى يعمل فيها نظام الطاقة المتجددة، تستخدم أكثر الأسر المتصلة به التيار الكهربائى فى الطهو. وكانت إحدى مشاكل النظام كما تقول:

> "كهرباء ضعيفة جدا. قيل لنا إننا لا نستطيع الطهو باستخدامها، ولكننا أحيانا نكون راغبين فى ذلك، وخاصة عندما نرهق من جمع الأخشاب. وقد اشترى بعض الناس مواقد كهربائية، واستخدموها فى الطهو، وتسبب هذا فى تعثر التيار. ولم يقولوا لنا إذا ما كان انقطاعه بسبب استخدامنا للمواقد أم لا".

ويفوق هذا المستوى من الاستهلاك تصميم نظام الشبكة المصغرة. ويبدو أنهم لم يطلعوا الأهالى بشكل كافٍ على النظام ومستوى الطاقة التى يمكنه توفيرها.

ويوفر نظام الشبكة المصغرة فرصًا فعلية لاستخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات. وصورت لنا النساء مدى إتاحة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى نشر المعلومات على نطاق أوسع من ذى قبل؛ إذ تجعلهم التليفونات المحمولة على سبيل المثال، قادرات على التحدث مع أشخاص قد يكونون على بعد آلاف الكيلومترات؛ ويمكنهن التليفزيون من رؤية ماذا يحدث فى الجانب الآخر من العالم (أحيانا حتى فى وقت حدوث الحدث مباشرة)، وتتيح لهن الإنترنت، إذا كانت لديهن فرص لاستخدامها، إمكانية مباشرة لتبادل المعلومات. وعبرت نوثيسوا عن إحساس عالٍ بالعزلة المادية، وشعرت أن تكنولوجيات المعلومات والاتصالات تمثل مفتاحًا للوصول إلى الخدمات العامة وتقلل شعورها بالعزلة، ويؤدى هذا الشعور بالعزلة عن خدمات وأسواق ومؤسسات الحكومة والمعلومات، إلى المطالبة بتعبيد الطرق كمسألة ملحة.

وأثناء الحوار، استطاعت النساء إدراك التفاوت القائم فى فرص التوصل إلى تكنولوجيات المعلومات والاتصالات واستخدامها. وأوضحت نوزاميلى؛ فى البداية لم يكن سوى رجل واحد لديه فرصة استخدام التليفون المحمول، لأنه كان يعيش ويعمل فى المراكز الحضرية (مثل زوجها). ينشأ الحرمان التاريخى والثقافى والاجتماعى الاقتصادى الذى تعانى منه النساء من محدودية فرص وصولهن إلى الموارد،

التى من شأنها إتاحة شراء المواد التى تعد "أدوات رفاهية"، مثل التليفونات المحمولة. كما ينظر أيضا إلى محدودية نفوذهن فى اتخاذ القرار عند تحديد مشتريات الأسرة كأحد العوامل التى ينبغى أخذها فى الاعتبار.

واتضح لنا، أنه بصرف النظر عن الصعوبات، فقد استخدمت نساء لوسينجوينى أشكالاً مختلفة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى أغراض مفيدة لهن، مثل التليفونات المحمولة. كما شجع برنامج الطاقة المتجددة على اقتناء التليفونات المحمولة، وعلى الأنشطة التجارية الصغيرة جداً، التى تعالج أشياء مرتبطة بالتليفونات المحمولة وشحن بطارياتها. وبالفعل قالت نوزاميلى:

> "يشحن ابنى البطاريات للآخرين بالقرية، ويفعل هذا مستمدا الطاقة (الطاقة الشمسية، محولة من سيارة) من بطارية وعاكس كهربائى، حيث لا توجد لدينا كهرباء فى هذه القرية".

وأعلنت النساء صراحة أنهن يفهمن فى تكنولوجيا التليفون المحمول أفضل من الرجال، لأنهن أساساً ليس لديهن نقود كافية لشراء رصيد، فتعلمن إرسال الرسائل النصية القصيرة واستلامها. وتقول سينديسوا:

> "الطريقة التى أستخدم بها تليفونى تختلف عن الرجال. أفضل الرسائل النصية القصيرة. الرجال لا يحبون ذلك، وهم فى كل الأحوال لا يعرفون طريقة استخدامها. لا يقتنع الرجال بها. إنهم يخشون ألا يكون مع الشخص على الطرف الآخر، نقود للرد على الرسالة. والنساء أكثر دراية باستخدم التليفون المحمول، ويعرفن معظم الخصائص، لأننا ليست لدينا نقود كافية لإجراء مكالمات".

وكان من النيّات الأساسية لمشروع الطاقة المتجددة التجريبى فى لوسينجوينى، إنشاء مراكز مجتمعية محلية باعتبارها جزءاً منه. ووفقا لما قالته النساء، كان العقد متضمنا بناء مراكز لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وقالت نوزاميلى:

> "فى العقد، وعدوا القرية بأنهم سيبنون منشأة فيها كمبيوترات لتستخدمها القرية، ولكن هذا لم يحدث، بدلاً من ذلك أقاموا مبنى صغيراً مكوناً من قاعة، ولكن لم تظهر أى كمبيوترات".

وكان من المفترض توفير وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للاستخدام العام بالمركز، وكانت نونتوبيكو حريصة على أن يتوفر لها استخدامها. إذ كانت راغبة فى تعلم مهارات الكمبيوتر ، حيث رأت أنه سيزيد فرصها للحصول على وظيفة. وكانت تدرك أن فرص استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ستعزز وتطور قدراتها.

خـلاصـة

فى حين لا تعتبر الطاقة نفسها حاجة أساسية، إلا أنها شرط لازم لتلبية حاجات أساسية. وتفهم الحاجات الأساسية على أنها متطلبات الحد الأدنى لاستمرار الحياة، مثل تأمين الغذاء، وما يمكن توفره من رعاية صحية، وإمكانية الحصول المياه النظيفة، والمرافق الصحية الملائمة. وتتضمن أيضا قدرة الوصول لفرص تعلم ومعلومات تسمح للأفراد والمجتمعات بالاستخدام الخلاق للسلع والخدمات الأساسية المتاحة. واتضح أن برامج الطاقة المتجددة فى لوسينجوينى لم تستفد بها واقعيا الأسر الريفية على النحو الموصوف، أو ما كان متوقعا منها، وخاصة بالنسبة للحاجات الأساسية التى عبرت عنها النساء اللاتى تحدثنا معهن.

واتضح أيضا أن فرص استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات ليست واقعيا فى متناول الغالبية العظمى من الناس، مثل المشاركات فى البحث. ويعوق نقص البنية التحتية والخدمات الأساسية توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. كما يعوق نقص مصادر الطاقة الكافية والملائمة والموثوق فى إمكانية الاعتماد عليها، فرص الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخدامها. إذ يحتاج الكمبيوتر إلى تيار كهربائى لتشغيله، والشىء نفسه بالنسبة للتليفزيون والإنترنت. ومع مستويات توصيل الكهرباء الحالية فى أفريقيا، لن يكون هناك سوى احتمال محدود أن تلعب تكنولوجيا المعلومات والاتصالات دوراً فى التنمية المستدامة.

المراجـــع

Buskens, I. (2005a) 'The free attitude interview manual', GRACE Methodology Workshop, 9–21

July, Khaya Lembali, Durban, www.GRACE-Network.net.

— (2005b) 'Transformational attitude interview', GRACE Methodology Workshop, 9–21 July, Khaya Lembali, Durban, www.GRACE-Network.net.

Clancy, J. and B. Khamati-Njenga (2005) 'Concepts and issues in gender and energy', Energia in cooperation with ETC Netherlands, pp. 1–78.

Eade, D. (1997) *Capacity Building: An Approach to People-centred Development*, Oxfam.

Earl, S., F. Carden and T. Smutylo (2001) *Outcome Mapping: Building Learning and Reflection into Development Programs*, Ottawa: International Research Centre.

Development Gurumurthy, A. (2004) 'Gender and ICTs: overview report', Brighton: IDS.

Hill, M. (2003) 'Development as empowerment', *Feminist Economics*, 9: 117–35.

IEA (International Energy Agency) (2006) 'World energy outlook2006', Paris: IEA/OECD.

ITDG (2005) 'Energising poverty reduction in Africa: Europe's chance to help light up Africa', Practical Action.

Mbilinyi, M. (1992) 'Research methodologies in gender issues', in R. Meena (ed.), *Gender Theoretical Issues*, Harare: SAPES, pp. 31–70.

Villavicencio, A. (2002) 'Sustainable energy development: the case of photovoltaic home systems', Discussion paper, Roskilde: UNEP/Risoe.

World Bank (2004) 'Engendering information and communication technologies: challenges and opportunities for gender- equitable development', Washington, DC: Gender and Development Group and Global Information and Communication Technologies Departments, World Bank, www.worldbank.org/gender/ digitaldivide/ict_brochure.pdf, accessed August 2008

الفصل الرابع

استخدام الريفيات التليفون المحمول
لتلبية الحاجة إلى الاتصال
دراسة حالة من شمال نيجيريا

كانزانكا كومفورت، وجون دادا

هذا الفصل محاولة للتعرف على مدى استخدام نساء شمال نيجيريا للتليفون المحمول لتلبية الحاجة للاتصال لديهن. يحمل اتجاه العالم إلى تطوير تكنولوجيا التليفون المحمول ضمن ما يحمل، مزايا مختلطة فيما يتعلق بتمكين النساء. ويسهم استخدامها في اندماج بنية الأسرة القائمة حاليا وتفتتها في الوقت نفسه. ويهدف هذا البحث إلى الوقوف على التحديات التي تواجه ريفيات شمال نيجيريا والفوائد التي تعود عليهن، إذا قررن استخدام التليفون المحمول. وستساعد هذه النظرة المركزة أيضا على التعمق في مدى تأثير نقص فرصهن في الحصول على تليفون محمول على أسلوب تلبية النساء حاجاتهن للاتصال.

يمكن بسهولة ملاحظة وجود تفاوت نوع اجتماعي في ملكية التليفونات المحمولة، وفرص الحصول عليها واستخدامها. ويركز هذا البحث بالكامل على هذه النقطة، لأنها تساعد في تحديد مدى مساهمة نساء هذا الجزء من نيجيريا في "الانتشار الكبير" للتليفون المحمول الذي راج استخدامه في البلاد بشدة.

النساء اللاتى يعشن فى المناطق الريفية، المحرومة بشكل خاص أكثر من غيرها من التعامل مع العالم الرقمى، فتواجه النساء عقبات مزدوجة متعلقة بالنوع الاجتماعى، والموقع الجغرافى على السواء. ويأتى دورهن فى أكثر الحالات فى نهاية سلسلة استهلاك تكنولوجيا المعلومات (Mulama 2007). وتضع أعباء إدارة أسرة معيشية ريفية حملاً ثقيلاً من العمل اليومى على كاهل النساء، ولا تترك لهن تقريبا وقت فراغ حتى يتعرفن على أشكال التكنولوجيا الحديثة.

فى نيجيريا، تمثل النساء غالبية فقراء الريف (تصل نسبتهن إلى ٧٠٪)، ويلعبن دوراً أساسياً فى إستراتيجيات البقاء داخل الأسرة المعيشية. هذا بينما تشغل نيجيريا الترتيب ١٣٩ من بين ١٥٧ دولة فى مؤشر الفقر البشرى؛ وتأتى فى الترتيب ٨٠ من بين ١٠٨ دول نامية. وتشغل أيضا الترتيب ١٣٩ من ١٥٧ دولة وفقا لمؤشر النوع الاجتماعى (UNDP 2007). ورغم أن النيجيريات يعملن بالزراعة المعيشية، ويشاركن بالكامل فى الإنتاج الزراعى والحصاد والتخزين والتسويق، فإن مكافئ قوتهن الشرائية ما زال عند ٦٥٢ دولاراً، بينما يبلغ المكافئ بالنسبة للرجال ١٥٩٢ دولار (ibid).

وقد لوحظ بوضوح، وجود دور محفز لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى تشجيع التنمية لدى شعوب العالم الفقيرة والمهمشة (SDC 2005). على سبيل المثال، شعرت النساء فى قطاع النسيج اليدوى فى جنوب نيجيريا أن التليفونات المحمولة سهلت أعمالهن التجارية (Jagun et al. 2007). واستفادت النساء بشكل أساسى من خطوط المساعدة الريفية للمعلومات فى بنجلاديش، سواء كمقدمات للخدمة أو مستفيدات منها (Raihan 2007). ورغم هذا ففى الريف النيجيرى، كانت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تستلزم التمتع بمكانة اجتماعية، ومن ثم اتجهت إلى تأكيد التفاوت النوعى القائم. على سبيل المثال، ظل جهاز الراديو الترانزستور لوقت طويل رمزاً للمكانة بالنسبة للرجل الريفى، وكان عادة يشترى البطاريات لجهازه على حساب الأشياء الضرورية للأسرة المعيشية. وتكرر الموقف نفسه، بالنسبة لملكية الرجال للتليفون المحمول واستخدامهم له.

وتعنى مسئوليات النساء الخاصة تجاه الأطفال والمسنين أنهن لا يستطعن الهجرة بالمثل إلى المراكز والمدن بالسهولة التى يستطيع الرجال أن يفعلوا بها ذلك؛ وحيث فرص تعلم أشكال التكنولوجيا الجديدة متاحة فعليا.

ولهذا، سرعان ما تصبح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات علامة إضافية على الفجوة النوعية بين الرجال والنساء، حيث تكون فرص حصول النساء على مصادر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وفرص استخدامها محدودة. (Wakunuma 2006; Mulama 2007).

خلفية البحث

شهدت نيجيريا نمواً كبيراً فى عدد الاشتراكات فى خطوط التليفون المحمول من ٢٥ ألف خط تليفونى فى مايو ٢٠٠٠ إلى ٤٥٥٣٦٢٣١ خطاً فى ٢٠٠٧، كما أصبح فى نيجيريا ٨ ملايين مستخدم للإنترنت فى سبتمبر ٢٠٠٧، أى ما نسبته ٥,٩٪ من السكان (Internet World Stats n.d.). ورغم هذا، لا توجد بيانات مصنفة على أساس النوع والريف والحضر، لتعكس الزيادة البطيئة فى المناطق الريفية، أو فرص حصول النساء على هذه الأجهزة. ولقد حدث هذا النمو الضخم، رغم ارتفاع تكاليف التليفونات المحمولة؛ إذ تتكلف فى المتوسط ٦٠٠ دولار أمريكى فى العام، أى ما يساوى تقريبا ضعف نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالى.

وفى نيجيريا، يعيش ١٤٠ مليون نسمة، أكثر من ٧٠٪ من السكان، فى المجتمعات المحلية بالريف، حيث لا توجد تليفونات أرضية، ولا حتى كهرباء أيضا. ونظراً للتكلفة المنخفضة لمحطات التليفونات المحمولة الأساسية، وامتداد نطاق تغطيتها، أصبحت مناطق ريفية عديدة تستقبل تغطية الشبكة بدرجة أو أخرى. وبسبب هذه التغطية غير المقصودة، توفرت إمكانات الاتصال بادئ الأمر فى قريتين بمنطقة كافنشان. وفى نهاية ٢٠٠٥، بنيت محطتان أساسيتان فى كافنشان بواسطة شركتين متخصصتين

فى تقديم خدمة التليفون المحمول، سيلتل وإم تى إن. ونتجت عن ذلك زيادة كبيرة مفاجئة فى عدد المستخدمين للتليفون المحمول.

وعلى عكس ذلك، ورغما من الجهود التى تبذل منذ خمس سنوات لتنشيط التليفونات الأرضية، فإنها لم تسفر عن شىء. ومع توفر الخطوط الأرضية عند هذه التكلفة، فالاحتمال الأكبر استخدامها فقط فى الإدارات الحكومية ومنازل المواطنين من الطبقة العليا والمتوسطة، بينما تتاح فرص الاستخدام العمومية بصورة غير منتظمة فى مواقع بعينها. وبالنسبة لبعض النساء اللاتى شاركن فى هذا البحث، كانت كل خبرتهن بالتليفون الأرضى، أنهن شاهدنه ولكنهن لم يشاهدنه أبداً أثناء استخدامه. وهكذا نشأت عن غياب خطوط التليفون الأرضية فى معظم أجزاء نيجيريا، فجوة ضخمة، ملأتها التليفونات المحمولة.

وجزئيا، قد يعود نمو التليفونات المحمولة الاستثنائى، إلى الثقافة الشفاهية القوية فى نيجيريا، والمستوى المنخفض لمعرفة القراءة والكتابة لدى السكان، مصحوباً بعدم تحول كثير من اللغات النيجيرية إلى صيغة رقمية بعد (Gardener 1994; UNICEF 2005). وتعمل مؤسسة فانتسوام على إنتاج أجهزة محلية تستخدم خمس لغات لأقليات من منطقة كافنشان، لجعلها متاحة فى صيغة رقمية. وسيؤدى ذلك إلى أن تصبح هذه اللغات أيضاً قابلة للاستخدام فى الرسائل النصية.

واكتشف أن استخدام التليفونات المحمولة لإرسال رسائل نصية، يكون "أسهل وأرخص وأكثر انتشاراً، ويمكن من خلالها وصول المعلومات السرية أو التى تحتاج إلى شىء من التكتم، وخاصة فى المناطق الريفية من جنوب أفريقيا التى ما زالت وصمة مرض الإيدز تشكل عقبة أمام الإفصاح عن الإصابة به" (Shackleton 2007: 6). وعند التعامل مع السكان الذين تنخفض لديهم نسبة معرفة القراءة والكتابة، وفى حالة عدم تحويل لغتهم الأصلية إلى صيغة رقمية، يتعذر استخدام هذه الوسيلة رغم أنها فى متناول الجميع.

منهج البحث

أجرت مؤسسة فانتسوام هذا البحث في كافنشان بنيجيريا. وهي تعمل على تشجيع خدمة التمويل متناهي الصغر للفلاحات الريفيات الشريكات في هذا المشروع. وتكون فريق البحث من بعض العاملين في مجال التمويل متناهي الصغر، ومدربين على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أكاديمية فانتسام.

وأعدت قائمة قصيرة من المشاركات، أدرجت فيها المتعاملات مع برامج مؤسسة فانتسوم للإقراض متناه الصغر اللاتي وضح لهن مشروع البحث، ومن يقمن في المجتمعات المحلية الأسهل في الوصول إليها بالطرق البرية فترة الدراسة، واللاتي أبدين اهتمامًا بالموضوع. وعلى هذا النحو كانت المشاركات من ١٣ مجتمع محليًا؛ زيكباك، وأونجوا ماسارا، ويايانلوكو، جاراجي٣، فادان كاجورو، وكيونياي، وأونجوا ريمي، وشينشوك، وزاكوا، ويانتاو، وأوريري، وكاتسيت، وزومونتا. وكان إجمالي عدد المشاركات ١٦٠.

واستخدمت في المشروع الأساليب البحثية التالية: جلسات بدعوات غير مرتبة (free call sessions)، وجمع المعلومات الأساسية، والمناقشات الجماعية المركزة، والمقابلات نصف المهيكلة، والانعكاس الذاتي، واستبيان. واختيرت أساليب البحث الكيفية هذه لضمان التغطية الكافية لخبرة المشاركات وتفهمها وتوثيقها. وعملنا وفق طريقة الأساليب المتعددة في التناول لتحسين مصداقية النتائج وتوفير فرص لنظرة من الأبعاد الثلاثة. وطبق الجزء الأساسي من البحث في الأماكن التي لغة سكانها المحلية الهوسا أساسًا. وساعد هذا على البناء السريع للاتصال، وأعطى قيمة أكبر للديناميكية الجماعية، والاتصالات غير اللفظية.

النتائج: التليفونات المحمولة توفر مزايا مختلطة

بسبب نقص خطوط التليفونات الأرضية في المجتمعات المحلية التي خضعت للدراسة، أصبح وصول خدمة التليفونات المحمولة تطورًا مرغوبًا فيه ومحمودًا. وأشارت مجموعات مختلفة من النساء اللاتي قابلناهن إلى مزايا مباشرة، وخاصة إلى مدى

مساعدته لهن فى أداء الاتصالات التى يحتجن لها. ورغم هذا فخلال تقدم البحث، ظهرت مسائل وملاحظات خفضت التقدير الأولى الكبير لقيمة التليفونات المحمولة الإيجابية. واتضح تدريجيا أن التليفونات المحمولة حققت بالفعل خليطًا من التأثيرات على المشاركات معنا فى البحث.

الاتصال الفورى

عرفت المجتمعات الريفية التى خضعت للدراسة، مستوى مرتفعًا من المرض والوفيات، نتيجة لانتشار مرض الإيدز. وكانت التليفونات المحمولة توفر لهم وسائل فعلية وسريعة لإبلاغ الأقارب المقيمين فى أماكن بعيدة، وتخفيف القلق بخصوص ترتيبات الدفن والشئون المرتبطة بذلك.

تكلفة تشغيل التليفونات المحمولة باهظة

نظام الرسوم الخاصة بشبكة التليفونات المحمولة من الأنظمة الاستغلالية للغاية. ونظرا لضعف إشارة التغطية فى بعض المناطق، ربما يخسر المستخدمون مبلغًا كبيرًا فى محاولات التقاط الاتصال. وعليهم أن يشحنوا التليفون بالرصيد حتى مع فشل إجراء الاتصال. بالإضافة إلى ذلك، عندما أدخل التليفون المحمول لأول مرة، كانت فترة صلاحية كروت الشحن ١٥ يومًا فقط؛ إذا لم يستخدم الكرت خلال تلك الفترة تنتهى صلاحية الاستخدام، ويصبح من الضرورى الشحن مرة أخرى بواسطة كارت جديد. وعندما يكون على امرأة ما إنفاق آخر نايرة معها لإجراء مكاملة لأقاربها فى مكان بعيد لطلب مساعدة، وعندما لا تستطيع الوصول برسالتها إلى الطرف الآخر بسبب ضعف تغطية GSM (النظام العالمى/القياسى للتليفون المحمول)، فإنها تشعر أنها خدعت، لأن عليها دفع مقابل مكالمة لم تجرها.

وترى معظم النساء الرسوم باعتبارها بيت الداء. وبالنسبة للقادرات على نقل تكلفة مثل تلك الرسوم، إلى زبائنهن أو أقاربهن البعيدين، تكون بمثابة تكلفة ضرورية. ولا ينظر نظام التسعير لدى بعض مقدمى الخدمة، فى واقع أن بعض المكالمات لا تصل إلى الأقارب فى الطرف الآخر البعيد. وكل هذا معناه بالنسبة "هاجو"، وهى إحدى المشاركات فى المشروع، دفع التكلفة الكاملة للمكالمات الفاشلة، حتى ولو كانت قد اقترضت لتستطيع إجراء تلك المكالمة. وهذا يجعل التكلفة اللازمة لمكالماتها أكثر مما تستحق: "هل يجوز الاقتراض لدفع ثمن مكالمة تليفون مع ابنى، حتى يرسل لى مبلغًا من المال، ثم لا تنجح المكالمة فى الاتصال به، ويبقى علىّ شحن رصيد لإجراء مكالمة أخرى، قد لا تنجح أيضا".

فى بعض الأحيان، يؤدى ضعف كفاءة خدمات التليفونات المحمولة إلى إحجام الناس عن استخدامها. ويحدث أن تتوقف الخدمة المقدمة من شركات التليفون المحمول نهائيا، أو يكون الاستقبال رديئًا جدًا لعدة أيام، دون تقديم شرح أو اعتذار للمستخدمين. وخلال فترات الخدمة الضعيفة، (يتسبب الاستقبال الضعيف لإشارة النظام العالمى القياسى للتليفون المحمول، إلى جودة منخفضة للصوت) يستمر خصم وحدات من رصيد كروت الشحن، مما يضاعف خسارة المستخدم.

امتلاك تلك التليفونات المحمولة مكلف أيضا

ركزت المشاركات فى مشروع البحث، على عدم قدرتهن على تحمل تكلفة التليفون المحمول أساسًا. ولم تنجح محاولتهن تكوين مجموعات فيما بينهن، باشتراك ست أو سبع منهن معا فى تليفون واحد بسبب وجود عقبات أنهت المحاولة. ورغم أن نساء فى مجتمعات محلية أخرى، مثل كوى وكاجورو وزونكوا، يستطعن تحمل تكلفة تليفون محمول خاص لكل منهن فإن تغطية إشارة نظام التليفون المحمول (GSM) لم تكن متوفرة هناك. إذ لم تكن الشركات الكبرى لخدمة التليفون المحمول قدمت خدماتها بعد إلى تلك المجتمعات وقت إجراء الدراسة. ويوضح هذا مرة أخرى أن نيجيريا سوق سريعة النمو للتليفون المحمول: فمن لحظة لأخرى يزداد الطلب على العرض كثيرًا.

وكانت لدى النساء فى أماكن مثل زيكباك وأونجوا ريمى وأوريرى وشيشوك فرص للحصول على الخدمة، وقدرة على تحمل رسوم الاستخدام، وصار التليفون المحمول بالنسبة لهن أداة حيوية لقضاء حاجاتهن اليومية للاتصال سواء بالأسرة، أو لأغراض تجارية.

لاحظنا أن مجموعات النساء اللاتى لديهن فرص للوصول إلى الشبكات فعليًا، واللاتى لديهن القدرة على استخدام التليفونات المحمولة لأداء حاجاتهن فى الاتصال، كن جميعا من المجتمعات المحلية فى المناطق شبه الحضرية، حيث تتوفر فرص لتوليد الدخل. ومن ثم كان لدى تلك النساء مستوى أعلى من الدخل المتاح.

ولا بد أن نفهم مسألة قدرة الحصول على تليفون محمول فى سياق ميزانيات أسر النساء المعيشية. ورغم أن دراستنا لم تتطرق لبحث أنماط توزيع ميزانية الأسرة المعيشية، فإن دراسة بانيرجى ودوفلو (Banerjee and Duflo, 2006) حول أنماط استهلاك الفقراء فى ١٦ دولة، كشفت عن أن قدراً كبيراً من الميزانية ينفق على بنود غير الغذاء، مثل المشروبات الكحولية والكرنفالات. وكانت الاحتفالات سمة معتادة فى حياة المجتمعات المحلية فى دراستنا، ومن بين حاجات الاتصال التى رصدناها، تحويل نقود من أجل إقامة هذه الاحتفالات أو المشاركة فى مثل تلك الاحتفالات.

وفرت الجلسات التفاعلية (interactive sessions) عبر النقاشات الجماعية المركزة، فرصة لحصول المشاركات على معلومات مفيدة فى مجال كسبهن عيشهن. وحينما كن يطلبن استيضاح أمر، يبدأن دائما بعبارة "هل بالفعل...؟"، وكان الأمر عادة يتعلق بمسألة سمعن عنها بشكل عابر، سواء أثناء المناقشات التى كان أزواجهن يتداولونها، أو من مصادر أخرى. وكان هناك استفهام طريف حول مسألة التغيير المناخى؛ أرادت إحدى النساء معرفة مدى صحة ارتباط هطول الأمطار وتوقفها مبكرًا بالقضاء على الغابات بسبب أنشطة التعدين غير القانونية. ويوضح هذا السؤال تأثير الظاهرة العالمية على كسب الفلاحة لعيشها. ويشير أيضًا إلى أنه إذا كانت التليفونات المحمولة قد تفى بحاجات النساء للاتصال، فإنها لا تفى بحاجاتهن للمعلومات.

ميزانية الأسرة المعيشية وعلاقتها بكروت شحن التليفون

اشتكت بعض النساء لفريق البحث من أن أزواجهن يلجئون إلى إنفاق المال على شراء كروت شحن لتليفوناتهم، ولا يوجهونها إلى نفقات الأسرة المعيشية. إذ أصبح الآن لدخل الأسرة الهزيل منافس قوى، هو حاجة شراء كروت الشحن للتليفون المحمول.

وفى الحقيقة، فإن أسعار الاستخدام الحالية باهظة، ويلعب هذا الارتفاع فى السعر دورًا متفاوتًا فى تفاقم الصعوبات الاقتصادية ومشاكل السلطة داخل الأسرة المعيشية. ويأتى الاتهام باستخدام دخل الأسرة الضئيل فى دفع ثمن مكالمات من كلا الزوجين، رغم أن ما سمعناه كان من طرف النساء، حيث نجرى بحثنا معهن. ولكن إشارات بعضهن إلى بعض صديقاتهن اللاتى ربما تقترب أولوياتهن فى الإنفاق من أولويات الرجال فيما يتعلق باستخدام أموال الأسرة المحدودة فى المكالمات.

قد يعمل التليفون فى حدود ضيقة على تعزيز الإحساس بالسيطرة

يؤدى التفسير الدينى المحلى الذى يلزم النساء بالاحتجاب، إلى وجود قيود على "الفضاء المقبول" لوجود النساء؛ على سبيل المثال، يتوجب على بعض المسلمات الراغبات فى صفقات تجارية معينة الاستعانة بطرف ثالث. والآن، مع إتاحة فرصة الحصول على تليفون محمول، أصبح بإمكانهن الاتصال مباشرة مع شركائهن فى التجارة، دون حاجة إلى التحايل على وضع احتجابهن: "مع هذا الجهاز الذى فى حجم قبضة اليد، أكون أقل اعتمادًا على أطراف ثالثة فى عملى بالتجارة، إذ أستطيع التحدث مباشرة مع عملائى".

اتصالات يفضل إجراؤها وجهاً لوجه

توفر التليفونات المحمولة طريقة اتصال أقل تكلفة للمحافظة بالأقارب المقيمين فى أماكن بعيدة، مقارنة بالسفر لرؤيتهم. ومع ذلك، ففى شبكة العلاقات الوثيقة، حيث يفضل الاتصال وجها لوجه، يبدو التليفون المحمول متعارضًا مع الحميمية. وعبرت إحدى المشاركات عن هذا فقالت: "أستطيع سماع صوته جيداً، ولكن أشعر أنى بحاجة إلى رؤية وجهه لأتأكد أنه يفهم ما أقول. يبدو وكأن هذا الشىء المحمول يزيد المسافة التى تبعده عن وطنه".

ويزداد عمق الشعور بذلك "البعد" والإحساس بالعزلة عندما يكون الصوت رديئا تماما (كما هى العادة) أو عندما لا تكون المكالمات ناجحة. "كل مرة بعد التحدث مع ابنى فى التليفون المحمول، وهو يعيش فى المملكة المتحدة، أشعر أن هناك شيئًا مفتقداً فى محادثتنا". وسرعان ما تفتقد هذه المشاركة الشعور بالراحة مع بداية حديثها مع قريبها، وهو ابنها المغترب: "لأن التحدث مع شخص لا تراه لا يجعلك تشعر أن المحادثة جيدة".

اسبتدال اتصالات تتم فى العادة وجها لوجه بالمكالمات التليفونية، قد لا يتلاءم مع الثقافة التى تؤمن بأن "الحديث يكون فى الوجه" كما يعبر المأثور النيجيرى عن أفضلية الاتصال وجها لوجه عن الاتصال الصوتى الذى يوفره التليفون المحمول. ومع ذلك، يؤدى تراخى الروابط العائلية التقليدية الحميمة تدريجيا، مع سعى الأفراد وراء عائد اقتصادى بعيدا عن وطنهم، إلى أن يصبح التليفون المحمول الخيار "الأفضل من لا شىء".

تعرف مجموعات النساء التى شاركت فى الدراسة عموما القيمة الاقتصادية للاتصال الأسرع فى التعاملات التجارية عبر استخدام التليفون المحمول والتحويلات المالية، مع تقليل الوقت واختصار المسافات عن طريق التكنولوجيا. لكن تلك التكنولوجيا تسبب قلقًا لدى مجموعة نساء شينشوك، بقدر ما تستبدل العلاقات المباشرة

داخل نظام الأسرة الممتدة. كن قلقات من التأثير السلبى لاستمرار استخدام التليفون المحمول على الروابط الحميمة للأسرة الممتدة التى تعمل باعتبارها شبكة أمان ومصدراً لتبادل المساعدات.

بينما يمكن للتليفون المحافظة على استمرار العلاقات بتكلفة أقل، فإن المكالمة التليفونية (وخاصة عندما يصاحب إجراءها حرص شديد على مقدار تكلفتها) تكون غير مرضية عاطفيا. وقالت إحدى السيدات أنها لا يمكنها إجراء محادثة شافية، فى حدود المبالغ المالية التى تستطيع تحمل إنفاقها على المكالمات. وبالنسبة لشعب لديه مثل هذه الثقافة الشفهية القوية، فإن محادثة مرضية لا بد أن تستغرق وقتًا أطول. ويعمل الشعور الذى تسفر عنه العزلة فى عكس اتجاه تمكين هؤلاء النساء.

ومن ثم، فالتكنولوجيا التى بها إمكانية هائلة للتمكين الاقتصادى، مثل حالة المسلمات اللاتى لهن شركاء فى التجارة، يحتمل أن يكون لها أيضًا تأثير عاطفى يحدث اضطرابًا. وربما كان تأثير العزلة الناتج عن هذه التكنولوجيا بارزًا فى المجتمعات ذات العلاقات الحميمة، حيث يعتبر الاعتماد المتبادل وسيلة للبقاء المشترك. وإذا اعتبرنا النساء، الرابطة التى تحافظ على سلامة كثير من المجتمعات الريفية، فلا بد أن ينظر إلى تأثير هذه التكنولوجيا على شعورهن بالتقدير لذاتهن وأدميتهن.

استخدام كروت الشحن باعتبارها تحويلات نقدية

يتزايد استخدام التليفونات المحمولة فى إرسال مقادير صغيرة من المال إلى الأصدقاء والأقارب. وتستخدمها بعض المشاركات لإرسال نقود المصروف الشخصى ونفقات السفر إلى أولادهن الملتحقين بمدارس بعيدة عن وطنهم، حيث يشترين شحنًا على الهواء ويرسلنه إلى شفرة، يمكن من خلالها تحويله إلى نقد فى أحد أكشاك التليفونات المحمولة على جوانب الطريق.

اكتشف بائعو السيارات المستعملة من قبل إمكانات استخدام نظام تحويل النقود عبر التليفون المحمول من أجل توسيع نطاق الشراء، فهم يفضلون تجنب حمل مبالغ

مالية كبيرة معهم. ويبدو أن لجوء مجتمع، مثل ريف نيجيريا، إلى عدم التعامل النقدى، نتيجة غير مقصودة وغير متوقعة من هذه التكنولوجيا.

أكشاك التليفونات فى الشوارع تحقق مكاسب فائقة

وأصبحت التجارة فى توفير خدمة التليفوان المحمول، مصدراً مفيدا لتوليد الدخل بالنسبة للمشاركات اللاتى مارسنها. وكن يتقاضين عمولة أيضًا فى مقابل التحويلات النقدية التى ترسل عبر التليفون المحمول.

ومثلت امرأة تدعى أساس (Assas)، نموذجًا للنساء اللاتى بدأن فى تقديم خدمة التليفون المحمول لزيادة دخلهن، وحددت نوع التليفونات الذى ستستخدمه فى أنشطة مركزها للاتصالات التليفونية. ويمكن التعرف على مبادرة أساس التجارية من عرضها مكالمات مجانية على المشاركات فى بداية هذا البحث. فكان تقديمها التليفون للنساء على هذا النحو ليجرين مكالماتهن، يعنى أنها توفر لهن إمكانية الاتصال. ونود التأكيد على أن المهم فى المشروع ليس قابلية الحركة فى التليفون، بل كيف يؤثر إمكان توفير المكالمة أيا كان التليفون. ويظهر هذا بوضوح عندما سمعت أساس أن منافستها وقعت عقداً للحصول على خط أرضى من الخطوط التى كانت مطروحة فى الفترة الأخيرة. فجاءت إلى مؤسسة فانتسام (Fantsuam Foundation) للتفاوض على قرض جديد حتى تستطيع هى الأخرى التسجيل فى هذه الخدمة الثابتة. وقد خسرت بالفعل عددا من زبائنها الذين انصرفوا لمنافستها، لأنها وعدت بعرض مكالمات أرخص عبر اتفاق الامتياز الجديد.

كانت أساس تكسب ما يعول أسرتها، إذ ترعى خمسة أطفال فضلاً عن والديها. وذلك من خلال نشاط مركزها للاتصالات التليفونية، بالإضافة إلى وظيفتها أثناء النهار كمعلمة فى مقدمة القواعد الأساسية للكمبيوتر. ومن ناحية أخرى، كانت صفية تقطع رحلة شاقة طولها ١٥ كيلو متراً، فوق دراجة نارية تستأجرها، من قريتها إلى كشك التليفون على الطريق السريع، لتستخدم التليفون وتتمكن من إجراء المكالمات وتلقيها.

وكانت تحتاج لجعل تلك المكالمات جزءا من وظيفة ثانوية، تكمل لها دخلها من عملها اليدوى فى الزراعة. ومثلت تكلفة السفر والوقت الذى يستغرق، واحتمالات أن يكون الصوت ضعيفا لضعف لاستقبال الإشارة فى الكشك بالشارع، إلى زيادة العبء على ما تتكلفه صفية لتلبية حاجاتها للاتصال.

رخيصة، لكن استخدامها غير متاح: الرسائل النصية

لا تستخدم المشاركات خاصية الرسائل النصية القصيرة تقريبًا، رغم أنهن إذا استخدمنها ستصبح تكلفة التليفون فى حدود استطاعتهن. ويرجع ذلك لقلة معرفتهن بالقراءة والكتابة، إلى جانب تفضيل الاتصال الشفهى كما تقتضى الثقافة السائدة. ويضاعف استخدام تلك المجتمعات لأكثر من لغة، تعقيد قضية معرفة القراءة والكتابة. ففى حين تستخدم لغة الهوسا فى التعاملات الاقتصادية الخارجية واليومية فى أغلب الأحوال، كانت غالبية النساء يستخدمن لغاتهن الخاصة، مثل لغة جو أو إتياب أو جوروك أو فانتسوام، فى حديثهن مع أفراد أسرهن والأصدقاء. وعلى هذا، فبينما توفر لهن التليفونات المحمولة فرصة التحدث بلغاتهن الأصلية، كانت الرسائل النصية تتطلب معرفة القراءة والكتابة سواء بلغة الهوسا.

وهكذا، يؤدى امتلاك جهاز التليفون المحمول فقط، دون تزويده بخيار الرسائل النصية القصيرة باللغات الأصلية، إلى بقاء هذه التكنولوجيا بدرجة كبيرة، بعيدة عن المتناول، ومكلفة بسبب أمية الريفيات فى شمال نيجيريا.

الخاتمة

ركز سؤال البحث على أسلوب ريفيات شمال نيجيريا فى جعل التليفون المحمول ملبيا لحاجاتهن فى الاتصال. وجدنا أن الاتجاه العالمى لتطور تكنولوجيا التليفون المحمول، يخلق احتمالات مختلطة فيما يتعلق بتمكين النساء، إذ يؤدى إلى آثار تدمجهن، وأخرى تهمشهن فى بنية الأسرة.

أثبت البحث أن:

- يمكن للتليفون المحمول تغطية الاتصالات التى لا يغطيها تليفون الخط الأرضى.

- تحتاج ملكية التليفون المحمول واستخدامه إلى تكاليف مرتفعة، الأمر الذى يعوق إمكانات استخدامه.

- لم تتمكن معظم المشاركات فى البحث فعليًا من استخدام الرسائل النصية القصيرة، رغم أنها خاصية تقلل تكلفة التليفون المحمول، لأنها رخيصة.

- يمكن أن تتسبب تلك التكنولوجيا فى نزاعات عائلية عندما ينفق أحد الزوجين نقودًا على اتصالاته بالتليفون المحمول، رغم وجود احتياجات للأسرة المعيشية أكثر إلحاحا منها.

- يمكن أن تحقق فرصة استخدام التليفون المحمول تمكينا اقتصاديا للنساء.

- يمكنها أيضًا إضعاف الروابط فى العلاقات التقليدية الحميمة بين الأقارب عندما تحل المكالمات التليفونية مكان الاتصال المباشر وجهًا لوجه.

كانت لطبيعة البحث الكيفية - المقابلات المركزة، والانعكاسات التى تثيرها الردود المسجلة، وتضمين استجابات النساء العاطفية - أهمية فى لفت انتباهنا (فريق البحث) إلى قضايا متنوعة، وفى رؤية الأشياء فى ضوء جديد. إذ يتم التعامل مع الصراع اليومى لمجرد توفير ضرورات الحياة كقضية مسلمة: يدخل الناس جميعًا هذا الصراع لأنه الأسلوب الوحيد الذى عاشوا به دائما. تدمج فى الروتين اليومى للصراعات المتنوعة، تحديات تضاف نتيجة لوجود إمكانية أو عدم وجود إمكانية استخدام التليفون المحمول. وأدت عمليات منهج البحث الكيفى إلى تمكين أفراد الفريق من العودة إلى الوراء قليلاً، وبحث طبقة إضافية من الصراع اليومى، أتت فى صورة جهاز يسمى التليفون المحمول.

كيف يجعل هذا الجهاز الحياة أسهل، ولماذ؟ وكيف ينتهى الأمر إلى أن يصبح فى بعض الحالات عبئا إضافيا؟ رأينا أن التليفون المحمول، الذى ينقل تحويلات النقود

بين الأصدقاء والأسر فى المراكز الحضرية بطريقة أسهل، لا يمكن التوصل إلى استخدامه بسرعة، أو يكون متاحا فقط عند تكلفة باهظة، وليست كل الآثار المنعكسة عنه إيجابية.

وفيما يتعلق بالتكلفة، لا تدخل بعض شركات تقديم الخدمة فى حساباتها تكلفة المكالمات التى لم تنجح فى فتح الاتصال مع أصحاب الأرقام المطلوبة. وربما يرجع هذا إلى برامج التحميل التى لا تفرق بين المكالمات الناجحة التى لم تتم، وسيتطلب ذلك مراجعة مقدمى الخدمة نظامهم فى إصدار الفواتير.

ولا توجد جماعة ضغط محلية لمواجهة ممارسات مقدمى الخدمة الاستغلاليين، فيما يتعلق بالاستقبال والرسوم المطلوبة. وطلب قاض بإحدى المحاكم أخيراً من مقدمى الخدمة رد المال إلى المستهلكين، طالما لم يستنفد فى مكالمات بعد أربعة أشهر من الحكم. وكما ذكرت حركة شئون المستهلك فى نيجيريا Consumer Affairs Movement of Nigeria (CAMON) "ما يتم الآن فى نيجيريا بالنسبة لخدمات النظام العالمى القياسى للتليفون المحمول، أن مقدمى الخدمات فى النظام يستغلون المستهلكين الأضعف" (٢٠٠٤: ٢).

أيدت نتائج بحثنا ما وصلت إليه مولاما (Mulama, 2007: 5) من نيروبى بكينيا، إذ لاحظت أن "المنافع التى تعود من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات محدودة إلى جداً فى المدن والمراكز الريفية، حيث تفتقر معظم المناطق الريفية للبنية التحتية والتجهيزات والمهارات اللازمة لاستفادة الاتصالات من تلك التكنولوجيات بصورة كاملة". عملت التليفونات على زيادة التوقعات فى تلبية الحاجات، ولكن قلة الإمكانات التى تلائم الوصول إلى الخدمة جعلت تحقيق تلك التوقعات شديد الصعوبة.

جاءت نيجيريا فى الترتيب ٩٤ فى مؤشر فجوة النوع الاجتماعى فى عام ٢٠٠٦ (Hausmann et al. 2006: 17). ورغم أن تصنيف المؤشر كان معتمدا على أربعة مجالات فقط، (المشاركة الاقتصادية والفرص المتاحة، وتحقيق مستويات من التعليم، والصحة

والبقاء على الحياة، والتمكين السياسى)، فإن النتائج دعمت تجارب غالبية النساء اللاتى شاركن فى هذا البحث. وبالنسبة لتلك السيدات، شكلت أدوارهن ومسئولياتهن، وفقًا للسائد حول النوع الاجتماعى، عقبة أمام إمكانية وصولهن إلى المواد والفرص المتاحة عبر استخدام التليفونات المحمولة. وهذا لا يقلل تقديرنا لتأثير العوامل الثقافية الأخرى التى ربما لا ترتبط بالنوع الاجتماعى بصورة مباشرة، مثل الطريقة التى يفضلنها فى توزيع ميزانيات الأسرة المعيشية النادرة، كأن يوجهن جزءًا أكبر منها إلى المهرجانات، وليس إلى تلبية الحاجة للاتصال.

أوضح البحث أن مدى استخدام الريفيات النيجيريات للتليفون المحمول فى تلبية حاجاتهن للاتصال، يكشف، إلى جانب أشياء أخرى، مدى تأثير الاتجاهات والتكنولوجيات العالمية المباشر والواضح على المستوى المحلى. وكشف البحث أيضًا عن تفضيل النساء لأدوارهن العائلية وحاجات الأسرة على رغبتهن فى استخدام لتكنولجيا المعلومات والاتصالات، إذ يعتبرنها الأهم: فعندما تحتاج الأسرة للوقت أو المال، وهى الموارد التى بإمكانهن توفيرها، ستسقط النساء من حسابهن استخدام التليفون المحمول.

ورغم أن التليفون المحمول يمكن استخدامه فى توليد الدخل، ومن ثم فهو يسهم فى التمكين الاقتصادى للنساء، فإن استخدامهن له قد يضعف أيضًا اتصالاتهن التقليدية فى علاقاتهن الحميمية مع أقاربهن، عندما تستبدل المستخدمات فرص الاتصالات الحية وجها لوجه، باستخدام التليفون المحمول. ولم يتيسر للمشاركات فى البحث، استخدام خاصية الرسائل النصية القصيرة، التى تجعل تكلفة استخدام التليفون المحمول فى متناولهن، حيث لا تتوفر لهن المعرفة بالقراءة والكتابة غالبًا، بالإضافة إلى انتمائهن إلى ثقافة تفضل الاتصال الشفهى.

وهكذا، أظهر بحثنا أن تكنولوجيات المعلومات والاتصالات لا تخدم تلقائيا حاجات النساء إلى الاتصال، وخاصة الريفيات. فمجرد امتلاك التليفون المحمول، دون وجود القدرة، أو توفر فرصة استخدام تكنيك متاح، مثل الرسائل النصية القصيرة، يجعل

هذه التكنولوجيا غير متيسرة بدرجة كبيرة، ومكلفة أكثر مما تطيق قدرة نساء شمال نيجيريا. وعلى هذا الأساس يقدم التليفون المحمول مجموعة مختلطة من القيم والآثار السلبية والإيجابية. ورغم أنه لا يمثل تلبية أمثل لكل حاجات الاتصال، فإنه أصبح سبيلاً إلى الحراك الاجتماعي والاقتصادى بالنسبة لبعض النساء.

وهكذا، ستكون خاتمة هذا البحث، توصية بتوفير التدريب اللازم لمجموعات النساء المختلفة على طريقة إرسال واستلام رسائل نصية قصيرة، بلغتهن المفضلة، مع الاهتمام بأن تكون الرسائل أبسط ما يمكن. وسيهدف هذا التدريب إلى تمكين حتى النساء محدودات المعرفة بالقراءة والكتابة، بداية من استخدام الرسائل النصية القصيرة، لتلبية حاجاتهن للاتصال.

وأخيرا، يحتاج التعرف على تأثير التليفون المحمول فى خلخلة العلاقات الحميمية فى المجتمعات المحلية، إلى مزيد من البحث.

المراجــع

Banerjee, A. V. and E. Duflo (2006) The Economic Lives of the Poor, Cambridge, MA: Abdul Latif Jameel Poverty Action Lab, Massachusetts Institute of Technology.

CAMON (2004) Consumer Link, Monthly bulletin of the Consumer Affairs Movement of Nigeria (CAMON) Centre for Consumer Protection, Competition, Trade, Environment and Sustainable Development, 1(1) July.

Fantsuam Foundation (n.d.) www. fantsuam.org, accessed 20 August 2008.

Gardener, L. C. (1994) Nigerian Literature: Oral and Written Traditions, www.usp.nus.edu.sg/post/ nigeria/orality.html, accessed 3 October 2007.

Hausmann, R., L. D. Tyson and S. Zahidi (2006) The Global Gender Gap Report, Geneva: World Economic Forum.

Hopetun, S. D. and L. Dunn (2006) 'Mobile opportunities: poverty and telephony access in Latin America and the Caribbean', Genderstanding Mobile Telephony. Women, Men and Their Use of the Cellular Phones in the Caribbean, Background paper, Mona: International Development Research Centre.

Internet World Stats (n.d.) Usage and Population Statistics, www.internetworldstats.com/africa. htm#ng, accessed 19 August 2008.

Jagun, A., R. Heeks and J. Whalley (2007) Mobile Telephony and Developing Country MicroEnterprise, Development Informatics Working Papers, IDPM, University of Manchester,www.sed.manchester.ac.uk/idpm/research/publications/wp/di/index.htm#wp, accessed 9 January 2008.

Mangha, E. T. (2005) ICT and the Education of the Girl Child, Paper presented at the African Regional Preparatory Meeting, Abuja, 3–7 July.

Mulama, J. (2007) A Rural–Urban Digital Divide Challenges Women, Inter Press Service, 15 February, www.ipsnews.net/, accessed 29 December 2008.

Raihan, A. (2007) Livelihood Case Studies, Development Research Network, www.pallitathya.org/en/ case_studies/index.html, accessed 27 December 2007.

SDC (Swiss Agency for Development and Cooperation) (2005) SDC ICT4D Strategy.

Shackleton, S.J. (2007) Women'snet. Rapid Assessment of Cell Phones for Development, Commissioned by UNICEF, Johannesburg: Newton.

UNICEF (2005) At a Glance, Nigeria Statistics, www.unicef.org/infoby country/nigeria_statistics.html, accessed 12 July 2007.

UNDP (United Nations Development Programmme) (2007) Human Development Report 2007/2008, Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Wakunuma, K. J. (2006) The Internet and Mobile Telephony: Implications for Women's Development and Empowerment in Zambia, Gender, ICTs and Development, www.womenictenterprise.org/ manworkshop.htm, accessed 23 January 2008.

Zitt Localization Project (n.d.) zitt. sourceforge.net/zitt.php?su=eng &ibe=2&PHPSESSID=c8e5d7d2f5 d0d083f930e7a9962fe383, accessed 20 August 2008.

الفصل الخامس

الحرفيات المصريات يواجهن متطلبات الأسواق الحديثة
بين المطرقة والسندان

ليلى حسنين

تصنع حرفيات مصريات كثيرات مشغولاتهن اليدوية، ولكنهن لا يشاركن فى عملية بيعها بعد ذلك؛ ويتلقين شريحة أرباح ضئيلة مما يدره بيع سلعهن. ومن هنا، نشطت إحدى المنظمات المصرية فى تشجيع استخدام الإنترنت بين الجماعات محدودة الدخل فى مصر، مع التركيز بشكل خاص على النساء، وهى منظمة التنمية عبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى العالم العربى (Information and communication technologies for development - ArabDev) وأثناء دورات التدريب التى نظمتها لهذا الغرض، تساءلت كثيرات حول مدى قدرة المنظمة على مساعدتهن فى بيع سلعهن باستخدام الإنترنت. ورغبت النساء والمنظمات غير الحكومية الداعمة لهن، فى استكشاف هذه الطريقة كأسلوب لتحسين الدخل.

وقد نشطت الجهات المانحة والفاعليات التنموية الداعمة للأنشطة المولدة للدخل فى مصر منذ سنوات، معتمدة على المشروعات متناهية الصغر والصغيرة باعتبارها أداة لتخفيف حدة الفقر. ووفقا لهذا التوجه، يعتقد أخصائيو التنمية أن النساء يحققن مكاسب إذا ما أصبحن صاحبات مشروعات، ولكن هل نجد شروط هذا النموذج الذى توجّه إليه النساء،

أن يصبحن صاحبات مشروعات، شروطًا واقعية؟ وهل امتلاك الشخص لمشروع، مهارة قابلة لأن تتعلمها معظم النساء؟ أم تغيب عن هذا التصور بعض العناصر الجوهرية اللازمة لتحقيق هذا النموذج واقعيًا؟ هل يصلح النموذج لتوجيه بناء المشروعات، وتحقيق الاكتفاء الذاتي لها، وتوفير "إمكانات النجاح" لها، أم أنه يحتاج توفر شروط بعينها فى السياق المحيط وأخذ العقبات التى تواجه النساء منخفضات الدخل ومحدودات التعليم فى الاعتبار، حتى يكون فاعلا (Mueller 2006; Ofreneo2006)؟

والأهم، هل توفر العولمة فرصة اقتصادية للمصريات المنتِجات للمشغولات اليدوية؟ وهل تمثل الأسواق العالمية موقعا حقيقيا لبيع المشغولات التى تنتجها المصريات، أم أنها تمثل واقعيا عقبات أمام تلك النساء، وتزيد من التفاوتات الاجتماعية الاقتصادية التى يواجهنها؟ وكان بحثى فى إمكانية استخدم الإنترنت فى تسويق مشغولات النساء اليدوية، على أساس مأسسة التجارة الإلكترونية فى مصر التى افترضنا حينها أنها ستحدث فى السنوات المقبلة، رغم عدم تحديد الحكومة آجال دقيقة لهذا. وقد استجابت وكالة تطوير صناعة تكنولوجيا المعلومات بوضع الأنظمة الإلكترونية الضرورية للبيع والشراء على الإنترنت. وأسست أنظمة التوقيع الإلكترونى فى ٢٠٠٥، الأمر الذى عبَّد الطريق أمام الاقتصاد الإلكتروني. وتعد المصادقة الإلكترونية على التوقيعات أمرًا أساسيا للمعاملات المالية الإلكترونية.

وبصرف النظر عن الفائدة التى تعود على الحرفيات المصريات فى التسويق عبر الإنترنت، فإني وجدت أن من أجريت معهن مقابلات لم يستفدن استفادة كبيرة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. بل فى الحقيقة، بات واضحًا أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تمثل مجموعة جديدة من القيود والتفاوتات والحواجز التى يواجهها الحرفيون. وبدا واضحا أيضا، أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لا تمثل سوى قسم محدود فقط من دائرة تسويق المشغولات اليدوية، وهناك أمور أخرى أساسية بدرجة أكبر فى عملية الإنتاج والتسويق، تحول دون تصدير المشغولات اليدوية المصرية. ويعد العائق

الأساسى أمام نجاح الحرفيات فى مشروعاتهن المتناهية الصغر، انخفاض مستوى الطلب على المشغولات المصرية فى السوق المحلى. وبالتالى، يصبح التأكيد على الأسواق المحلية للمشغولات اليدوية، حلاً أكثر واقعية بالنسبة لهن فى بناء مشروعاتهن التجارية المستقلة. وستشكل الأسواق المصرية مجالاً لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل تسويق حلٍ قادر على الاستمرار لبعض الحرفيات المصريات.

المنهج

قام التحليل فى هذا الفصل على أوضاع الحرفيات والمنظمات العاملة فى قطاع الحرف. ولاكتساب فهم شامل حول متطلبات التجارة على الإنترنت، قمت أيضا باستعراض القضايا التنظيمية والمسائل المتعلقة بالنقل فى تصدير المصنوعات، وقدمت تحليلاً سريعًا حول تجارة المشغولات اليدوية على المستوى الوطنى والدولى، فى نطاق ارتباطها بقطاع صانعات المشغولات اليدوية فى مصر. وكان السؤال الرئيسى: ما إذا كانت المشغولات اليدوية المصرية – وفى حالتنا، المشغولات التى تصنعها وتسوقها إناث – قابلة للتسويق ولديها قدرة على المنافسة على المستوى العالمى، وبالتالى يمكنها تحقيق دخلاً كافيًا لتغطية النفقات وتوليد أرباح. وفوق هذا، هل يؤدى استخدام الإنترنت إلى تذليل بعض القيود التجارية الموجودة، مثل احتكار وسطاء ينتزعون نسبة ضخمة من أرباح صناع المشغولات اليدوية، كما يحدث الآن؟

لم يكن فى نيتى توسيع الدراسة خارج مصر، ولكن لمقارنة الشروط الضرورية لنجاح التجارة الإلكترونية فى مشغولات المصريات اليدوية، كان من الضرورى فهم الآليات الشاملة لسوق المشغولات اليدوية. فقمت بزيارة لمعرض نيويورك للهدايا، وهو أكبر معرض دولى للمشغولات اليدوية، كمثال على السوق العالمى للحرف.

حول الحرفيات المشاركات فى البحث

قابلت فى الفترة من ٢٠٠٥ إلى ٢٠٠٦، عشر سيدات من مناطق مختلفة بمصر. واخترت مواقع جغرافية متنوعة، حتى يمكن تجاوز مسألة تعدد الثقافات فى المجتمع. وقمت لأغراض البحث بإجراء مقابلات مع سيدات قاهريات، من المجتمع المحلى لجامعى القمامة الجافة (الزبالين) الأقباط فى مصر القديمة، ومن سيوة وأسوان وحلوان، المنطقة الصناعية الجنوبية فى القاهرة. وبالإضافة إلى الحرفيات، أجريت مقابلات مع بعض مسئولى المنظمات غير الحكومية المرتبط نشاطها بموضوعنا، وكانت بشكل أساسى، منظمة بشاير وتعاونيات النساء التى تدعمها منظمة التعاون من أجل تنمية البلدان الناشئة COSPE (وهى فرع الوكالة الإيطالية للتعاونيات فى مصر)، وجمعية حماية البيئة APE، وجمعيات المشغولات اليدوية التى تدعمها منظمة التنمية عبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى العالم العربى Information and Communication Technologies for Development (ArabDev).

ويجدر التنوية إلى أنه نظراً لأن غالبية المصريين مسلمون، مع وجود أقلية قبطية، فقد تضمنت مجموعة الحرفيات اللاتى قابلناهن مسلمات وقبطيات. ولم نجد فرقًا بين النساء من الديانتين فيما يخص موضوع البحث، إذ تعرضت النساء من المجتمعين لنفس الأعراف "تقليدية الأبوية. كما شملت المجموعة أيضًا حرفيات من النوبة وسيوة، حيث لديهن مصنوعات تقليدية وخلفيات تاريخية مختلفة.

تراوحت المؤهلات العلمية لنساء المجموعة التى قبلناها، بدءا من التعليم الجامعى إلى شهادات محو الأمية. وتراوح عمرهن ما بين ١٨عامًا و٥٢ عامًا. وكان بينهن متزوجات وغير متزوجات، ومتزوجات لديهن أطفال، ومنفصلات. وأخيرا، كان بعضهن يتعاون فى نفقات الأسرة المعيشية، بينما إحداهن كانت من تعول نفسها وطفليها أساسًا.

النتـائـج

من النادر توفر الجمع بين مـهارات صنع المشـغولات يدوية ومـهارات تكنولوجـيا المعلومـات والاتصـالات واستـخدامـها. ولم تكن هـناك سوى أمثلة قليلة، شـاركت فـيـها الحرفيات بشكل مباشر فى تسويق مشغولاتهن بواسطة الإنترنت فى مصر. بل لم يكن حتى التليفون المحمول من الأدوات الشائع استخدامها بين النساء فى مجال التسويق. ولا نجد سـوى حـالات قليلة جداً، توفرت للحـرفيات خـبرة صناعـة المشـغولات اليدوية وتكنولوجيا المعلومات فى الوقت نفسه. فكانت استثناء، أكثر منها قاعدة.

قالت صـانعة مشـغولات بالكروشيه من جمـعية بشـاير، إنها حـاولت التـعامل مع الإنترنت فى تصميم الأفكار. وقالت صـانعة شموع من حلوان إنها تبحث عن أفكار على الإنترنت لتستخدمها فى إنتاجها. وفى سيوة، استمرت مدربة كمبيوتر بمنظمة للتنمية المحلية، فى عملها كمعلمة فى مدرسة بالمدينة، إلى جانب إنتاج المكرميات التقليدية مـسـاءً لزيادة دخلهـا. ورغم هذا لم تجـمع بين عـملها الحـرفى ومـهـارات تكنولوجـيـا المعلومـات التى لديها. وعـمومـا، كـانت نماذج الحـرفيـات اللاتى يسـتـخدمن تكنولوجـيا المعلومات والاتصالات قليلة، ولا يشكلن قاعدة بأية حال.

التوقف عن صناعة مشـغولات يدوية للعمل بوظيفة مكتبية فى مـجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

انطلقنا من إمكانيـة توفـير تكنولوجـيـا المعلومـات والاتصـالات فـرصـًا أكـبـر فى الأسـواق، ومن ثم توليد عـائد أكبر للحـرفيات المصـريات. ورغم هذا كشـف البـحث عن وجود ثغرات بالمنتجات فيما يتعلق بالتصميم والإنتاج والجودة، الأمر الذى يحد من القـدرة التنافـسـية للحـرفـيـات المصريات (أو يقـضـى عليـهـا) وهذا له تـأثير أكـبـر على المبيعات، يفوق تأثير استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى التسويق.

ورغم ذلك، تحدثنا مع نسـاء كان الإنترنت مورداً بالنسـبة لهن. ومن بين حـرفيـات مـجموعة البـحث، اللاتى اسـتـخدمن تكنولوجـيا المعلومـات والاتصـالات، عملت كـثيـرات بصفة رسمية كحرفيات، ثم أكملن تعليمهن، بما تضمنه ذلك اكتساب مهارات الكمبيوتر

والإنترنت، ثم غيرن بعدها مصدر دخلهن، بالعمل فى وظيفة كتابية. وفى أكثر الحالات، تركت النساء صناعة المشغولات اليدوية، بمجرد امتلاكهن لمهارات فى مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يمكن استغلالها فى سوق العمل؛ إذ يحقق العمل الكتابى دخلاً أكبر مما تحققه المشغولات اليدوية. وأصبحت بعض حرفيات "ترقين مهنيا" عبر استكمال تعليمهن، فى موقع الإشراف على حرفيات أخريات، ولكنهن توقفن عن صناعة المشغولات اليدوية بشكل مباشر.

تصدير المصنوعات اليدوية المصرية

تواجه الحرفيات وتاجرات المشغولات اليدوية المصرية، صعوبات فى تصديرها بقدرة على المنافسة فى الأسواق العالمية. ومن تلك الصعوبات، الأمية ومهارات اللغة والمعرفة التكنولوجية ومعرفة كيف تستكمل الأبعاد التنظيمية والقانونية لتجارة التصدير، والتحكم فى الجودة، ومتطلبات النقل، والمعرفة بإمكانية التجارة الإلكترونية، إلى جانب أشياء عديدة يتطلبها نجاح تجارة التصدير.

جودة المشغولات اليدوية المحدودة

لا تكون معظم منتجات الحرفيات قابلة للبيع مباشرة، تحديداً لتواضع عمليات التشطيب. ويدخل التاجر بعض التشطيبات على المنتجات بنفسه، ويحصل على هامش ربح من ذلك. على سبيل المثال، قد يحصل التجار من الحرفيات على قطعة رائعة من التطريز، ولكن أطرافها غير مجهزة، فيقومون بتسوية أطرافها وتكفيفها، وعلى هذا النحو يمكن بيع القطعة بسعر أعلى بكثير.

لم تنجح وكالة التعاون لتنمية البلدان الناشئة (COSPE) فى محاولة تدريب حرفيات سيوة على تحسين الجودة، مثل تعليمهن تقنيات التشطيب. وقالت معظم النساء إنهن لم يكن قادرات على إنهاء تطريزهن بشكل نظيف، بسبب ما عليهن من الواجبات الأسرية الكثيرة.

انخفاض الطلب على المصنوعات اليدوية فى السوق المصرى

لا يوجد كثير من الطلب اليومى فى مصر على المشغولات اليدوية المحلية، فيما عدا مثلاً، المنتجات الرخيصة التى يستخدمها منخفضو الدخل (مثل القلل، وسلال الجريد، والحديد المشغول المستخدمة فى المناطق الريفية)، وهذه الأنواع من المشغولات اليدوية لا تدخل فى نطاق بحثنا، إذ تدخل فى طائفة الأصناف التى يستخدمها المصرى المتوسط يوميا، ولا تحقق سوى هامش ضئيل للربح، وغير قابلة للتسويق فى شكلها الحالى إلى الأسواق المتخصصة الأخرى. وعمل معظم نساء المجموعة التى تمت مقابلتها فى مصنوعات أكثر تركيبا فى صناعتها وجمالياتها، وإن فقدت استخدامها التقليدى بسبب التحديث ذى النمط الغربى، فاستبعدت إلى طائفة "الهدايا التذكارية".

بيع المشغولات اليدوية باستخدام الإنترنت

ما القضايا والتحديات التى تواجه نساء راغبات فى بناء مشروع تجارى لبيع المصنوعات على الإنترنت؟ هل هناك أدوات أخرى لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات يمكنها المساعدة فى تسويق المصنوعات؟ هناك بعض الأمثلة نجحت فيها التجارة الإلكترونية، وأقدم حالتين فيما يلى:

النساجات المغربيات

قادت ديفز مشروعًا لبيع السجاد "نساجات عبر الإنترنت" Women (Davis, 2004) Weavers Online (WWO). يبيع المشروع السجاد التقليدى الذى تصنعه المغربيات من خلال موقع له على شبكة الإنترنت، دون حاجة لأن تتحرك النساء من قُراها، وبعضها فى مناطق نائية ومعزولة. وأكدت دايفز وجود إمكانية لتسويق وبيع السجاد عبر الإنترنت. ورغم هذا توضح مقالة لها، أن إنشاء موقع على الإنترنت، وتسويق السجاد كان ممكنًا فقط بالنسبة لها، وهى أمريكية جيدة التعليم، استخدمت علاقاتها

الاجتماعية ولغتها ومهاراتها التكنولوجية، لتمكن هذا المنفذ من البيع عبر الإنترنت. ولم تدرج دايفز تكلفة العمل الذى قامت به فى الميزانية المالية للمشروع، التى يظهر فيها هامش ربح للنساجات من بيع سجادهن فى السوق الدولى؛ ويعكس هذا صورة غير حقيقية للإمكانات المالية والتقنية لهذه المبادرة، والتى قد تكون غير متكررة. ولم تكن المؤلفة نفسها متفائلة حول إمكانية تعليم وتدريب شخص من المجتمع المحلى يستطيع تولى هذه المهمة بدلاً منها، من أجل استمرارية المبادرة.

سوزان، مشروع للمصنوعات عبر الإنترنت

ولفهم السياق والإمكانات والعقبات التى تواجهه المصريات الراغبات فى متابعة الهدف المزدوج، استخدام وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مع صناعة المشغولات، أجريت دراسة معمقة على شابة قاهرية ترتب تصدير المشغولات الحرفية خارج البلاد عبر موقع على الإنترنت. وكانت سوزان شابة من الطبقة المتوسطة، غير متزوجة وتعيش مع والديها. أتمت تعليمها فى مدرسة لغات أجنبية، ثم حصلت على بكالوريوس تجارة. وبعد العمل فى وظائف غير مناسبة لعدة سنوات، قررت إنشاء مشروعها التجارى لتسويق الهدايا التذكارية المصرية فى المعارض، عبر إنشاء موقع دولى للبيع على الإنترنت.

سوزان من محبى استخدام الإنترنت، وتتصفح عليها ساعات بحثاً عن تجار الجملة، حتى إنها تحاول عرض سلعها عبر غرف الدردشة. ولديها خبرات حسنة وسيئة حول طريقتها، ولكنها تعرف أن استمرارها سيحقق لها نتائج فى النهاية: وبهذه الطريقة وصلت إلى تاجر فى كاليفورنيا راغب فى تجريب بعض المنتجات التى تسوقها، وعدها أنه فى حالة تحقيق التجربة لمبيعات جيدة سيطلب المزيد.

والدا سوزان، يوبخانها بسبب فاتورة التليفون المرتفعة. وحاولت أختها مع والديها تقليل همتها بخصوص مشروعها التجارى. إذ يعتقدون أنه يستنفد مجهوداً ومالاً (وخاصة ما يدفع فى خدمات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات) أكبر مما يعود منه، ولكن سوزان أصرت.

سوزان لديها موقع على الإنترنت تواصل تحديثه؛ وتوصلت إلى حلول بارعة لتذليل عقبات واجهت أنشطتها التجارية الإلكترونية. وكان أحدها غياب هذا النمط من التجارة الإلكترونية فى مصر، الأمر الذى يحول دون شحن بطاقات الائتمان للزبائن من خلال التحويل عبر الإنترنت. وكان على سوزان إيجاد حل خلاق، لأن توفير خيار الدفع عبر مدفوعات بطاقة الائتمان أمر ضرورى الآن لتحقيق تنافسية فى سوق تجارة المشغولات الحرفية عبر الانترنت. واشترت سوزان عبر موقعها عنوانًا للاتصال مع شركة أمريكية، ونجحت بذلك فى توفير خيار التجارة الإلكترونية لمستهلكيها.

وإلى جانب حل مشكلات بيع سلعها، كان عليها إيجاد وسائل واقعية وفاعلة لشحنها، حيث مثلت تكلفة التجارة الصغيرة تحديًا كبيرًا بالنسبة لسوزان. وبحثت فى كل شركات الشحن بحرًا وجوًا لإيجاد سعر شحن اقتصادى من شركة يمكن الاعتماد عليها، حتى تستطيع الثقة فى تسليم بضائعها بعناية.

وتعاملت سوزان قبل ذلك أيضًا مع جهاز الجمرك من أجل تصدير بضائعها. واتضح أن الأنظمة شديدة التعقيد، وعليها توظيف شخص على معرفة بأساليب التعامل معهم. والآن، تستخدم شركة عالمية لتدبير أمر الشحن والإجراءات الإدارية المتعلقة به، حيث عرضت هذه الشركة الحلول الأكثر ملاءمة لمشروعها التجارى الصغير.

وكانت الجمارك قضية أساسية بالنسبة لغالبية المتوجهين للتصدير. وفى معرض هدايا نيويورك، قال لنا تاجر أمريكى، إن قواعد الجمارك الأمريكية تتغير من عام لآخر، ويسبب هذا مشاكل لجميع المصدرين والمستوردين؛ إذ لا يتمكنون أبدًا من معرفة ما ستسمح قواعد العام القادم باستيراده. على سبيل المثال، قد يعقد شخص إحدى الصفقات لاستيراد كمية من المنسوجات، ثم يجد أن قواعد الاستيراد الأمريكية تغيرت، وأصبح استيراد هذه الأصناف ممنوعًا الآن. وأحيانًا، يتحايلون بإعطاء الصنف الذى يستوردونه اسما مختلفا، وربما ينجحون فى الإفلات على هذا النحو، ولكن ذلك غير مضمون. ومن ثم، يتفق معظم التجار مع أشخاص يعتمدون عليهم فى مكاتب الجمارك، كنقاط للاتصال، يعرفون منهم القواعد الجديدة فى أقل وقت ممكن. ورغم هذا لم تتوقف المشاكل التى تظهر بسبب تغيير القواعد دائما.

وتعتبر سوزان نموذجًا صغيرًا للإصرار وابتداع حلول مبتكرة، تمكنها عبر التجربة والخطأ، من تأسيس نشاط تجارى ناجح فى بيع المشغولات عبر الإنترنت. ورغم هذا، يتطلب إنشاء مثل هذا الموقع، ميولاً تجارية عالية مصحوبة بتعليم ومهارات فنية، أو مالاً لتوفير المساعدة الفنية من الخارج. وتجيد سوزان اللغة الإنجليزية بصورة ممتازة - وكان افتقاد معظم الحرفيات اللاتى قابلناهن للمهارات اللغوية عقبة كبيرة أمام استخدام الإنترنت فى التجارة الدولية. وكانت سوزان أيضًا مدعومة بمساعدة مالية من أسرتها؛ وهو الشيء المتوقع بالنسبة لفتاة غير متزوجة من الطبقة المتوسطة فى مصر، وإذا لم تكن مدعومة ماليًا بالكامل منها، فهى على الأقل مكفولة اجتماعيًا بدرجة كبيرة. على سبيل المثال، كانت سوزان متحررة من القلق بشأن تكاليف معيشتها من مأوى وطعام، الشيء الذى قد ينعكس على التمويل الداخل (وما زالت تدخله) فى مشروع مبادرتها. وتمتلك سوزان كمبيوترًا فى منزلها، وكانت مستخدمة نشطة للإنترنت لأعوام قبل بداية مبادرتها. وبهذا فإن مهاراتها فى مجال تكنولوجيا المعلومات مرتفعة، وهذا جعل استخدام الإنترنت ممكنًا بالنسبة لها كمصدر للتسويق.

الخلاصة

رغم إمكانية استخدام شبكة الإنترنت فى التسويق من التاجر إلى المستهلك (كما وضحت حالة سوزان)، فإنها فى معظم الحالات لم تكن مشروعًا فاعلا بالنسبة للتكاليف، أو بإمكانية المنافسة فى مجاله. ويمكن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مثل التليفون المحمول باعتباره أداة للاتصال فى عملية الإنتاج والتسويق، مما يجعل الحرفيات أقرب إلى المعلومات التى تجعل سلعهن أكثر قابلية للتسويق. وهذا يمثل الحل المتوفر للتعاونيات ومنظمات التنمية العاملة فى مجال تمكين الحرفيين. وربما يصبح التسويق باستخدام الإنترنت ممكنا، إذا جمعت المنظمة كمية كبيرة من الإنتاج معا، وهكذا تنشئ منفذًا للسلع. ورغم هذا بالنسبة للمصنوعات الحرفية، فهناك حاجة لتأسيس سوق، حتى يقدر النجاح لمثل هذا المنفذ.

وتعد سوق المشغولات العالمية محلاً لمنافسة الشديدة، سواء في السعر أو الجودة، ولا يعتبر التصدير استجابة مباشرة على مشكلة تسويق المصنوعات في حالة مصر. وكانت المنافسة الحادة التي تواجه المصنوعات المصرية في السوق العالمية شغلاً شاغلاً لجميع الجهات المانحة والتجار والمنظمات غير الحكومية التي قابلناها. وكان الأولى أن يسبق هذا الانشغال، الاهتمام باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أساساً، وخاصة تكنولوجيا المعلومات، لتصبح قناة للتسويق والبيع لتلك السلع.

يمكن أن تصبح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وسيلة مساعدة في تسويق المنتجات بالنسبة لمنظمات الأعمال، كما اتضح من المثال الذي عرضناه في هذا الفصل، ولكن هذا لن ينطبق على العدد الأكبر من النساء منخفضات الدخل. ويمكن التوصل إلى أن هذه الصيغة قد تتوفر في حالة المشروع الجماعي الذي يتعامل مع المراحل المختلفة من تصميم الإنتاج والتحكم في الجودة والتسويق.

وتوضح أمثلة هذا البحث، أن السوق العالمي لا يحمل إمكانية واقعية للحرفيات المصريات. وفي الحقيقة، قد يوفر السوق المحلي فرصاً أوفر بالنسبة لهن: على سبيل المثال، إذا استطاعوا في مصر بناء قاعدة عريضة للطلب المحلي، مع استخدام الأسلوب المصري في التصميم. وهناك مصنوعات تقليدية كثيرة على وشك الانقراض الآن، يمكن دمجها في مجموعة المشغولات بحيث تعد جزءا من نمط للتصميم يتم إحياؤه. ويعتمد بناء مثل هذا السوق على خلق طلب وجعل المصنوعات متاحة أمام المستهلكين المصريين في مستويات مختلفة من الأسعار.

وسيحسن متخذو القرار في الحكومة والقادة الاجتماعيون صنعًا، إذا دعموا مزيداً من الطلب على المصنوعات المصرية ذات التصميم والطراز المحلي. وسوف ييسر هذا بدوره على الحرفيات تسويق مصنوعاتهن بشكل فردي أو جماعي أو عبر وسيط، وستصبح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بهذا الشكل أداة مساعدة لهن.

ولم يثبت نجاح الاتجاه الشائع إلى البحث عبر الإنترنت عن منافذ فى السوق العالمية للمشغولات اليدوية التى صنعتها المصريات. ولم تظهر الأدوات الأخرى المرتبطة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أو أساليب التسويق التقليدية نجاحا كبيرًا أيضًا فى هذا المجال. ولكن الاستمرار فى طرح الأسواق الأجنبية كمجال قابل لاعتماد النساء عليه ماليًا، فهذا يعد خداعًا غير أخلاقى. وفوق هذا، لإضافة تكنولوجيا جديدة مثل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى الخليط باعتباره حلاً ممكنا للعقبات أمامهن فى الوصول إلى الأسواق العالمية، ليس إلا تشويشًا على الفجوة التجارية الواسعة، والخيارات الضئيلة التى لدى النساء فى ظل الظروف الحالية.

المراجـــع

Davis, S. S. (2004) 'Women Weavers Online: rural Moroccan women on the Internet', *Gender, Technology and Development*, 8(1): 53–75.

Mueller, S. D. (2006) 'Rural development, environmental sustainability, and poverty alleviation: a critique of current paradigms', DESA Working Paper no. 11, January, available online at www. un.org/esa/desa/papers/2006/ wp11_2006.pdf.

Ofreneo, R. P. (2006) 'Problematizing microfinance as an empowerment strategy for women living in poverty: some policy directions', *Gender, Development and Technology*, journal of the Asian Institute of Technology (AIT), Bangkok, available online at www.upd.edu.ph/~cswcd/ webpages/DOCUMENTS/ faculty publications/PUBLICATIONS_ Ofreneo2. pdf.

(البـاب الثـانى)

توفير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات
فى أماكن للنساء فقط
الآفـاق والممـارسة

الفصل السادس

تمييز السياسات التى لا تراعى الفروق بين الجنسين فى توفير تكنولوجيا المعلومات واقع وتصورات طالبات جامعة زيمبابوى

بولى مبامبو-ثاتا

إليزابث ملامبو؛ بريوس مواتسيا

لا يمكن فصل خبرات النساء حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عن السياقات الاجتماعية التى يعشنها فى زيمبابوى. لقد تلقت مدرسة فى عينة بحثنا الرد التالى: "ولكنك مجرد امرأة!"، عندما تطوعت لتحمل مسئولية معمل الكمبيوتر فى المدرسة التى كانت إحدى كبار مدرسيها.

ويركز هذا الفصل على خبرات طالبات جامعة زيمبابوى حول تعليم الإنترنت، وكيف انعكس عليهن. ويحاول كشف تفاوت المعاملة الذى يجدنه فى التعامل اليومى أثناء تعليمهن بالجامعة، والبنية الاجتماعية للنوع الاجتماعى التى تعكس نفسها فى فرص وصول الفتيات إلى معامل الكمبيوتر واستخدمها.

وأشار بحث حديث للباحثة ندولف (Ndlovu, 2001) إلى أن الطلبة الذكور فى مؤسسات التعليم العالى، مثل مجتمع جامعة زيمبابوى، ما زالوا قادرين على حماية

مكانتهم المتميزة. وتناضل الطالبات، بلا حظ من النجاح أحيانا، للحصول على فرص متساوية مع الطلاب، فى التعامل مع الخدمات العامة، مثل الكافتيريا والمرافق الرياضية والمكتبة وغيرها (Ndlovu 2001). وأكد البحث نفسه على أن إحساس الشخص بذاته يكون حتمًا مطبوعًا بما تحمله التنشئة الاجتماعية حول النوع الاجتماعى. إذ يبنى الرجال والنساء ذكورتهم وأنوثتهم وفقا للسياقات التى يُوجدون بها، حسب عمرهم وانتمائهم الاثنى وانتمائهم الدينى. إن تلك الاعتبارات تصنع قالبًا لتعلم هـؤلاء الطلاب لخبراتهم.

وأكدت جيدزانوا عن قلقها بشأن مسألة الديمقراطية فى المؤسسات: "مستوى تمثيل النساء فى الجامعات والمجتمع عمومًا أقل مما يجب" (١٩٩٦). لم تشغل أى فتاة فى جامعة زامبيا أحد المناصب العليا الثلاثة بالمجلس التمثيلى للطلاب حتى عام ١٩٩٧ Student Representative Council (SRC). وعندما أصبحت هناك سكرتيرة عامة للمجلس لأول مرة، لم تستمر فى منصبها كثيرًا، واستقالت فى أبريل ١٩٩٨ بسبب المضايقات التى تعرضت لها من الطلاب الذكور وقلة دعم الطالبات (Mashingaidze 2006).

ويعتمد هذا الفصل على نتائج البحث الذى أُجرى فى جامعة زيمبابوى عام ٢٠٠٥/٢٠٠٦، ويتناول البحث مدى التمكين الذى يحققه التعليم عبر الإنترنت للخريجات. وقبل البحث، لاحظ الباحثون أن غالبية الطلاب الذين يعملون على أجهزة الكمبيوتر فى المكتبة وفى معامل الكمبيوتر من الذكور. واستهدفت هذه الدراسة فهم الأسباب وراء هذا الوضع.

وقد تكون نتائج هذا البحث مفيدة، كما نأمل، فى التأثير على عمليات اتخاذ القرار فيما يخص السياسات، والتى ينبغى تغذيتها بملاحظات حول الآثار السلبية للسياسات التى لا تراعى النوع الاجتماعى، والعمل على الحد منها، كما ينبغى أن تكون ملتزمة ببناء قدرات الطالبات حتى يستطعن الحصول على مزايا تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الكاملة فى الأغراض الأكاديمية.

منهج البحث

قمنا ببحث كيفي مكثف خلال عام في جامعة زيمبابوى. وأجرى الباحثون مقابلات مع بعض طالبات الدراسات العليا في كليات التربية والقانون والدراسات الاجتماعية والزراعة. وقد سجلت تلك الطالبات أنفسهن للحصول على درجة الماجستير بعد حصولهن على الدرجة العلمية الأولى من الجامعة. وكن أكثر تعرضًا للتعليم عبر الإنترنت من طلاب مرحلة ما قبل التخرج. وحصل بعضهن على فرصة كتابة أطروحة نهاية العام، التى يطلب فيها تحديد طريقة التفكير فى موضوع الدراسة من الطلاب. وإلى جانب هذا تستطيع طالبات الدراسات العليا الحديث عن خبراتهن دون قلق. وشاركت فى البحث من خلال المقابلات ٢٧ طالبة فى الدراسات العليا، بعضهن يدرسن دراسة نظامية كاملة، وأخريات يدرسن لجزء من الوقت فقط. وفى وقت إجراء البحث، كان الباحثون يعملون لدوام كامل فى مكتبة الجامعة.

وتوجد بجامعة زيمبابوى عدة قاعات للكمبيوتر، تسمى المعامل، مجهزة لاستخدام الطلاب. وتوضع أجهزة الكمبيوتر الخاصة بالمكتبة فى قاعة الاستقبال بها، ومن ثم توفر للباحثين موقعًا مثاليا لملاحظة أى شخص يأتى أو يترك المكتبة. ولم يكن لدى معظم الطلاب كمبيوترات شخصية، وكانوا يعتمدون على فرص استخدام أجهزة الكمبيوتر التى توفرها الجامعة، ومن دون معامل الكمبيوتر بالجامعة، لا تكون لمعظم الطلبة أماكن بديلة توفر فرصة استخدام الكمبيوتر والوصول إلى المراجع العلمية المتوفرة على شبكة الإنترنت. ولاحظ الباحثون أن غالبية مستخدمى أجهزة المكتبة من الطلاب الذكور، والشيء نفسه بالنسبة للمعامل الأخرى فى الجامعة كما ذكروا. ولأغراض الدراسة، لاحظنا أنماط استخدام الكمبيوتر فى المعامل بالأماكن الأخرى فى الحرم الجامعى. كما تضمنت مادة البحث ملاحظات استخلصت من مقابلات غير رسمية، وتقارير عن مقابلات رسمية. وإلى جانب هذا، حللنا سجلات حجز الوقت، التى تقدم للطلاب كل صباح، وعلى أساسها يتم الاستخدام وفقًا لتطبيق قاعدة "من يأت أولاً، يحصل على الخدمة أولاً".

عقدت مناقشات جماعية مركزة (FGD)، كحافز لتفاعلات اجتماعية مماثلة لما يحدث في الحياة اليومية، ولكن مع تركيز أكبر (Denzin and Lincoln 2000: 15). واعتبرنا المناقشة الجماعية المركزة أمرًا أساسيا لخلق فهم مشترك حول أهداف البحث، وخلق مناخ شفاف مفيد لتقليل الشكوك، وجمع مادة حول خبرات النساء حول فرص إتاحة أجهزة الكمبيوتر واستخدامها للدخول على شبكة الإنترنت لأغراض تعليمية. ووفرنا فرصة لطالبات عينة البحث، ليعرضن ما يحلمن به بخصوص تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وخبراتهن حول ما قد تقدمه لهن تلك التكنولوجيا بوجه عام، وأجهزة الكمبيوتر بوجه خاص.

وأجريت مقابلات التعبير الحر (FAI) أيضا، من أجل إتاحة فرصة التعاون والتفاهم بين الباحثين والطالبات في عينة البحث، وتوضيح ما يحملون من أفكار حول خبراتهن، دون مقاطعة.

وجدنا عدد الطالبات اللاتي يستخدمن المعامل قليلاً، وسط سيطرة الطلاب الذكور على بيئة معمل المكتبة، وتم الرمز لهن بعبارة "مفردات شاذة" بشكل مقصود لغرض معين. إذ استخدمنا تعبير "المفردات الشاذة" كما يستخدم في البحوث الكيفية، ليعني أن من يختلف عن القاعدة يكون شاذًا. ولأن الطالبات اللاتي استخدمن معامل الكمبيوتر قليلات، بينما غالبية الطالبات لم يستخدمنه، كانت المجموعة الأولى بالنسبة لنا كباحثين "شاذات". وشرعنا في التعرف على الفوائد التي تعود من استخدام المعامل، والقوة الدافعة لاستخدامهن تلك الأشكال من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، في حين لم تستخدمها الطالبات الأخريات.

النتائج

نسبة الإناث إلى الذكور فى معمل الكمبيوتر فى الجدول التالى تظهر من حجز الوقت الذى قام به الطلاب الذكور والإناث ما بين أكتوبر ٢٠٠٥ ومارس ٢٠٠٦.

الشهر	الذكور	٪	الإناث	٪	الإجمالى
أكتوبر ٢٠٠٥	٨٢٩٣	٩٣	٥٧٧	٧	٨٨٧٠
نوفمبر ٢٠٠٥	٦٧٧٢	٩٢	٥٧١	٨	٧٣٤٣
ديسمبر ٢٠٠٥	٢٦٠	٨٥	٤٥	١٥	٣٠٥
يناير ٢٠٠٦	٣٦٠	٨١	٨٦	١٩	٤٤٦
فبراير ٢٠٠٦	٧٨١	٨٨	١٠٨	١٢	٨٨٩
مارس ٢٠٠٦	٤٧٢١	٨٤	٨٩٧	١٦	٥٦١٨

وكانت نسبة الطلبة الذكور أعلى من الطالبات فى كل الشهور. وبينما مثلت الطالبات ١٣٪ من المستخدمين، بلغت نسبة الطلاب الذكور ٨٧٪ منهم، وفقا لسجل حجز وقت استخدام الكمبيوتر. وتبلغ نسبة الإناث إلى إجمالى الملتحقين بالجامعة ٥١٪، بينما النسبة المناظرة للذكور ٤٩٪. وهكذا عزز تحليل سجل حجز الوقت ملاحظتنا عن غلبة الذكور مستخدمى أجهزة الكمبيوتر الشخصية فى المعامل. رغم أن عدد الطالبات فى الحرم الجامعى أقل، فيمكن توقع أن إحصائيات حجز الوقت ستعكس نسب الالتحاق.

"الطالبات الطبيعيات"

الشعور بأهمية تعلم مهارات جديدة. شددت الخطة الإستراتيجية الخمسية لجامعة زيمبابوى للفترة من ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٧ فى توصيتها على تطبيق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى كل مجالات الأنشطة الأكاديمية. وتقدم الجامعة تدريبًا إجباريًا على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لجميع الطلاب. واكتسب الطلاب بالفعل بعض المعرفة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وشعروا بمدى أهميتها وما يمكن أن تؤديه لهم.

وأدركوا مزايا التعليم من خلال الإنترنت وعرفوا أهميته. وأكدت ذلك إحدى طالبات الدراسات العليا فى كلية التربية بقولها "عملت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على تمكينى، لأننى تعلمت مهارات جديدة".

ولا تفتقد الطالبات الثقة فى قدراتهن، حتى مقارنة بزملائهن الذكور. وتقول طالبة دراسات عليا فى كلية التخطيط الريفى والحضرى:

> "لا فرق بينى وزملائى الذكور؛ فى أوقات أستطيع إثبات أنى قادرة على التغلب عليهم، وحتى فى المراحل العليا أستطيع أن أكون عند الأداء نفسه".

المتوقع من الشخص وفقا للنوع الاجتماعى: عبرت غالبية الطالبات عن شعورهن بمزايا تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وكما لاحظت إحدى طالبات عينة البحث:

> "إنها تؤدى إلى التمكين فعلاً، أنا متأكدة أن النساء فى الماضى كن معزولات وفقا لثقافتنا الأفريقية، ولم يكن مفترضًا أن يتعلمن، ولا كان مفترضًا لمسهن لأى شىء من هذه الأدوات الإلكترونية، لأنها أشياء للرجال. ولكننا الآن قادرات بسهولة على الوصول إلى الكمبيوتر، ولذلك أقول إنها مفيدة بالفعل، وتتسم بالكفاءة بالفعل، وهكذا فنحن قادرات على استخدام الإنترنت".

ورغم هذا، كانت هناك متطلبات اقتصادية اجتماعية على وقتهن تحد فرصتهن فى الوصول إلى الكمبيوتر. كان يتوقع منهن العودة إلى المنزل فى وقت محدد لأداء واجبات أسرية. ولا يستطعن الوصول إلى أجهزة الكمبيوتر إلا خلال ساعات معينة، حتى ولو ظل معمل الكمبيوتر مفتوحًا إلى وقت متأخر. وفى هذا قالت إحدى طالبات عينة البحث:

> "ربما يستطيع الرجل مواصلة عمله فى معمل الكمبيوتر حتى الساعة الثامنة مساء، ولكننى كامرأة لا أستطيع ذلك. فعلى أن أعدو إلى منزلى".

تحول الأدوار النوعية دون النساء والبقاء فى المعامل، مهما كانت رغبتهن فى قضاء مزيد من الوقت فى العمل على أجهزة الكمبيوتر. وليس لديهن وقت يمضينه فى الحرم

الجامعي بعد المحاضرات، لأنهن طالبات ولديهن مسئوليات أخرى يقمن بها في الأوقات الأخرى. غالبية الطالبات اللاتي شملهن البحث، كن موظفات لدوام كامل ولديهن مسئوليات أسرية. هذا العبء الثلاثي، يخلق تنافساً على الوقت وبين المسئوليات. وكما ذكرت إحدى طالبات عينة البحث من قبل؛ تغلب مسئوليات الأسرة على البقاء في الحرم الجامعي للاستفادة من فرصة استخدام الكمبيوتر في أغراض التعليم. وقالت طالبة في كلية التربية: "إذا بقيت حتى المساء سوف اتهم بأني لي علاقات خاصة، ولذلك لا بد من عودتي إلى المنزل والقيام بأشياء أخرى".

اللجوء إلى الطلاب الذكور للمساعدة، ووفقا لإحدى الطالبات في البحث من كلية التربية "عندما تعملين مع طلاب ذكور، يجعلك هذا تشعرين كما لو أنك لا تعرفين ماذا تفعلين." يلح على بعض الطالبات شعور، أن عليهن الاعتماد على الطلاب الذكور لمساعدتهن. يعتقدن أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حكر على زملائهن الذكور. وأعربت إحدى طالبات في البحث من كلية التربية عن اعتقادها هذا قائلة : "أتنازل عن اعتزازي بنفسي، وأطلب من زميلي أن يعلمني، لا أستطيع التعلم إلا فقط بواسطة زميل".

هل تعني قاعدة من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً، المساواة في فرص الحصول على الخدمة؟ في وقت إجراء البحث، لم تكن المكتبة حصلت على عدد كاف من أجهزة الكمبيوتر لتلبية حاجة كل الطلاب من جميع الكليات، ولم يكن لدى بعض الأقسام معامل للكمبيوتر خاصة بها. ورغم أن فرص الوصول إلى جميع معامل الكمبيوتر، ومن ضمنها معمل الكمبيوتر بالمكتبة، كانت تنظم وفقا لقاعدة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً"، فإن عدد الطالبات اللاتي كانت لهن فرصة في الوصول إلى الكمبيوتر كان أقل من عدد الطلبة الذكور. وبالنسبة لبعضهن، بدت هذه القاعدة كما لو أنها تخفف مشكلة عدم التمكن من فرص الوصول إلى الكمبيوتر. وقالت إحدى الطالبات في البحث عند حديثها على وضع قسمها، "يسير الأمر على قدم المساواة

لأننى إذا ذهبت هناك، أجد ١٧ كمبيوترًا فى مجموعتنا، ونحن ١٥ فقط، لهذا فأنت بمجرد ذهابك، تستطيعين استخدام الكمبيوتر [سواء] كنت رجلاً أم امرأة. فلن يختلف الأمر فى شيء".

هل تحقق قاعدة من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً إلى المساواة فى الواقع؟ ورغم هذا، ذكرت إحدى الطالبات، أن معظم الحالات يكون فيها تدافع وتضاغط عندما يأتى الأمر إلى فرص الوصول إلى استخدام أجهزة الكمبيوتر. وذكرت طالبة فى البحث من كلية التخطيط الريفى والحضرى عندما تحدثت عن الوضع فى قسمها "عندما يبدأ الضغط، يدفع الطلبة الذكور الآخرين ويضغطون للوصول إلى الكمبيوتر." كما لاحظت طالبة فى عينة البحث من كلية الدراسات الاجتماعية "هناك غلبة للذكور فى معامل الكمبيوتر - البقاء لمن يملك قدرة بدنية أكبر". هذا السلوك البدنى يخيف الطالبات لأنهن غير راغبات فى أن يدخلن فى تزاحم مع الطلاب الذكور.

شعرت طالبة من عينة البحث أن محدودية عدد أجهزة الكمبيوتر يسبب قلقًا كبيرًا لهن. وقلن إن معمل كمبيوتر به ٢٥ كمبيوترًا لا يكفى نحو ٣٠٠ شخص فى قسم العلوم الاجتماعية؛ ونتيجة لذلك، يحدث التدافع والضغط للوصول إلى فرصة استخدام الكمبيوتر. وسوف يغلب الطلاب الذكور الأقوى بدنيا الطالبات الأضعف بدنيا.

التماشى مع قاعدة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً": الحلول البديلة للطالبات: لجأت بعض طالبات عينة البحث إلى بديل، بأن يذهبن إلى مقاهى الإنترنت، رغم قولهن إن ذلك لا يمكنه أن يستمر لأن تكلفته عالية. وسعت أخريات إلى مواقع مختلفة للوصول إلى الخدمة التعليمية. قالت إحدى الطالبات من عينة البحث فى إحدى المناقشات الجماعية المركزة "التحقت ببرنامج تعليمى، يشرح مقدمة استخدام الكمبيوتر، بإحدى الكليات بالمدينة". وتقول طالبة فى العينة من كلية التربية "التحقت ببرنامج تعليمى فى "جامعة أفريقيا على شبكة الإنترنت" Africa virtual University.

اقتراحات حول المستقبل: بعض طالبات عينة البحث مقتنعات بأن برنامج منظم للحجز سوف يؤمن فرص استخدام الطالبات اللاتى لديهن أدوار أخرى خارج الجامعة.

واقترحن أنه إذا خصص معمل للإناث فقط، سيتمكن حينها من التحايل على الوقت لأداء أدوارهن الأخرى، وفى الوقت نفسه تكون لهن فرصة لاستخدام المعمل فى الدراسة. فهن إذا تمكن من التحايل على تنظيم وقتهن، وتوجهن إلى المكتبة، فلن يجدن أجهزة الكمبيوتر متاحة، لأن الطلاب الذكور يستخدمونها طول الوقت. وفوق هذا، ففى المعمل المخصص للنساء، لن يقتحم الطلاب الذكور المكان، فتتاح فرص أكبر لاستخدام الطالبات.

المفردات الشاذة: الطالبات اللاتى تمكن من الحصول على فرص استخدام معامل الكمبيوتر: استطاع عدد محدود من الطالبات الاستفادة من فرصتهن فى معامل الكمبيوتر فى مكتبة الجامعة واستخدام الأجهزة. واكتشفنا عند بحث هذا الأمر أن معظم تلك الطالبات تعرضن للتعامل مع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات قبل الالتحاق بالجامعة، ولا يجدن مشقة فى استخدام أجهزة الكمبيوتر. وبإمكانهن كتابة فروضهن باستخدام شبكة الإنترنت؛ وإجراء اتصالات أيضا عبرها والتعامل مع الشبكات بسهولة. وكانت هذه الطالبات أيضا – اللاتى اعتبرناهن "مفردات شاذة" – مقيمات فى نطاق الحرم الجامعى أثناء مرحلة ما قبل التخرج، وأصغر سنًا بين طالبات الدراسات العليا.

لم يكن شاعرات بوجود تحدٍ يشكله الطلاب الذكور الذين يمثلون أغلبية، ويلح عليهن الإحساس بضرورة مشاركة الطلاب والطالبات على قدم المساواة، فى مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وكن مدركات أن الطالبات الأخريات مستبعدات. وبمعنى ما كانت تلك المفردات الشاذة كاللاتى "يقتحمن قلعة". يذهبن إلى المعامل التى يغلب فيها الذكور، ويواصلن العمل. وبينما لا يعملن على تغيير قواعد اللعب، إلا أنهن كن طليعيات. وربما إذا شاركت طالبات أكثر، سيتمكن من تشكيل كتلة حرجة منهن، وسيصبح استخدام الطالبات لمعامل الكمبيوتر أمرا طبيعيًا.

المناقشات

هل تكفل قاعدة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً" لتحقيق المساواة بين النوعين في فرص الوصول إلى معامل الكمبيوتر؟ هل تعد سياسة عادلة حقا؟

بالنسبة للطالبات "الطبيعيات" فى عينة المقابلات، كانت فكرة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً" مقبولة. ورأت كثيرات، بناء على خبرتهن السابقة حول عدم حصولهن على فرصة استخدام الكبيوتر، أن تلك القاعدة تحقق تحسنا أكيدا باتجاه المساواة النوعية، بل وحتى التمكين. ورغم هذا، بينما تمكنّ من ملاحظة أن الطلاب الذكور يستخدمون المعامل أكثر، إلا أنهن لم يستطعن الربط بين تطبيق هذه القاعدة وضمان واقع فعلى لا يميز ضدهن كنساء. وهكذا تمر الطالبات بخبرة ظلم بسبب النوع الاجتماعى، ولكن لديهن تناقض بين تفسيرهن للواقع فى المعامل مع تبنى سياسة "من يأتِ أولاً يحصل على الخدمة أولاً"، وتأييدها.

لم تشعر الطالبات بوجود تمييز على أساس جنسهن فى الحصول على فرص الاستخدام، حتى رغم إدراكهن لحقيقة سيطرة الطلاب الذكور على المعامل. وما بقى أكثر من أى شىء آخر فى أذهانهن، كيف تمنعهن المسئوليات والعقبات الأخرى التى "تواجهها النساء تحديداً" من فرص استخدام المعامل فى الوقت المحدود المتاح للطلاب جميعا.

التعارض فى سياسة توفير فرص الاستخدام بين المأمول منها والواقع: تحليل من منظور النوع الاجتماعى. أكدت خطة جامعة زيمبابوى (٢٠٠٣– ٢٠٠٧) على زيادة كفاءة استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات: "كل طالب يتخرج فى جامعة زيمبابوى عليه إجباريا اجتياز برنامج تعليمى على الأقل حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بصرف النظر عن التخصص العلمى" (University of Zimbabwe 2003). وهكذا، من المتوقع أن يكون خريجو جامعة زيمبابوى قد وصلوا إلى مستوى مرتفع نتيجة لبرامج تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ورغم هذا كشف بحثنا عن وجود ما قد يعوق هذا الاتجاه الإستراتيجى،

وهو أن فرص استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات متأثرة بالنوع الاجتماعي وغير عادلة. وكما هو وضع مؤسسات التعليم العالي، لا يتم تخصيص مصادر التعليم على أساس النوع، ومنها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كمصدر. وعلى هذا، تعمم الجامعات توفير فرص الاستخدام، دون اعتبار للاختلاف في النوع. ولكن لا يأخذ التطبيق العملي لقاعدة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً" في الحسبان واقع عدم قدرة الطالبات على الوصول أولاً، نظراً لوجود متطلبات أخرى متنافسة في جدولهن الزمني. والنقطة الثانية المرتبطة بهذا، أنه مع الموارد المحدودة المتاحة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، تتضمن المنافسة على فرص الاستخدام في الغالب تدافعًا جسديًا، وفي هذه الحالة يغلب الطلاب الأقوى بدنيا.

وهكذا، تقدم هذه الدراسة برهانا على فائدة التحليل من منظور النوع الاجتماعي في تخصيص الموارد، وخاصة بالنسبة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وسوف يوفر هذا التحليل الرؤية اللازمة لتأسيس نموذج لتخصيص الموارد يأخذ في حسبانه النوع الاجتماعي. وفي ضوء الاستبعاد الذي يؤدي إليه موقف السياسات التي لا تراعي النوع الاجتماعي عند توفير فرص الاستخدام، تبدو المطالبة بسياسات تراعي النوع الاجتماعي مطلبا منطقيا وعادلا.

وفوق هذا، لاحظنا باهتمام "الإشادة" التي عبرت عنها الطالبات عما يتوفر لهن من فرص استخدام محدودة ومقيدة لأجهزة الكمبيوتر. وطالما كانت الطالبات شاكرات لما بدا لهن "ميزة" تضمينهن في سياسة توفير فرص الاستخدام، فلم تعترض الطالبات "الطبيعيات" على تحسينات محدودة وجدت في سياق سيطرة الذكور على المعامل. ويبدو أن فكرة المساواة في فرص الاستخدام، سبقت إلى أذهانهن ما وجدنه من تفاوت في فرص الاستخدام. ولكن النظر إلى ما يمر بهن كشيء يتعارض مع سياسة الفرص المتساوية المزمعة التي يقبلنها، فهذا يعد أمراً غير منطقي. إذ إن الشخص حينما يفكر، يصطف مع القيم والمعاني الاجتماعية التي تكون مألوفة لديه. فحتى تتغير نظرتهن لخبرتهن، ويتأملنها دون مشايعة للأساليب القائمة لرؤية الأشياء، يلزمهن خلق معانٍ جديدة.

وحتى تعكس مثل تلك المعانى خبرات النساء، ينبغى أن يتجاوز تفكيرهن المفاهيم والصور الحالية، التى صيغت بالطبع فى ظل مجتمع يهيمن عليه الذكور.

نتصرف جميعًا وفقا لما تمليه علينا المفاهيم المألوفة التى ننتهجها، وتعنى شيئا مهمًا بالنسبة لنا. وعلى هذا النحو ترسخ البطريركية نفسها. إذ يتمثل النساء والرجال قيم هيمنة الذكور وامتيازاتهم، ويعرّفونها ويعيدون إنتاجها. ومن هذا المنظور، لا عجب أن توافق غالبية المبحوثات على عدالة قاعدة "من يأت أولاً، يحصل على الخدمة أولاً". فإذا كان لجميع الطلاب، من الناحية النظرية، قدرة التعامل مع فرص استخدام المعامل على قدم المساواة، ستكون إذ هذه السياسة منصفة.

ولكن ما سبب وجود طريقتين متباينتين، لدى "المفردات الطبيعية" و"المفردات الشاذة" من الطالبات، فى إدراك خبراتهن حول سياسة توفير فرص الاستخدام، ما بين التمكين المفترض نظريًا أن تؤدى إليه، والواقع الفعلى؟ وإذا كان هذا التباين يعود إلى استيعاب الطالبات لما يحدث، وعكس ما يعنيه (بالنسبة لهن)، وهذا يتم بتوسيط وعيهن، وبأسلوب تمثلهن للأفكار المحددة، فكيف إذا أصبح الوعى مختلفا بين المجموعتين؟ هل أدى تعرض "المفردات الشاذة" من الطالبات لاستخدام الكمبيوتر من قبل، وثقتهن فى أنفسهن التى امتلكنها بسبب هذا الاستخدام، إلى قدرتهن على الاستخفاف بالمفاهيم المسيطرة؟ إذا كان الأمر كذلك، فهذا سيفسر لماذا يبدو واضحًا أن هذه المجموعة تملك مزيدًا من الفهم للتناقض بين النظرية والتطبيق فى سياسات توفير فرص الاستخدام، وربما مزيدًا من الفهم لأنهن مررن بتمييز ضدهن كنساء.

توصيات

كشفت الدراسة أهمية تحديد الفجوة والتباين المنطقيين بين خبرة النساء، وكيفية فهمهن لها. كما وضعت الواقع المجتمعى كمقدمة لتأثير النوع الاجتماعى على فرص الوصول إلى الموارد، وأسباب ذلك، والنتائج المترتبة عليه.

وتظهر الدراسة أن التعامل بتعميم مع توفير فرص استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ومصادر التعليم، قد لا يفى بحاجات النساء. وربما يكون الأوان قد حان لانفتاح التعليم العالى عموما، وجامعة زامبيا خصوصا، على تحليل الاختلاف بين النوعين فى التعامل مع الواقع؟ فهذا من شأنه تأسيس المعرفة المطلوبة لإجراء تدخلات تعمل على توفير فرص استخدام متساوية عند التطبيق، وليست فقط كما تبدو فى التصور النظرى الذى تقوده المفاهيم المهيمنة مثل "الذى يأتى أولا يحصل على لخدمة أولاً".

وفوق هذا، فبالنسبة إلى الطالبات اللاتى تأخذ الخبرات لديهن معناها نتيجة استخدام المفهوم المقبول اجتماعيًا "من يأت أولاً، يحصل على الخدمة أولاً"، لن تؤدى الخبرة بهن إلى التمكين إلا مع إدراكهن للأسلوب الذى أدت به عملية تركيب المعنى هذه، إلى اغترابهن عن حقيقة خبراتهن االفعلية. وسيؤهلهن التفكير النقدى فى علاقة المعايير والمفاهيم الاجتماعية المهيمنة بخبراتهن الواقعية، ومشاعرهن تجاهها، إلى تعلم نقد ممارسات حالية أخرى تكون متحيزة ومميزة. وسوف يعمل برنامج للتعليم من أجل التمكين، يهدف إلى تحفيز هذا الوعى الانعكاسى بين طالبات الدراسات العليا، على أن تتوفر لهن مهارات حياتية أكثر قيمة، تساعدهن فى حماية مسارهن المهنى وتطوره، سواء فى حياتهن العملية أو المجتمع.

وذكرت الطالبات المبحوثات أن تخصيص معامل كمبيوتر للنساء سيؤدى إلى تحسن فرصهن فى استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى أغراض التعليم. إذ سيستجيب المعمل لحاجات الطالبات، ويكون مفتوحًا فى الساعات التى تتناسب مع الوقت المتاح للنساء، ويقدم دعما متناسبا فى تصميمه مع تمكينهن من استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بصورة أكثر فاعلية. ومن المهم أيضا تعزيز ثقة الطالبات بأنفسهن واحترامهن لذاتهن من خلال توفير التدريب اللازم لهن، حتى يستطعن الوصول للاستخدام الأمثل لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ويتمكن من

صناعة القرارات الخاصة بهن والتحكم فى مواردهن (Rowlands 2003) يجب تشجيع هؤلاء الطالبات حتى يتمكن من وضع أيديهن على شيء حقيقى ومادى. وبهذه الطريقة، يمكنهن الاكتشاف والبحث والتعلم والمشاركة.

وحتى تصبح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عاملاً مساعداً على تمكين النساء، تنبغى ملاحظة العقبات التى تعوق فرص استخدامها المحدودة أصلاً، ومواجهتها والقضاء عليها. وكان من الواضح أيضًا أن هناك صلة بين الاستخدام الواثق لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والوعى بأن قاعدة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً" لا تكفل فى حد ذاتها تساوى فرص الاستخدام. ويمكن أن يصبح معمل الكمبيوتر المخصص "للنساء فقط"، خطوة أولى مهمة باتجاه تمكين حقيقى من استخدام أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بغرض استفادة الطالبات من فرص التعليم على الإنترنت فى جامعة زيمبابوى.

المراجـــع

Bahi, A. (2004) 'Internet use in Abidjan cybercafés', CODESRIA Bulletin, 1/2: 67–71.

Batezat, E. and M. Mwalo (1989) Women in Zimbabwe, Harare: Sapes Trust: Harare.

Buskens, I. (2005) Free Attitude Interview Manual, available at www.GRACE-Network.net.

Chagonda, T. (2001) 'Masculinities and resident male students at the University of Zimbabwe:

gender and democracy issues', in R. B. Gaidzanwa (ed.), Speaking for Ourselves: Masculinities and Femininities amongst Students at the University of Zimbabwe, Harare: University of Zimbabwe.

Cottes, J. (2003) 'Young women's participation in international conferences in the new information society', Women in Action, 2: 14–16.

Daly, M. (2003) Beyond God the Father: Toward a Philosophy of Mbambo-Thata et al. | 6 76 Women's Liberation, Boston, MA: Beacon.

Denzin, N. K. and Y. S. Lincoln (eds) (2000) The Sage Handbook of Qualitative Research, 3rd edn, London: Sage.

Gaidzanwa, R. (1996) Speaking for Ourselves: Masculinities and Femininities amongst Students at the University of Zimbabwe, Harare: University of Zimbabwe.

— (1999) 'The politics of the body and the politics of control: an analysis of class, gender and cultural issues in student politics at the University of Zimbabwe', Zambezia, 20(1): 15–34.

Maboreke, M. (1997) Who is the Employee of the Labour Relations Act? Exploring the Gender Dimensions of the Labour Relations Legislative Framework, Harare: Faculty of Law, University of Zimbabwe.

Mashingaidze, T. M. (2006) 'Gender and higher education in postcolonial Zimbabwe: tentative reflections on policy issues', OSSREA Bulletin, 3(1): 33–9.

Mason, J. (2004) Qualitative Researching, 2nd edn, London: Sage.

Ndlovu, S. (2001) 'Femininities amongst resident female students at the University of Zimbabwe', in R. B. Gaidzanwa, Speaking for Ourselves: Masculinities and Femininities amongst Students at the University of Zimbabwe, Harare: University of Zimbabwe.

Rowlands, J. (2003) Questioning Empowerment: Working with Women in Honduras, Oxford: Oxfam.
Runhare, T. (2003) 'Women perceptions of masculine technical careers: a comparative study of women in feminine and masculine employment occupations in the city of Gweru, Zimbabwe', Zimbabwe Journal of Educational Research, 15(3).
Sen, A. (1999) Development as Freedom, New York: Anchor Books.
University of Zimbabwe (2003) University of Zimbabwe Five-year Strategic Plan, 2003–2007, Harare: University of Zimbabwe.

الفصل السابع

فضاء عام بديل للنساء
احتمالات توفره فى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

ليلى حسنين

طوال التاريخ وعبر الثقافات، أعادت الترتيبات المكانية تعزيز أوضاع التفاوت بين النساء والرجال. ويتمثل موضوع هذا البحث فى مسألة الفضاء وكيفية التعرف عليه من منظور النوع الاجتماعى. إذ يتم التفريق بين النساء والرجال مكانيًا، بأساليب تقلل من فرص وصول النساء للمعرفة ومصادر الدخل، وهكذا، يعمل هذا على إعادة تدعيم الوضع الأدنى للنساء مقارنة بالرجال. ويؤدى "إضفاء طبيعة نوعية على الأماكن" إلى فصل النساء عن المعرفة التى يستخدمها الرجال فى إنتاج السلطة والامتيازات وإعادة إنتاجها (Spain 1992: 3; Folbre 2001).

وفى مصر شجعت النساء رسميًا على المشاركة فى المجالات العامة التى هيمن عليها الرجال تقليديًا، مثل المعاهد التعليمية وبيئات العمل، حتى يصبحن قادرات على اكتساب مستويات تعليمية وتحقيق دخل مثل نظرائهن من الرجال. ورغم هذا، ما زالت المجالات العامة فى مصر متعذرة أمام كثير من الفتيات والنساء. حتى ولو تمكن من الحصول على تعليم وعمل فى فترة من حياتهن، فإن هذا يكون فى حالات كثيرة مؤقتا، يتم التراجع عنه بمجرد أن تصبح لدى المرأة أسرة خاصة بها.

ويعنى الفضاء العام (public space) كما نعرفه هنا، مكانًا "عموميًا"- منطقة جغرافية واجتماعية، يفترض توجه الناس إليها فى شئون حياتهم اليومية. ويختلف هذا عن التعريف الذى قدمه هابرماس فى عمله "الفضاء العام" ((Habermas 1989 [1962])، وكان يحمل دلالة سياسية وبورجوازية أكثر. ويؤيد هذا الفصل النقد الموجه إلى الفضاء العام كما تصوره هابرماس، من زاوية أنه لا يعطى إشارة كافية إلى النوع الاجتماعى. ولكن الفضاء العام كما نستخدمه هنا، يشير إلى مستوى قاعدى أكثر - يشير فى الحقيقة إلى ما عرفه هابرماس على أنه "المجال الخاص" (privet sphere)، هو العالم الاقتصادى حيث يقوم الناس بتبادل السلع والعمل.

كانت قضية المكان، بعدًا غير متوقع فى دراسة تبحث عن الدور تلعبه أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى تسويق المشغولات اليدوية التى صنعتها النساء. وفى الفصل الخامس من هذا الكتاب، ناقشت القدرة المحدودة لدى الحرفيات المصريات فى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ورغم هذا، أظهر استعراض حياة بعض النساء، أهمية الحصول على فرص للاختيارات المرنة للتعلم والعمل، كأدوات فى تمكين النساء.

من خلال كتاب ((In A Room of One's Own (1929)) أو (فى غرفة الشخص الخاصة) أعلنت فرجينيا وولف "لا بد من امتلاك المرأة للمال وحجرة خاصة بها، إذا همت بكتابة قصصًا من الخيال". ويبدو هذا حقيقيًا ليس فقط بالنسبة لكاتبات القصص من الخيال فقط، بل ينطبق الشىء نفسه على المصريات العاديات، اللاتى يحتجن دخلاً ومكانًا داعمًا من أجل تطوير قدراتهن الخاصة.

أكدت المبحوثات على أهمية وجود "مكان للتعلم" يخصهن - وفى حالتنا كانت إحدى المنظمات غير الحكومية - ليتعلمن فيه مهارات توليد الدخل، ويمكنهن الحصول منه على النصيحة والمساعدة، ويجدن فيه وعيًا يساعدهن على إعادة صياغة حياتهن. ويمثل هذا الفضاء مزيجًا من المجال الخاص والعام، حيث تجد النساء التعليم

والعمل المأجور، ويرتفع وعيهن بأنهن قادرات على صياغة حياتهن وفقًا لطموحاتهن، عبر التحايل على ما يعتبر تحديًا صريحًا لما هو متعارف عليه مجتمعيا (على سبيل المثال اختيار مستوى أعلى من التعليم أو العمل خارج المنزل فى بعض الأحوال).

تصل كثيرات إلى هدفهن فى تحقيق الذات عندما يتاح لهن الحصول على تعليم ومهارات من خلال توليفة الفضاءات تلك، التى تجمع بين الخصوصية كمطلب مجتمعى، مع المزايا الناتجة عن التعرض لخارج المنزل والتعليم التى يوفرها لهن المكان العام. وبسبب التعامل المتكرر للمبحوثات مع تلك الفضاءات أصبحن أكثر تمكينا سواء على المستوى الخاص أو العام. إلى حد تحول بعضهن إلى مدافعات عن حقوق المرأة - وأصبحن كلهن مستقلات ماليا وحصلن على مستويات تعليمية أعلى من النساء المتوسطات فى بيئتهن المحيطة.

استنادا على نتائج هذا البحث، نصل إلى أن خلق وتوسيع مناطق خاصة وعامة ترتادها النساء وتألفها، قد يساعد الفتيات والنساء على الوصول إلى الأهداف الاجتماعية الاقتصادية والتعليمية، وإلى تطوير المهارات التنموية بعيدة المنال فى الوقت الحاضر. وسيفيد المجتمع ككل من حصول تلك الإناث على تعليم، واكتسابهن مزيداً من الفضاءات التى بإمكانهن ارتيادها، وسوف يعفى كثيرات من القيود الجامدة على التعبير عن أنفسهن.

ونعتبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بحكم طبيعتها، وسطًا ملائمًا لخلق مثل تلك الفضاءات وتدعيمها وتوسيعها. وانطلاقا من الاستخدام الحالى لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى مصر، نجد أن حجم استخدامها للوصول إلى أطر التعليم والعمل التى توجد حاجة ماسة لها، أقل مما ينبغى. ويعرف الفضاء الإلكترونى بمرونته، وتوفيره إمكانية أن يحقق من خلاله، كل من النساء والرجال وأسرهم، فوائد إنتاجية واجتماعية. ويعطى هذا الفصل بعض الأمثلة المستمدة من مقابلات مع مصريات يشتغلن فى قطاع المشغولات اليدوية، ومشاهداتهن.

سيوة: دمج التقليدية مع تكنولوجيا المعلومات

يسرت لنا المنظمة الإيطالية "التعاون من أجل تنمية البلدان الناشئة" (COSPE)، الاتصال مع المشاركات فى عينة سيوة، وهى واحة قريبة من الحدود المصرية الليبية، تجرى فيها المنظمة مشروعات مختلفة مع "جمعية تنمية المجتمع المحلى وحماية البيئة" (CDEPA - Community Development and Environmental.Protection Association)، وهى منظمة غير حكومية محلية. وتجدر الإشارة إلى اختلاف المجتمع السيوى تمامًا عن باقى المناطق فى مصر. ويعرف السيويون أنفسهم، وهم من حيث الأصل أقرب إلى الليبيين، باعتبارهم بربر (أمازيغ باللغة المحلية).

ويصعب على أى غريب الاتصال بالمرأة السيوية مباشرة. إذ تُعزل المرأة والفتاة السيوية، وإذا ظهرت على الملأ تكون مغطاة بالكامل. وتعمل منظمة التعاون من أجل تنمية البلدان الناشئة، بالتعاون مع المنظمات غير الحكومية المحلية، التى من خلالها يمكن الوصول إلى الإناث السيويات. وكانت لمياء إحداهن (بدلت الاسم لحماية خصوصية اللاتى أجريت المقابلات معهن)، عمرها ١٨ عامًا، حاصلة على دبلوم الفنون البصرية، وتعمل مدربة على تكنولوجيا المعلومات بمدرسة ثانوية فى سيوة. وتدربت لمياء على تكنولوجيا المعلومات، مع غيرها من فتيات سيوة، بواسطة منظمة غير حكومية، واختاروها مدربة للبنات فى المدرسة. وكان اتصال لمياء مع الغرباء مقتصرا على سيدة إيطالية من منظمة التعاون من أجل تنمية البلدان الناشئة. وقد تحمست مديرة الجمعية إلى لقائى مع لمياء، كوسيلة تساعدها على اكتساب مزيد من العلاقات الخارجية.

وقابلتها فى المدرسة، وهى تعمل مع أحد الفصول فى معمل الكمبيوتر. ووفقا للتقاليد المحلية، كانت لمياء ترتدى ثوبًا ونقابًا أسودين، ولا تظهر إلا عينيها فقط، وهى تتعامل فى الوقت نفسه مع أحدث التطبيقات على الإنترنت. كما أنهت لمياء أيضًا برنامجًا تدريبيًا لشبكة سيسكو، التى تؤهل النساء المحليات للتدريب على تكنولوجيا المعلومات.

وبالإضافة إلى عملها في تكنولوجيا المعلومات، كانت متفوقة في التطريز السيوى التقليدى، مثل معظم النساء في الواحة. قالت لمياء "رغم أنى لا أكاد أجد وقتًا للتطريز، فإن أعمل في ثوب عرس إحدى جاراتي." وأطلعتنى على تطريزها المتقن ملفوفا في طيات من الشاش القطني الأبيض.

وبعد أن أنهت تدريس فصلها، توجهنا إلى أحد دروس محو الأمية تستضيفه أختها إيمان في مسكنها الخاص. وذهبنا إلى منزل أسرة يبدو عليه أن دخلهم متوسط مرتفع. وهناك أخليت غرفة لكمبيوتر شخصى مع أربع "شلتات" مصفوفات حول "طبلية"، وهى منضدة مستديرة منخفضة تستخدم تقليديا للطعام في الريف المصرى. وكانت إيمان تدير الفصل الدراسى المكون من أربع نساء. وأطلعتنى إحدى المتدربات على برنامج إلكترونى أعدته الحكومة لتعليم القراءة والكتابة، وكان اسمه "فهيمة". وكان بإمكان مستخدمه المتابعة بيسر مع الصوت والصورة. وكان مركز محو الأمية باستخدام تكنولوجيا المعلومات، والذى تلتف المتدربات فيه حول الطبلية، متحركًا يلف أنحاء المدينة. وتستقبله الأسر في بيوتها حتى لا تضطر السيدات للسير لمسافات طويلة من أجل الذهاب إلى أحد فصول محو الأمية. وتقدم الدروس في المنازل التى تحظى بمكانة في المجتمع المحلى. فمن المتوقع أن النساء لن تحضر الدروس إذا قدمت في مكان عام مثل المدرسة.

ويصعب على لمياء وإيمان، والفتيات الأخريات العاملات في سيوة (يقال تقليديا امرأة على السيدة المتزوجة، ولذلك نفرق هنا بين سيدة وفتاة)، الاستمرار في العمل خارج المنازل بعد الزواج. فبحكم التقاليد السيوية تعيش المرأة مع أسرة زوجها بعد الزواج، ولا يسمح لها بالعمل خارج المنزل. وأصبحت كثيرات في العقود الماضية، قادرات على اكتساب دخل بواسطة التطريز، بسبب انفتاح الواحة على العالم الخارجى[١].

لمياء لديها أخت أخرى متزوجة تعيش مع زوجها، الذى يعمل في ليبيا. وتستطيع أختها العمل هناك، ما دامت خارج سيوة. وتقول لمياء "أود الزواج والذهاب إلى ليبيا أيضا،

هذه هى الطريقة التى أستطيع بها مواصلة عملى فى تكنولوجيا المعلومات. وإذا كان علىّ البقاء فى سيوة بعد الزواج، لن أستطيع مواصـــلة التدريس بالمدرسة". وسألتها إذا كانت قادرة على تأسيس مجموعة منزلية مثل فصل محو الأمية، يخصص فقط للتدريب على تكنولوجيا المعلومات الأكثر تقدما. ردت قـائلة، ربمــا "أستطيع تطبيق هذه الفكرة".

عبير - مهنية وطالبة بالجامعة غير متزوجة ولديها أطفال

عبير عمرها ٣٥ عاما، غير متزوجة وتعول طفليها اعتماداً على عملها أمينة مخزن فى منظمة البشاير غير حكومية. ولتحسين عملها أكملت تعليمها بالدراسة مساءً، وحصلت على بكالوريوس تجارة. تعيش عبير بالقرب من عائلتها، وتعتنى والدتها بطفليها بعد انتهاء يومهما الدراسى.

وألحقت عبير طفليها بحضانة البشاير عندما كانونا صغيرين، مما ساعدها على مواصلة عملها فى المنظمة غير الحكومية. بدأت عملها فى حضانة البشاير منذ ١٤ عامًا، وأصبحت مديرة لها بعد عدة سنوات من العمل، وتقول: "خبرة العمل بالتدريس أعطتنى الخلفية التربوية اللازمة لتربية أطفالى. ثم عملت لفترة قصيرة فى قسم الحسابات بالمنظمة غير الحكومية، إذ كنت حاصلة على دبلوم تجارة، ثم أصبحت مسئولة عن قسم المخازن".

بدأت عبير استخدام الكمبيوتر منذ نحو عشر سنوات. وتدربت على ذلك أثناء عملها، ومن ثم استطاعت استخدام برنامج حفظ الملفات الإلكترونى فى نظام المخازن. إذ استخدمت البشاير مصممًا للبرامج، لعمل برنامج قاعدة معلومات لمخزنها، ولكن البرنامج كان يعطى نتائج خاطئة، وسرعان ما أوقفت البشاير استخدامه. وأرادت عبير الحصول على تدريب على برنامج إكسل لتحويل أوراقها المنفصلة إلى صورة رقمية. وكان ذلك يغطى ما يحتاج إليه المخزن حينها. لم تكن هناك حاجة ماسة إلى تطبيقات

مركبة فى تكنولوجيا المعلومات، ولكن توجد حاجة إلى تطبيقات عملية ومفيدة فى تحسين الإنتاجية.

وتقول عبير: "اعتدت على أن يكون لدى كمبيوتر فى المنزل، الأمر الذى أتاح لى التآلف مع تكنولوجيا المعلومات. أنا وزوجى منفصلان منذ عامين، وعندما ترك المنزل أخذ الكمبيوتر معه. وحتى الآن لم أجمع مالاً كافيا لشراء جهاز لنفسى، ولكنى آمل أن أستطيع الحصول على أحد الأجهزة مستقبلاً".

وكان السبب الرئيسى للانفصال ضرب زوجها لها. وحاولت عائلتها إقناعها أن الضرب "سيتوقف، وستصبح الأشياء على ما يرام مرة أخرى بينكما"، ولكن عبير رفضت قبول الضرب. وهى صاحبة الدخل الرئيسى لأسرتها، حتى أثناء زواجها، وترى فى هذا مبرراً أكبر لعدم تسامحها مع إساءة زوجها معاملتها بدنيًا. وبصرف النظر عن قدرتها فى الحصول على دخل، لم تكن عبير تحب أن تصبح العائل الرئيسى؛ فهى لا تمانع فى تحقيق دخل يعمل على تعزيز وضع الأسرة، ولكنها تفضل أن يكون لديها زوج أكثر قدرة على تولى المسئولية المالية:

"يرتاح الرجال هذه الأيام إلى حصول زوجاتهم على دخل، فهذا يجعل الحياة أيسر بالنسبة للرجال، إنهم يؤمنون حقوقهم التقليدية، ويأخذون فوقها أخرى جديدة. لا يزعجنى أن أكون متزوجة على الورق، فمواجهة المجتمع كامرأة متزوجة شرعيًا أسهل من المطلقة، وهذا أفضل أيضا بالنسبة للأطفال. ولن يدفعنى للطلاق، إلا فقط زواجه من أخرى؛ فلن أسمح بأن أكون الزوجة الثانية".

ويعطيها دخلها حرية لا يمكن الاستغناء عنها؛ فهى لم تكن، لولا تعليمها ووظيفتها، قادرة على ترك زوجها. وقد ساعدتها المنظمة غير الحكومية فى العناية بالأطفال وفى تطوير تعليمها، وكان كلاهما مهمًا حتى تظل عبير قادرة على إعالة نفسها ماليًا.

الأحلام تغير الحياة

تنتمى فيفيان وسلمى إلى مجتمع هامشى، مجتمع جامعى القمامة والعاملين فى إعادة تدويرها، حى الزبالين. وتعيش فى حى الزبالين مجموعة اجتماعية متميزة، يتزوج أفرادها غالبًا من بعضهم بعضًا، ويحافظون على العادات الصارمة التقليدية لصعيد مصر، وهى المنطقة التى جاءوا منها. وتنتقل مهنتهم من الآباء إلى الأبناء، وتعمل البنات مع آبائهن وإخوانهن حتى يصلن إلى سن البلوغ(٢). أمضت سلمى وفيفيان طفولتهما كعاملتين، تجمعان القمامة وتصنفاها. وحيث إنهما جزء ممن يدّرون دخلاً على الأسرة، لم يتح لهما الذهاب إلى المدرسة خشية أن يتعارض هذا مع عملهما.

وتتحدث فيفيان بحزن عن طفولتها:

> "منذ كنت فى السادسة من العمر، عملت فى إعادة تدوير القمامة، لأنها مهنة أبى، ويسهم جميع الأسرة فيها. لم أذهب إلى المدرسة أبدا، رغم أنى كنت راغبة فى ذلك بشدة. ونظرت إلى أطفال المدارس بحسد، أنظر إلى ملابسهم النظيفة، ويغيظنى أنهم يسيرون على مهل إلى المدرسة بينما، يكون على الذهاب بصحبة أبى إلى العمل فى المشغولات اليدوية من القمامة.
>
> "رغبت دائما فيما هو أكثر من مجرد الحياة. ولدى إرادة قوية، ويصعب التغلب على. عندما سمعت عن دورات محو الأمية فى كنيسة المنطقة، واصلت مطالبة أسرتى السماح لى بالالتحاق، ورضخوا فى نهاية الأمر، ولكن كان على العمل فى إعادة التدوير والقيام بأعمال المنزل طيلة اليوم حتى أستطيع الذهاب لدورة محو الأمية. واظبت على الدورة لثلاثة أشهر ، وكان أدائى ممتازًا. ولم أكن راغبة فى التوقف عند هذا الحد".

وفى آخر الثمانينيات، قدمت جمعية حماية البيئة (APE) فى حى الزبالين دورات للفتيات فى النسيج وفصول محو الأمة، ومشروع توليد دخل من منتجات النسيج بعد اكتمالها. ورغبت سلمى وفيفيان الإلتحاق بالتدريب على النسيج، ولكن لم يوافق أى من أبويهما. ثم اتفقت فيفيان مع أسرتها، بعد خوضها مشادات مع الأم، على أن تسهم بدخلها من النسيج فى نفقات الأسرة.

وبعد التدريب، أعطوا البنات أنوالاً، يأخذنها إلى منازلهن، وينسجن السجاجيد عليها. وبعد إنهاء السجادة، تسلمها الفتاة إلى الجمعية لتحصل على الأجر. ودون تمكين البنات من استخدام النول فى المنزل، لم تكن تلك البنات قادرات على إنهاء النسيج، لأنه لم يكن مسموحًا لهن العمل فى أماكن عامة إذا كان العمل دائمًا.

واتخذت فيفيان وسلمى، بعد أن شجعهما التدريب والدخل، خطوة أبعد فى تطوير نفسيهما، فحضرتا فصول محو الأمية، والتحقتا ببرنامج للحصول على دبلوم المدارس العليا فى النسيج، يستغرق ٧ أعوام. واليوم أصبحتا ضمن أهم أعضاء فريق العمل فى جمعية حماية البيئة: إذ أصبحت فيفيان السكرتيرة التنفيذية، وسلمى أمينة المخزن.

وتغيرت حياة سلمى بصورة درامية فى هذا السياق:

"خلال عملى مع المنظمة غير الحكومية، زرت باريس سنة ١٩٩٣، والصين سنة ١٩٩٥، وجعلتنى زيارة الدول الأخرى أكثر ثقة فى نفسى، ووسعت منظورى وفهمى للحياة. قبل سفرى، لم أكن أترك البيت مساءً أبدًا؛ والآن لا أخشى التوجه بعد الإظلام لشراء بعض الضروريات".

وتعتزم سلمى بناء غرفة لنفسها فوق سطح منزل أخيها. وانضمت إلى أسرة أخيها بعد وفاة والديها. والآن بلغت سن الأربعين، وهى غير متزوجة. وتساعد أبناء أخيها فى واجبات المدرسة المنزلية، لأن زوجة أخيها أمية. ولا تقوم سلمى سوى بالقليل من أعمال المنزل؛ وتسهم ماليا فى ميزانية الأسرة، ومن ثم لها مكانة مرتفعة فيها. وقد واجهت سلمى عقبات صحية خلال حياتها. ولكن اكتسابها الدخل والاتصالات من عملها، أتاح لها فرصًا للحصول على رعاية صحية أفضل.

أما فيفيان، فقد وفر لها التعليم والدخل قدرة للتعبير عن نفسها فى نطاق الأسرة والمجتمع المحلى. وأتيح لها التحدث علنا ضد ممارسة ختان الإناث، وأن تنفق من أموالها على الصحة والتعليم ونفقات الحياة. كانت فيفيان ضحية لختان الإناث، وتضغط الآن لتجنب بنات أشقائها وأصدقائها وأقاربها التعرض لهذه المشكلة.

ولم تختن فيفيان ابنتها. وتدفع نفقات تعليمها فى حضانة خاصة للأطفال. وكانت حاملاً فى شهرها التاسع أثناء المقابلة، وأخبرتنى أنها سبق لها ولادة جنين ميت فى مستشفى عام، ولذلك سوف تدفع نفقات الولادة فى مستشفى خاص.

وعايدة أيضًا، من الملتحقات ببرنامج تعليم النسيج فى جمعية حماية البيئة. وتعيش فى حى الزبالين، رغم أن أسرتها لم تكن أصلاً من الحى. لقد انتقلت أمها للعيش فى تلك المنطقة لأنها رخيصة؛ فبعد وفاة زوجها، أتت مع عايدة وأختها إليها للقيام بأعمال التنظيف، وكانت تشجع ابنتيها على الذهاب إلى المدرسة حتى حصلت الاثنتان على الدبلوم.

وعانت عايدة فترة شباب قاسية، وأدركت أن المجتمع المحيط بها لا يدعم أسرة من النساء، هذا إذا لم يناصبهن عداءً صريحًا. وجعلها هذا المفهوم تركز على الأمان، الذى تمثل لها فى الحصول على منزل آمن للأسرة. وبالفعل بنت منزلاً متواضعًا، وإن كان ينقصة كثير من الإصلاحات بسبب سوء قيام المقاولين بعملهم؛ ومن وجهة نظر عايدة فهذا يرجع إلى أن العمال لا يأخذون المرأة جديًا. وترغب فى إعادة بناء منزل أمها الذى تعيش فيه معها و زوجها الجديد. وكانت تدخر المال لهذا، ولكن مدخراتها ذهبت لتغطية نفقات زواجها. ثم بدأت فى تكوين مدخرات جديدة، وهى مصرة على بناء منزل قوى وجميل، كما أوضحت:

> "من الصعب الحياة دون أب أو أخ أو أقارب ذكور آخرين حول المرأة. حاول جارى توسيع منزله بالاستيلاء على منطقة ملكية عامة فى الممر المجاور لنا. وعندما شكوت، هاجم منزلنا فى الساعة الثالثة صباحا، وهو سكران. وتقدمت بشكوى فى قسم الشرطة، ولكن ما نفعنى حقًا، كان تدعيم أعضاء من المنظمة غير الحكومية لموقفى فى هذه الشكوى القانونية؛ وبمساعدتهم كنا قادرات على وقف المزيد من اعتداءات الجار".

وبسبب ظروفها الشاقة، وصلت عايدة حينما كانت فى السنة النهائية من التعليم المتوسط، إلى قرار ترك التعليم الرسمى والالتحاق بالعمل على النول فى المنظمة، للحصول على دخل يكفى لإعالة أمها. وشجعتها المنظمة على العمل مع أمها من المنزل

ومواصلة دراستها. وبالفعل حصلت على دبلوم التجارة، وعملت موظفة مكتبية فى المنظمة. وأصبحت الآن إحدى أربع نساء مسئولات عن قسم الورق الناتج عن إعادة التدوير. وينتج هذا القسم، كروتًا وأوراقًا للتغليف، وورقًا للكتابة وأنواعًا أخرى من السلع الورقية. وتباع المنتجات النهائية للفنادق والمدارس والشركات، وتعرض فى المتجر التابع للمنظمة غير الحكومية، القائم فى مبناها.

هل تسهم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى خلق مجال عام بديل للنساء

تتعارض الأمثلة التى سقناها لتعليم وعمل النساء فى سيوة وحى الزبالين مع المحاور التى تركز عليها أنظمة التعليم والعمل الحالية فى مصر، إذ يدور توجهها نحو مشاركة النساء فى المجال العام. ورغم هذا، ينبغى على الإناث الخروج إلى المجال العام للاستفادة من النظم. تمثل ثنائية المقابلة بين المجالين، العام فى مواجهة الخاص، قضية محورية فى تنمية المرأة (Gilman 1917)، وحتى تاريخنا هذا لم تحل بشكل كاف، مشكلة النظر فى واجبات وقيود المرأة اليومية الحالية (Valian 1999; Waring 1988).

سادت فكرة "العاملة النموذجية فى مقابل التدجين"، ولا تزال سائدة فى طريقة رؤية مشاركة النساء فى الاقتصاد. وتتمثل فكرة "العامل النموذجى" كما ترى ويليامز (Williams 2000: 1-6)، فى العامل الذى يعمل لدوام كامل، فضلاً عن العمل الإضافى فى أغلب الأحيان، ولا يكون مرتبطًا بواجبات الأسرة. و"العامل النموذجى" فى الأصل رجل، تسانده زوجته، التى تبقى فى المنزل للاعتناء بالجانب الصحى والأطفال. وينظر إلى التدجين باعتباره حزمة كلية من السمات تشكل حياة لا تتواءم بأى حال مع معطيات "العامل النموذجى"، مثل تربية الأطفال وأعباء الأسرة المعيشية، والواجبات الاجتماعية التى تتعارض مع العمل المدفوع الأجر، وهكذا.. (Stone 2007; Swiss and Walker 1993; Hirshman 2006).

وتظهر القصص التى روتها لمياء وإيمان وعبير وسلمى وفيفيان وعايدة، مدى التقدم الذى أحرزته بعض النساء فى تطورها، إذا أخذنا فى اعتبارها العقبات والحواجز التى واجهنها. لقد كان الأسهل عليهن الخروج عن نموذج المجتمع، من خلال بناء قدراتهن أولاً بواسطة أطر تراعى الصعوبات المجتمعية التى تواجهها النساء. وبالعكس، سيصعب الأمر أكثر إذا فرضت على النساء مواجهة القيود المجتمعية المفروضة فى البداية، حتى يتمكن من السعى إلىّ أهدافهن فى المجال العام، وبالتالى قد تحجم كثيرات وتتعثر آماله.

وحتى الآن، "لم توجد الدولة... التى تكفل نسيجًا وثقافة حضرية، تدعم الرجال والنساء على قدم المساواة كمواطنين وعمال" (Hayden 2002: 232) ولا بد من التمرس مع الحياة وأطر العمل التى توفر فرصًا أكبر للتعليم وتنمية المهارات والإنتاجية، والدخول الأعلى نتيجة لكل ذلك. وتبدو تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أداة مثالية لنموذج تنمية المرأة، ورغم هذا، لا بد من تجاوز سياق استخدام تلك التكنولوجية، للهياكل السائدة التى لا تراعى النوع الاجتماعى. ويؤيد بحثنا، السعى المبدع إلى نموذج للحياة والعمل والتمكين، يكون أكثر تلاؤمًا مع استخدام النساء للأشكال التكنولوجية المتاحة (وخاصة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات) التى يمكن توظيفها لتشجيع وزيادة أنظمة التعليم والعمل البديلة.

وفى حالة سلمى وعبير، نجح استخدام أنظمة تعليم الكبار المعتمدة على الدوام الجزئى، رغم أن عموم الناس فى مصر يعتبرون هذا التعليم الموازى أقل كفاءة. وانعكس هذا الموقف فى المقابلات. أسماء، المبحوثة التى تعيش فى أسوان، حصلت على دبلوم تجارة لمدة عامين، وأرادت الحصول على درجة جامعية حتى تستطيع الحصول على وظيفة مكتبية، ووجدت تعليم الكبار لدوام جزئى رديئا حتى إنها لم تستطع النجاح فى الامتحانات، رغم دخولها مرتين:

> "توقفت بعد محاولتى مرتين. لم أتعلم طوال العام ما يكفى لحصولى على الدرجات المطلوبة فى امتحانات نهاية الفصل الدراسى. والآن قدمت سيرتى الذاتية لمكتب القوى العاملة فى أسوان، على أمل أن يتم توظيفى بالدبلوم".

لا تظن سلمى أن تدريب الكمبيوتر الذى حصلت عليه سيحقق لها ميزة تضمن بها وظيفة حكومية. وتقول إنها أيضًا نسيت كثيرًا مما تعلمته، لأنها لم تستخدمه[٣]. وتعيش أسماء فى قرية، وتشعر بالفعل بالتضرر لأن أسرتها لم تسمح لها بالإلتحاق بإحدى الكليات وبمركز للاتصال.

الخلاصة

بحثت الدراسة فى أهمية الأطر البديلة لتمكين النساء، من خلال نماذج مختارة من المصريات العاملات فى المشغولات اليدوية. وأظهرت المقابلات المشتركة النساء اعتبرنه داعمًا لتحسين ظروف حياتهن بدرجة كبيرة. أكدت تلك الأطر للتعليم توليد الدخل، على مدى أهمية الفضاء والعوامل الجغرافية فى تنمية المرأة، فيما يتعلق بالمجموعة المبحوثة.

وفيما يلى بعض النتائج التى خرجت بها الدراسة:

– تستفيد النساء من المشاركة فى أنشطة المنظمات غير الحكومية التى تراعى الأعراف المحلية وتعمل على مسافة قريبة من القيود التى تواجهها النساء.

– التواصل عن قرب بشكل مستمر مع منظمة تقدم دعمًا (مثل المنظمة غير الحكومية) أتاح لتلك النساء إمكانية استدامة وتدعيم التحسينات التى يحققنها.

– عبرت جميع النساء تقريبًا عن حلمهن بالحصول على درجة جامعية، بصرف النظر عن حقيقة محدودية فرص التوظيف بالنسبة للحاصلات على تلك الدرجات. وترجع الأهمية التى تعطيها المصريات للتعليم إلى ما كانت توفره الدرجة الجامعية من حراك اجتماعى فى عهد النظام الناصرى. وسيكون من المفيد توفير تعليم وتدريب على المهارات للنساء، بشكل يحقق واقعيا فرصًا لتوليد دخل فى مصر المعاصرة.

- من الضرورى أن تتوفر بمصر أنظمة بديلة وموازية ذات جودة عالية. وفى الوقت الراهن، يعتبر التعليم خارج العالم الرسمى وتوقيتاته، أقل جودة فى معظم الحالات، والقيمة المترتبة عليه تكون أقل. وتعتبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أداة ممتازة لتوفير تعليم جيد للكبار فى أطر خارج الهياكل الرسمية.

- ويجدر لفت انتباه صانعى القرارات إلى أمثلة ناجحة من النساء، عندما وجدن الفضاء الذى يكيف حاجات التعليم والعمل مع واقع حياتهن (الواجبات المنزلية والقيود المتعلقة بالمشاركة فى المجال العام)، أصبحن قادرات على الوصول إلى مستويات عالية من التنمية الشخصية. وتعد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ملائمة بصورة خاصة لتقريب المسافة بين الفضاء العام والمنزلى، إذ تخلق فضاءات افتراضية يمكن للنساء النفاذ إليها، إلى جانب الأشخاص الآخرين المعزولين فى المجتمع (حاليا)، مثل الأشخاص الذين لديهم إعاقات. وحتى الآن، لم يتم فى مصر استكشاف الإمكانية الكاملة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى التعليم والعمل، وباعتبارها أدوات للحصول على معلومات. إذ تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات غالبًا داخل الأنماط التقليدية للعمل والتعليم، بدلاً من استخدامها فى تأسيس نماذج للتعليم والإنتاجية تتميز بمرونة أكبر فى الفضاء والوقت، وجعل الوصول إليها أيسر، لصالح النساء والرجال العاديين فى مصر.

- دمجت أغراض الدراسة فضاءات النساء التقليدية داخل إطار اجتماعى اقتصادى مدعوم بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، يقلل إلى أقصى درجة الحاجة إلى الحضور فى الفضاءات العامة من أجل التعليم والعمل. بصرف النظر عن واقع توفير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لطرق بديلة فى الاتصال والتواصل، فإن استخدام الإطار التقليدى للحياة أى العمل ما زال مستمراً، بما يحرم الاقتصاد المصرى قدراً هائلاً من الموارد البشرية.

– نوصى صانعى السياسات بالنظر إلى حاجات النساء بصورة أكثر نقدية ، إذا أرادوا تدعيم مشاركة المرأة فى تنمية مصر. ويمكن مضاعفة الاستثمارات التى تمت حتى الآن فى مجال تعليم المصريات، بجعل التعليم وتطوير المهارات متاحين فى المكان الذى توجد به النساء. وتعنى تقوية وإعادة تصميم بنية بديلة للتعليم والتدريب على المهارات والعمل، فضلا عن توفير وسائل تكنولوجية (حيث تلعب تكنولوجيا المعلومات والاتصالات دوراً كبيرا)، أن تصبح النساء قادرات على تطوير وزيادة إمكاناتهن، بدرجة تفوق بكثير ما يمكنهن تحقيقه فى ظل المجال العام الذى يهيمن عليه الذكور فى الوقت الحالى.

الهـــوامش

(١) أصبحت سيوة وجهة سياحية بعد مد طريق يربط الواحة بالطريق السريع الرئيسى فى منتصف الثمانينيات. وأدى انفتاح الواحة إلى كثير من التغييرات عليها؛ منها شراء الفضة القديمة من الواحة، والتعامل التجارى الفج مع المشغولات اليدوية التقليدية.

(٢) فيما بعد دخلت تغييرات كبيرة على حى الزبالين، نتيجة لاتخاذ الحكومة قراراً بتحديث نظام جمع القمامة، وإسناد المهمة إلى شركات إسبانية وإيطالية. وتم التوصل إلى اتفاق يتيح للزبالين العمل فى جوانب بعينها فى دورة جمع القمامة.

(٣) خطوط الاتصال مع القرية ضعيفة جداً، حتى إن أجهزة الكمبيوتر الشخصية فى المنظمات غير الحكومية لا يمكن استخدامها تقريبا فى الدخول على شبكة الإنترنت.

المراجــع

Folbre, N. (2001) *The Invisible Heart: Economics and Family Values*, New York: New Press.

Gilman, C. P. (1917) 'The housekeeper and the food problem', *Annals of the American Academy of Political Science*, 123: 127.

Habermas, J. (1989 [1962]) *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society*, Cambridge, MA: MIT Press.

Hayden, D. (2002) *Redesigning the American Dream: The Future of Housing, Work, and Family Life*, New York: Norton.

Hirshman, L. (2006) *Get to Work: A Manifesto for Women of the World*, New York: Viking.

Spain, D. (1992) *Gendered Spaces*, Chapel Hill: University of North Carolina Press.

Stone, P. (2007) *Opting Out? Why Women Really Quit Careers and Head Home*, Berkeley: University of California Press.

Swiss, D. J. and J. P. Walker (1993) *Women and the Work/Family Dilemma: How Today's Professional Women are Finding Solutions*, New York: Wiley.

Valian, V. (1999) *Why So Slow? The Advancement of Women*, Boston, MA: MIT Press.

Waring, M. (1988) *If Women Counted: A New Feminist Economics*, New York: Harper & Row.

Williams, J. (2000) *Unbending Gender: Why Family and Work Conflict and What to Do about It*, Oxford: Oxford University Press.

Woolf, V. (1929) *A Room of One's Own*, London: Hogarth Press.

الفصل الثامن

استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات
فى تحقيق الآمال وأداء الالتزامات
النضال ضد العنف على أساس النوع فى المغرب

أمينة تافنوت؛ عاطفة تميجردين

التغيير، الأمل، بداية جديدة، اليأس، الهزيمة، السلطة، التحدى، الالتزام

بتلك الكلمات عبرنا عن أنفسنا، أثناء المقابلات التى أجريناها مع الناجيات من التعنيف، والعاملات فى مراكز الاستشارات للمساعدة القانونية فى المغرب، التى تحول إليها المعنفات عند الحاجة لذلك. وحنيما رفضت الناجيات اعتبار العنف حقيقة محبطة ومهدرة لكرامتهن، كان هذا يعنى تغييراً ضمنياً. كما لسنا أيضاً الإحساس بالأمل فى مستقبل أفضل وعالم مختلف للنساء، يسوده السلام وتصان فيه كرامتهن. وبصرف النظر عن الصدع الذى ترك علامته فى جانب من حياتهن، فإنهن كن قادرات على الانفتاح مرة أخرى على العالم، والتوجه فى ثقة وجرأة إلى خبرة جديدة، وهكذا بدأن من جديد. وهذا على الرغم من وجود أخريات شعرن باليأس والهزيمة، اللاتى كسرن تحت وطأة الفقر والعنف.

وأبدت العاملات فى المراكز الاستشارية قدرة ورغبة فى مواجهة التحديات، ومواجهة الثقافة السائدة، التى تسمح بالعنف والتمييز وتضفى عليهما شرعية، واستعداداً لمكافحة العقليات التى تتعامل مع النساء باعتبارهن أدنى من الرجل، والخطاب الصادر عنها. وكن ملتزمات بخلق مناهج جديدة للدفاع عن النساء، ومؤمنات بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وكن يعتبرنها الأدوات الأكثر فاعلية فى فضح العنف وإدارة المراكز أيضاً. ورأين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ثورة فى وسائل الإعلام، وانفتاحا على التنمية والتواصل، وأصلاً رئيسياً بالنسبة لهما.

خلفية البحث

عندما فكرنا فى دراسة حول أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من منظور استخدامها من مراكز الاستشارات والمساعدة القانونية، وضحايا العنف فى المغرب، بدا البحث ذا طبيعة عامة ووصفية. ورغم هذا، ففى سياق التحضير للجوانب الخاصة بالفروض والمنهج، والتفكير فيها، أثيرت بعض الأسئلة:

- أى الأساليب البحثية يمكن تبنيها فى معالجة العنف القائم على النوع الاجتماعى، فى سياق يشكل فيه هذا العنف جانباً مقبولاً فى الفضاء الخاص، ولا يعد انتهاكًا لحقوق النساء كجزء من حقوق الإنسان، ولا ظاهرة اجتماعية فى حاجة إلى الدراسة التحليل؟

- ما الأسلوب النظرى والمنهجى الممكن تبنيه فى معالجة مسألة استخدام الناجيات من العنف الأسرى لأشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات؟

واتضح لنا أن سؤال البحث نفسه مثير للجدل حول دور أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأدوات يمكن للنساء استخدامها فى سعيهن لمواجهة كل أشكال التمييز. وفى الوقت الحالى، لفت "العنف ضد النساء" قدراً كبيراً من الانتباه فى المغرب من قبل جمعيات حقوق الإنسان والمرأة. وبسبب التركيز حاليًا على استخدام أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أدرجت قضية العنف ضد النساء فى خطاب التغيير والتنمية عند الحديث عن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

بما أننا نحيا الآن عالمًا أصبحت فيه تكنولوجيا المعلومات أداة للعمل، ووسيلة لتمكين الأشخاص، وسبيلاً للدخول إلى عوالم متعددة، وتقريب المسافات وتكوين علاقات، فقد أثرنا السؤال على النحو التالي: كيف، ولماذا، تلجأ الناجيات من العنف والعاملات فى مراكز الاستشارة والمساعدة القانونية، إلى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى مكافحة العنف القائم على النوع الاجتماعى؟ ويفيد فى الإجابة عن هذا السؤال، إلقاء الضوء على ما إذا كانت الناجيات من العنف يستفدن فعليًا من انفتاح المغرب على عالم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

نعلم أن بيئة المغرب التى نحيا ونعمل فيها، تتسم بتفاوت بين الرجال والنساء وغياب الوعى النوعى. وقلة مشاركة النساء فى صناعة القرار أيضا، وعدم بذل مجهود لمحو الأمية الرقمية، وغياب محاولات تذليل العقبات التى تعانى منها النساء فى أداء الأدوار النوعية الثلاثية (Smyth et al. 1999: 14).

تواجه المغربيات تحديات عديدة، اقتصادية واجتماعية وثقافية، تمنع عنهن فرص الوصل إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخدامها (من ثم تقلل قدرتهن على الاستفادة منها). ويتسم قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بوجود تفاوت بين الرجال والنساء، ولا يعطى النوع الاجتماعى، أو المساواة فى التنمية اعتبارًا عند معالجة المشاكل الاجتماعية. وفوق هذا، يحد قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من إمكانية إدماج النساء اجتماعيًا ومهنيًا أيضًا، خاصة الفقيرات والأميات منهن. ويرجع هذا إلى ما يتطلبه استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من مستوى تعليمى متوسط على الأقل، ووسائل مالية للدفع فى شراء الأجهزة، ووقت للتدريب (خاصة بالنسبة للنساء اللاتى يتولين مسئوليات الأسرة) وقد أوضحت لنا إحدى مبحوثاتنا ما يلى:

> "بالنسبة لى، أرغب فى تعلم طرق استخدامها، ولكن لا يمكننى هذا الآن. فهى توفر خدمات كثيرة. وأصبحت ضرورية، ومن لا يعرف استخدامها يعد أميا. فأنا أعتبر نفسى أمية. وقد بدأت التعلم بعض الوقت، ولكنى توقفت. فالأمر يحتاج إلى عدد من الساعات يوميا".

يكمن جوهر المشكلة فى مسألة وضع المرأة فى المجال العام بالمغرب. فإذا ما تركت المرأة عائلتها، تصبح خاضعة للمعايير العامة للسيطرة الأبوية أخلاقيا واجتماعيا، وتفقد أى قدر قد يكون لديها من "السيادة" على نفسها. ويسهم هذا فى واقع التباين بين حضور النساء والرجال على فضاء الإنترنت، وبالتالى يعمق الفجوة الرقمية القائمة بين النوعين فى المجتمع المغربى (Centre National de Documentation du Maroc 2003: 104).

لا يقبل المجتمع إلى حد كبير وجود النساء فى بعض الفضاءات العامة (منها مقاهى الإنترنت)، لأنهم يعتبرونها فضاءات مقصورة على الرجال (وخاصة بالنسبة لاستخدام الإنترنت، إذ يستخدمها بعض الرجال فى مشاهدة مواد إباحية). وقالت لنا لمياء من مكناس:

> "فى مقهى الإنترنت، لا تكون هناك رقابة على الرجال. ويستخدمون مواقع إباحية فى بعض الأحيان، وليس هناك من يهتم بذلك. ولكن النساء يشعرن بالإحراج لأن الآخرين يشاهدونهن بعين راصدة لما يكتبن أو يشاهدن، حتى ولو كان من قبل صاحب مقهى الإنترنت. وعلى هذا لا تكون لديهن خصوصية".

تزامنت دراستنا مع النقاش الدائر فى المجتمع المغربى حول قضايا كانت محرمة لفترة طويلة، وأهمها قضية حقوق النساء، التى أصبحت الآن مركز جدل سياسى، وفى المجتمع المدنى. وفى هذه الحالة، كان علينا تحديد موقفنا بوضوح. فنحن، كباحثات ونسويات، فاعلات فى التغيير الجارى حولنا، بكل ما نمثله، وبكل ما نملك، فيما يتعلق بالتمكين. ومثلت لنا هذه الدراسة حول استخدام النساء لأشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى مكافحة العنف القائم على النوع الاجتماعى، فرصة مزدوجة، كباحثات ونساء مهتمات بشدة بتمكين النساء: تمكين أنفسنا مع الإمكانات سريعة التطور، الذى يعد نوعًا من استكشاف مهاراتنا، وتمكين النساء اللاتى نعمل معهن بواسطة إدخالهن هذه العملية البحثية المحددة.

منهج البحث

تضمنت المشاركات فى بحثنا، عاملات فى مراكز قانونية (مشرفات على العمل والتنسيق مع الجمعية التى تتبعها المراكز)؛ ومستشارات للمرأة والمساعدة القانونية اللاتى تتمثل مهمتهن فى الاستماع للنساء ومساعدتهن، والاتصال بأصحاب الأمر المعنيين بظاهرة العنف؛ والناجيات من العنف اللاتى يتوجهن إلى المراكز بحثا عن الإرشاد والاستشارة والمساعدة النفسية والقانونية.

لاختيار الناجيات من العنف، لجأنا إلى مساعدة مديرات المراكز، حيث لديهن وسائل الاتصال اللازمة. ولم تكن الناجيات فى العمر نفسه، ولا منتميات إلى الطبقة الاجتماعية نفسها، ولا من المستوى التعليمى نفسه أيضاً. وفى هذا الفصل اقتبسنا عن أربع من الناجيات (لم نستخدم أسماءهن الحقيقية، من أجل حمايتهن) يعكسن التنوع بين النساء اللاتى يلجأن إلى تلك المراكز للمساعدة. وهذا على الرغم من تكويننا لفهم العام حول الموضوع، استنتدًا على محادثات أجريناها مع أربعين من المستعينات بخدمات المراكز، ومديرات ستة مراكز قانونية، تقع مقراتها فى الرباط (مركزان) وفيز ومكناس ومراكش وأوجادين.

وأكتشفنا أن إجراء دراسة حول العلاقة بين العنف القائم على النوع الاجتماعى واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من الأشياء السهلة والصعبة فى الوقت نفسه. سهلة بمعنى أننا نستطيع توفير المادة البحثية وأدوات العمل، ولأن لدينا تصورات واضحة على المستوى المنهجى حول كيفية معالجة مشكلة البحث، ولكنها صعبة، لأن هؤلاء النساء كن فى أزمة حين تقابلنا معهن، وكن متنوعات أيضاً. جئن إلى هذه المراكز خصيصاً بحثا عن حل لمشكلاتهن، ولهذا صعب علينا الوصول إلى إجابات عن أسئلتنا حول موضوع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التى قد لا يجدنها أولوية بالنسبة لهن فى هذه اللحظة.

ويقودنا فى تحديد محور تركيز البحث حلمٌ بمستقبل أفضل لنساء المغرب. ويفترض هذا الحلم أن فرص استخدام المعلومات حقًا للجميع، وبإمكان الناجيات من العنف المطالبة بحقهن فى العيش بأمان اقتصادى واجتماعى ونفسى، والمطالبة بحقهن فى فرص الحصول على المعلومات ومنتجاتها.

ذواتنا.. وذوات الآخرين

لم ننظر إلى المبحوثات باعتبارهن موضوعًا للدراسة، و لم نتعامل أيضا معهن باعتبارهن مجرد المواد المفسرة لتكون المعنى فى حياتهن اليومية، وبناء منطقها. بل نظرنا إليهن باعتبارهن فاعلات يشاركن فى خلق واقعهن، وهكذا يسهمن حتمًا بشكل رئيسى فى إحداث تغيير اجتماعى يتلاءم مع حياتهن. وقادنا هذا المنظور إلى تبنى أسلوب بحث العمل الميدانى التفاعلى، وأن نتخذ موقفًا نقديًا تجاه عملية بناء المعرفة، مدركين أن المبحوثات اللاتى عشن ظروفًا صعبة فى حياتهن، تصبح الصعوبات أمامهن أكبر، إذا فقدن فرص استخدام قنوات التعبير عن الذات. كما تضمنت أهدافنا أيضًا تطوير خطط فاعلة للعمل، استنادًا على هذا البحث، وهكذا ننتقل إلى الخطوة التالية، الحلم التالى.

استطعنا بناء علاقات مع الناجيات من العنف، ومع العاملات فى المراكز أو الجمعيات أيضا، اللاتى تمكنا معهن من مواصلة العمل لرسم إستراتيجيات وبرامج، تهدف إلى القضاء على العنف ضد النساء، وكسر نماذج التحريم والصمت التى تشجع اصحاب السلوك العنيف على مواصلة عنفهم. وفى عملنا الميدانى ومقابلاتنا مع النساء، حاولنا الانفتاح على النساء مع الاحتفاظ بموقفنا الانعكاسى (RA) فى الوقت نفسه، الجمع بين المهنية والحميمية. ويعود الفضل فيما عرفنا عن المبحوثات إلى قدرتهن على التعبير عن أنفسهن، فالحق فى الكلام أمر لا يمنح، ولكنه يؤخذ.

النتائج

العاملات فى المراكز واعيات بأهميتهن ودورهن فى تحقيق التغيير، وتأثير خبرتهن فى الضغط والتفاوض وتعزيز التضامن. وقد اكتسبن قوة وقدرة من خلال انتمائهن إلى مجموعة عاملة ومناضلة من أجل هدف واحد، من خلال منظور واحد، داخل المغرب وخارجها. ويعطيهن هذا ثقة فى النفس ويدفعهن إلى الأمام وقتما يتسلل اليأس إليهن. ولقد استخدمن بالفعل كل أدوات تكنولوجيا المعلومات المتنوعة (تليفون، وإى ميل، وإنترنت)، وهكذا كان لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، تأثير إيجابى فى مكافحة العنف الأسرى، من خلال تحسين الاتصالات، وصناعة القرار.

تسمح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بالتعبير عن الذات والعمل الجماعى. وتقول فتيحة من الرباط، وهى تعمل فى مركز قانونى:

> "إنها تيسر العمل فعليًا. على سبيل المثال، على المستوى الإحصائى، اعتدنا العمل اليدوى، ولكن الآن بفضل الشبكة لا نجد صعوبة فى الحصول على أى نتيجة معينة نريدها، مثل العمر والمنطقة.. إلخ. وكنا نعتمد من قبل فى الاتصال بالضحية على العنوان والتليفون الأرضى، ولكن معظمهن الآن يعطوننا أرقام تليفوناتهن المحمولة. وفيما يتعلق بملفات الضحايا، نبحث الآن عن اسم الضحية بواسطة الكمبيوتر لتحديد الملف الكامل بالإضافة إلى البيانات الأخرى.

وبصرف النظر عن المهمات المنسوبة إليهن، سواء كن مستشارات أم مديرات أو معاونات، تدرك العاملات فى المراكز القانونية الدور المهم الذى تلعبه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فى رفع الوعى حول ظاهرة العنف وفتح آفاق أساسية جديدة للعمل، إذ حسنت أساليب العمل ويسرت تبادل المعلومات مع المراكز القانونية الأخرى. وقالت زكية من مراكش:

> "إنها تسهل كثيرًا من الأشياء. فبدلا من الانتقال إلى مراكش أو الرباط فى يوم واحد، ييسر علينا العمل إرسال إيميل. وأستطيع الرد على الإيميل بينما أعمل. وأستطيع القيام بأشياء كثيرة فى الوقت نفسه، الفاكس، الإنترنت والتليفون. وبدلا من إرسال خطاب، قد يستغرق ثلاثة أيام. يصلك الرد على الإيميل فورًا. وبدلاً من إنجاز وحدة من العمل كل شهر، أنجزها فى يوم واحد".

أخبرتنا الناجيات من العنف، اللاتي فتحن قلوبهن لنا، عن حياتهن في لحظات الصعود والهبوط، وحول ما يرتبط أيضًا بخبرتهن مع العنف، وشعرنا أنه أمر لن ينسى بالنسبة لهن. ولكن تحدثت بعض الناجيات من العنف أيضًا حول حياتهن الجديدة، وكن يشعرن بالانفتاح مجدداً على الحياة كالمراهقات.

وعندما طلبنا من تلك النساء الحديث عما تعنيه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في كلمات قليلة، لم نكن متوقعين مثل هذه الخبرة القوية والعميقة. لقد اعتبرت بعض المبحوثات التليفون المحمول مثل "الصديق وقت الحاجة، وأخيك وأمك وأبوك"، و"حلال للمشكلات"، و"يجعل الناس أقرب"، و"الحماية في بعض الأوقات"، و"ضرورة". وقالت أخريات عن الانترنت: "لا نستخدمها لفضح العنف فقط، ولكن في المعرفة أيضًا، وفي علاقاتنا وتعليمنا". ويمكن تفسير تلك الكلمات البسيطة والعميقة بالظروف والأحوال التي تستخدم فيها النساء هذه التكنولوجيا، وربطها بها.

فتقول سناء من مكناس: "كنت مطرودة من منزلي، فاتصلت بأبي وطلبت منه زيارتي. واتصلت بعائلتي لتساعدني. وربما إذا لم يكن هناك تليفون محمول، لما تمكنوا من الحضور إليّ".

وتقول لمياء من مكناس:

> "فيما سبق، كان الوضع مختلفًا عما هو عليه الآن. كان هناك عنف في سياق معين. فقد اعتاد الناس العيش في أسر ممتدة. فإذا ارتكب الزوج عنفًا، تتدخل العائلة وتوفر الحماية. الآن ربما ترتكب جريمة ولا يكون هناك أي شخص يقدم حماية. فهناك الله والتليفون المحمول".

الناجيات مستعدات للتغيير

بدت الناجيات من العنف اللاتي أبدين استعداداً للتغيير، ممتلئات بالحياة والحيوية. وتمكنت الواثقات من أنفسهن واللاتي يمتلكن القوة، من استعادة احترامهن لذاتهن، والتصالح مع النفس. وتمكن من ذلك باتخاذ قرار بشأن حالتهن غير السارة،

بصرف النظر عن التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والعائلية. وتوصلن إلى اكتساب قدر من التحكم فى حياتهن ومصيرهن، وحياة ومصير أسرهن وأطفالهن. ورفضن العنف وتسلحن لمكافحته. وتحولت تلك النساء من كونهن ناجيات من العنف، إلى أن أصبحن فاعلات ومناضلات.

وعندما حصلت تلك النساء على أدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مثل التليفون المحمول، كن مدركات للدور الإستراتيجى لها فى حماية أنفسهن، والانفتاح على ما يحدث خارج الدائرة المحيطة بهن، ومحيطهن المحدود. ووفقا لهن، حل التليفون المحمول محل دور العائلة فى الإبلاغ عن مشكلة. وكما أوضحت إحدى الناجيات من العنف: "فيما سبق عندما كان زوجك يضربك، تبحثين عن المساعدة فى أسرتك التى تطلب منك الصبر، ولكن الآن بإمكانك الاتصال بمركز المساعدة القانونية، الذى ربما تعرفين من خلاله أخريات لديهن قضيتك نفسها، ومن ثم تساعدين الأخريات فى رفض العنف".

وبعض تلك النساء استخدمن الإنترنت مع كل ما تقدمه من خدمات، إذ أصبحت فضاء مهم للإبداع ونشر المعلومات. وتتمكن النساء عبرها من تكوين علاقات والإلمام بخبرات أخريات فى أنحاء العالم. عزمت تلك النساء على التدريب والتعليم من أجل مواكبة التقدم التكنولوجى، ورفض استبعادهن وخسارتهن للفرص. وصارت تلك الناجيات من العنف، متحكمات فى مواردهن، لا يحتجن إذنا من أى شخص للحصول على تلك الأدوات أو استخدامها.

إتاحة فرص الاستخدام للنساء مع غياب قدرتهن على التحكم فى مصيرهن

بعض النساء اللاتى رفضن ظروفهن، بقين مع هذا "خاضعات"، ولم يصلن حد التمرد والتحول عن شكل حياتهن السابق. ومن بينهن من لم يتمكن من قوة للتحكم فى مصيرهن. وكن محاصرات بالخوف وغياب الثقة بالنفس، رغم تطلعهن إلى الأمل

فى المستقبل بشكل من الأشكال. وكن حتى تلك اللحظة لا يدركن أن ما يعشن فيه ويعانين منه، لم يتسبن فيه، كما أنه ليس حتميا. ومن بينهن، نساء يمتلكن وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ولكنهن ينظرن إليها باعتبارها تعمل على زيادة التفاوت بين الفقراء والأغنياء، ويعلمن أن بإمكانهن توقع مزيد من الإمكانات عبر تلك الأدوات. ومن بينهن أيضًا، نساء يمتلكن وسائل تكنولوجية، وخاصة التليفون المحمول، ولكن ليس لديهن قدرة على التحكم فى استخدامه، لأنهن معرضات للحرمان منه فى أى وقت، أو لا يستطعن استخدامه إذا كان ذلك يغضب أزواجهن. وقالت لنا عائشة: يجب أن أخبر زوجى، لأن موافقته ضرورية. فالرجال ينظرون إلى التليفون المحمول كما لو كان عدوا. وإذا كان للرجل حق امتلاك تليفون محمول، لماذا لا يكون للمرأة هذا الحق أيضًا، إذا احتاجت إليه".

لا تشعر تلك النساء أنهن مؤهلات للمشاركة فى المستقبل المشرق الذى "تعد" به تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، من خلال توفيرها لفرص الحصول على المعرفة وتحسين شروط المعيشة. وقالت امرأة من فيز:

> "لست مقتنعة. الجانب المالى ليس سببا فى عدم امتلاكى لتليفون محمول. لدى المال. لا أعرف طريقة استخدام التليفون المحمول. يقول لى أخى، إنه لا بد من استخدام السبورة فى التعلم، لم تكن لدىّ فرصة التعليم".

عدم توفر فرص الاستخدام رغم اجتياز الخطوة الأولى

وهناك أيضًا نساء ما زلن يعانين من ظروفهن الصعبة، وليس لديهن قدرة على تغييرها. ولكن حتى تعبيرهن عن اليأس بدموعهن، كما فعلت بعضهن فعليًا، يمكن تفسيره رغم ذلك على أنه رفض لقبول الصبر، الذى يعدونه أفضل طريق للمرأة لتصل فى النهاية إلى علاقة يمكن تحملها مع زوجها. ومن هنا، يمكن النظر إلى التعبير عن الشكوى والغضب باعتباره خطوة أولى فى التغلب على اليأس.

التصورات حول عقبات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

وفقا للمستشارات والمساعدات فى المراكز القانونية، استنادا على خبراتهن فى العمل اليومى والاتصال المباشر مع الناجيات من العنف، تمثلت العقبات الأساسية فى استخدام تكنولجيا المعلومات والاتصالات بالنسبة للنساء، فى التيار الكهربى والفقر و"نقص الوعى" وتسلط أزواجهن عليهن.

وبالنسبة للعاملات فى المراكز، كان نقص التدريب الحاجز الأول دون استخدام الإنترنت. ورغم هذا كان الأسلوب الذى تبنته الجمعيات، إرغام المراكز على توظيف أشخاص متخصصين فى معالجة البيانات. ورأت مديرات المراكز أن الوسائل المالية المحدودة تعد الحاجز الرئيسى أمام التكنولوجيا. وصحيح أن المملكة المغربية بدأت فى إدراك دور مثل هذه الجمعيات (خاصة جمعيات المراة والمراكز الحقوقية) فى التنمية ورفع الوعى، ولكن المراكز تعتمد على المنظمات الدولية فى تمويل المشروعات، وتسعى دائما إلى التمويل من أجل تأمين استمرارها.

الخلاصة

من خلال بحثنا ومقابلة المبحوثات، اتضح لنا أننا لا نستطيع الحديث عن فرص وصول النساء إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى سياق يتسم بغياب وسائل تعمل على مراعاة النوع الاجتماعى وحاجات الأشخاص الفقراء.

اتضحت صحة افتراض أن "كل النساء متساويات فى العنف" ، بصرف النظر عن عمرهن ومستوى تعليمهن، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والموقع الجغرافى (ريف أو حضر). إذ ضمت المناقشات الجماعية المكثفة (FGD)، نساءً مختلفات فى الأعمار والثقافة والظروف الاقتصادية والاجتماعية. إذ كانت هناك بالغات وشابات وأميًات وغير أميات وموظفات وعاملات ومدرسات وغير متزوجات ومتزوجات ومطلقات. واتضح لنا الدور الذى تلعبه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى رفع الوعى بالعنف على أساس

النوع الاجتماعى. وأنها أيضًا وسيلة تعبير ، وانفتاح على أفق جديدة للعمل وتحسين أساليبه وتوفير الوقت الثمين.

ورغم هذا، فما بين السبورة فى عالم تعلم القراءة والكتابة، والتكنولوجيا المعاصرة فجوة تاريخية، تبدو غير قابلة للقفز عليها لدى نسبة كبيرة من النساء. لا يمكن العودة إلى السبورة السوداء، ولا يمكن أيضًا الدخول فى مزايا العوالم الافتراضية. وهكذا تتحول العلاقة مع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إلى أحد الموضوعات المجهولة. فما العلاقة فى ذلك بسلطة الرجال؟ هل يمكن الحديث عن نوع من "تكنولوجيا للذكور"؟ وكما ذكرت لنا إحدى مبحوثاتنا : "يتحكم الزوج أو الأب أو الأخ الأكبر فى الريموت كونترول".؟

توفر تنمية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فرصًا هائلة لتمكين النساء. ورغم ان الدراسة التى أجرتها اليونسكو فى ٢٠٠٣ أعادت التأكيد على وجود فجوة رقمية بين النوعين، وأن أولويات التدخل، فضلاً عن الاستخدام المتساوى لأشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بين النساء والرجال، لا بد من تركيزها أيضًا على مشاركة النساء فى صناعة القرار، ومحاربة الأمية وتذليل العقبات المرتبطة بالأدوار النوعية الثلاثية الملقاة على عاتق النساء.

واستنادا إلى أراء العاملات فى المراكز الحقوقية، خلصنا إلى أن أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تعد أدوات أساسية فى احتواء ظاهرة العنف من خلال السيطرة على المعلومات المرتبطة بها وامتلاكها. ورغم هذا كانت فرص الناجيات من العنف لاستخدام تكنولوجيا المعلومات الاتصالات محكومة بأوضاعهن الاقتصادية الاجتماعية، ومستواهن التعليمى، وظورف معيشتهن، ومدى استقلالهن. ويثير ذلك تساؤلاً حول تحقيق الديمقراطية وتعميم استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتبنى ما يلزم من إجراءات تدعم من جديد فرص استخدام النساء لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ولقد اعتقدنا أن هؤلاء النساء سيستطعن المحافظة على مواكبة التقدم التكنولوجى الذى تشهده بلادنا، ولكن يبدو أن تأنيث الفقر والأمية وصل إلى أعلى مستوياته (Association Démocratique des Femmes du Maroc 2007).

من الضرورى أن تهتم السياسات الداعمة لتمكين المرأة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات باعتبارها عنصراً رئيسيًا للتغلب على الفجوة الرقمية التى تعانى منها النساء، وخاصة الناجيات من العنف، وباعتبارها خطوة باتجاه كسر الصمت المحيط بهذه الظاهرة.

وقد ظهر أن بين الناجيات من العنف، كثيراتٍ غير قادرات على الاستفادة من الفرصة المصاحبة للتقدم الرقمى الذى يسود العالم، إلا أن ما علمناه أيضا حول خبرات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أطلق بعض الآمال، وجعلنا متفائلين، وزاد إيماننا وثقتنا فى قدرة النساء على استخدام تلك الأشكال التكنولوجية لجعل حياتهن أفضل ولتحقيق التغيير المرجو.

المراجـــع

Association Démocratique des Femmes du Maroc (2007) Rapport parallèle des ONG au 3ème et 4ème rapports périodiques du gouvernement marocain.

Centre National de Documentation du Maroc (2003) L'implantation d'Internet au Maroc: enjeux et perspectives.

Smyth, I., C. March and M. Mukhopadhyay(1999) Guide to Gender Analysis Framework, Oxfam Publishing, Arabic version.

United Nations ICT Task Force (2003) Tools for Development: Using Information and Communications Technology to Achieve the Millennium Development Goals, Working paper.

الفصل التاسع

الأسماء فى دليلك لأرقام التليفون
هل تملك شبكات التليفون المحمول دورًا فاعلاً
فى الدفاع عن حقوق النساء فى زامبيا؟

كيس برين إبراهام

منذ زمن طويل، تؤسس النساء مجموعات وتنظيمات داخل مجتمعاتهن الخاصة من أجل حل مشاكلهن المشتركة بصورة جماعية، وتكوين شبكاتهن، وتبادل الخبرات، وممارسة الأنشطة الداعية التغيير. واتخذن أشكالاً مثل الجماعات الطبيعية التى تنشأ حول الجمعيات الكنسية، ومبادرات المجتمع المحلى والأحياء، وجماعات المصالح المهنية. وقد أثر دخول التليفون المحمول على الاتصالات فى هذه المجموعات النسائية بأساليب مختلفة، الأمر الذى خلق حاجة للبحث فى هذه الأساليب.

قد تعوق بعض الصعوبات الاستفادة من إمكانات الاتصال بواسطة التليفون المحمول، فى حشد التأييد حول الدعاية لقضايا المرأة. قد تتضمن تكاليف تقديم الخدمة الباهظة، وغياب الإدماج الرسمى والفعلى للتليفون المحمول فى مبادرات تكوين شبكات إدارية، فضلاً عن القيود (سواء العملية أو الناتجة عن التقاليد) التى تقيد حرية النساء فى التمتع بفرص الوصول لخدمات الاتصال واستخدامها بصورة مستقلة.

يعتمد هذا الفصل على البحث الذى أجريناه فى ليسوتو عامى ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨، واستهدف اكتشاف مدى التغيير أو التأثير الذى قد يطرأ على الاتصالات التى تجريها المجموعات النسائية فى سياق دعايتها وسعيها لتغيير الأوضاع (الجماعات المؤسسة لهذا الغرض تحديداً)، من خلال استخدام التليفون المحمول.

إجراءات البحث

استندت كمصدر رئيسى للمعلومات على رئيسات خمس مجموعات نسائية، تنشط أساسًا حول تمكين النساء (مجموعات تشارك، أو مرتبطة، بنشاط الشبكات الأعضاء فى مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية (Non-Governmental Organizations Coordinating Council-)، ومسئولين من الهيئة التنظيمة الحكومية المسئولة عن تقديم خدمة التليفون المحمول، وممثلين عن مقدمى خدمة التليفون المحمول. وقد أجريت مقابلات كيفية مركزة مع هؤلاء الأشخاص.

النتائج

إمكانات النساء فى تشكيل الشبكات: الاتصالات عبر التليفون المحمول ممكنة فى أنحاء زامبيا المختلفة، أيا كان بعدها، نظراً لاستخدام تكنولوجيا لا سلكية، لا تتطلب سوى حد أدنى من ترتيبات البنية التحتية لتشغيلها، على عكس أنظمة الاتصال عبر تليفونات الخطوط الأرضية الثابتة. وتستطيع النساء أو المجموعات النسائية التى لديها تليفونات محمولة الاتصال بنساء ورجال آخرين، دون حاجة إلى وجود رقابة، ويتطور محتوى الاتصال أثناء إجرائه، دون وجود شخص خارجى يقوم بإخضاع المكالمات لإعادة صياغة.

يظل مستخدمو التليفون المحمول أشخاصًا على صلة وثيقة بالآخرين طالما كانت أسماؤهم مدرجة فى دليل الأرقام التليفونية والعناوين المخزونة فى ذاكرة التليفون

الخاص بهم. ويؤمن المستخدمون لأنفسهم، بواسطة دليل الأرقام التليفونية، فرصة الوصول للمستخدمين الآخرين بصرف النظر عن بعد المسافة إليهم. وقد استخدم أنصار تمكين المرأة هذه الإمكانية لخلق قناة لبث رسائل المناصرة إلى مستخدمي التليفون المحمول. ونتيجة لهذا، تمكنوا من تكوين شبكات ربطت بين المستخدمين الأفراد من أجل الدفاع عن قضايا مطروحة على الاهتمام العام. وتحولت هذه الشبكات إلى مجتمعات واقعية، حيث يمكن للمستخدمين خلق قنوات لبث الدعوة عبر قوائم عامة حول قضايا تهمهم سعياً إلى التأييد. وتمتلك منظمات مثل مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية (NGOCC)[١]، إمكانات في الاتصال غير محدودة تتجاوز عضويتها، من خلال قوائم النساء المدرجة في دليل تليفونات أعضائها كأفراد.

وتعتبر المنظمات النسائية وشبكات النشطاء العناصر الاساسية التي يستخدمها مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية، في تحقيق تغييرات كبيرة باتجاه تقدم النساء، ليس فقط في نطاق بيئتها التنظيمية المباشرة، ولكن على المستوى القومي أيضا. وتشارك عضوات شبكة مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية العامة، مثل بريسيلا مبوندو Priscilla Mpundu[٢]، المديرة التنفيذية السابقة لجمعية زامبيا للبحوث والتنمية Zambia Association for Research and Development (ZARD)، في المبادرات الدفاعية التي ينظمها المجلس، أيا كان موقعهن الجغرافي. وتوضح بريسيلا هذا فيما يلي:

"انتقلت من لوساكا، وأقيم حاليا في منطقة كوبرفيلد (شمال زامبيا). تصلني آخر الأنباء من سكرتارية مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية بخصوص الأنشطة الدفاعية، على الإيميل الخاص بي وعلى التليفون المحمول، وأجد رسائل التليفون المحمول أسرع، فأكون على علم بما يحدث، على عكس الإنترنت، إذ لا أقوم بفحص بريدي الإلكتروني كل يوم. وأعيد نشر الرسائل إلى الأعضاء في المنظمة الجديدة التي شكلتها هنا".

وفي توضيح لمدى استخدام مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية للتليفون المحمول في تعبئة التأييد، تقول لياه ميتابا Leah Mitaba، المختصة في عملية الاتصال داخل مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية : "نتصل هاتفيا عادة بأعضائنا لنخطرهم

بترتيبات الأنشطة الدفاعية المشتركة، ونبعث برسائل نصية إلى أعضائنا بخصوص المناسبات المهمة التى ننظمها، مثل جلسات العرض على المحكمة، وندعوهم للاحتشاد فيها لدعم النساء".

وهناك مجموعة أخرى، استفادت من التليفون المحمول فى تكوين شبكة تهدف إلى تنمية النساء، وهى جمعية مدينة شيباتا النسائية Chipata District Women's Association. إذ تكونت منظمة للمجتمع المحلى، عبارة عن مشروع للتليفون المحمول فى مدينة شيباتا الريفية فى المحافظة الشرقية، بدعم من جمعية أفريقيا الواحدة لتنمية النساء فى الريف (Oneworld Africa District Women's Development Association). واعتمدوا إستراتيجياً ثلاث نواحٍ لاستخدام التليفون المحمول: النشاط دعوى، وتوفير مال لمواجهة متطلبات الحياة، وتأسيس مشروعات تجارية. وكانت الجمعية تهدف من خلال تحديد تلك النواحى لاستغلال التليفون المحمول، إلى تشجيع العمل من أجل التغيير التقدمى للنساء فى مجتمعهن المحلى[٣]. وحتى تتمكن النساء من تحسين مستويات معيشتهن والاستمرار فى استخدام للتليفون المحمول، سعين إلى توليد الدخل من خلال تقديم خدمات الاتصالات على أساس تجارى لمجتمعهن المحلى.

اقتصادات التواصل من خلال التليفون المحمول : بينما يمكن بالفعل إقامة مجتمعات من خلال تبادل الآراء والمعلومات عبر التليفونات المحمولة، إلا أن التكلفة كانت عاملاً مهماً يجب اعتباره. تحدد حالة النساء الاقتصادية سلفًا وضعهن فى علاقات الشبكات الافتراضية المعتمدة على التليفون المحمول (mobile-phone-sustained virtual network). وينعكس هذا الاعتبار على قدرة النساء فى التواصل. ووفقًا لياه ميتابا، من مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية، ستكون من لديهن رصيد[*] أكثر العضوات تميزًا فى مجتمع التليفون المحمول، فهن القادرات على مبادرة الآخرين بالتحدث، ولديهن سلطة اختيار وقت الاتصال مع الأخريات وفق رغبتهن. ولكن من ليس

(*) فى الأصل talk-time. (المترجمة).

لديهن رصيد قد يكون انضمامهن مرهونا بمشيئة مالكات هذه الميزة. وقد يؤثر هذا سلبيا على تلك الشبكات، ويزيد عدم المساواة إذا لم يتم تداركه.

وبعد فترة من الزمن، بدأت منخفضات الدخل العضوات فى الشبكة الافتراضية المعتمدة على التليفون المحمول، يخسرن "فرصتهن فى التعبير". وأصبحن مستمعات صامتات، ومتلقيات للرسائل والإشعارات فقط من العضوات المتمكنات مالية بدرجة أكبر. أصبحن "الطبقة الأدنى" فى هذه الشبكة الافتراضية. وتشتكى بريندا زولو Brenda Zulu الصحفية المتخصصة فى تكنولوجيا المعلومات المقيمة فى لوساكا:

> "عندما تكون لديك أسماء أشخاص فقراء فى دليل الأرقام التليفونية، لن تكون لديك قنوات كثيرة لتطوير نفسك باستخدام التليفون. وفى الوقت نفسه ستكون أرقام مالكى الموارد فى فهرس أرقامك مفيدة أكثر؛ فهكذا يكون بإمكانك الاتصال بهم عندما تواجهك مشاكل، وسيقدمون إليك المساعدة. الفقراء لن يردوا لك المكالمة إذا طلبت منهم، لأنهم لا يستطيعون عادة تحمل تكلفتها".

وهناك بعض الأساليب التى تلائم أوضاع المستخدمين الراغبين فى تجنب التكلفة، مثل إرسال رنة (أى طلب رقم مستخدم وإغلاق الخط قبل أن يجيب، وهكذا لا يحسب عليك ثمن المكالمة) وخدمة الرسائل القصيرة (تواصل مستخدمى التليفون المحمول عبر رسائل نصية قصيرة SMS)، فالرسائل القصيرة شبه مجانية، بينما يكون استخدام أسلوب إرسال رنة مجانى تماما. ويتزايد شيوع هذه الأساليب، إذا رغب المستخدمون فى تجنب تكاليف إجراء المكالمات المعتادة. ورغم هذا، يظهر نظام طبقى افتراضى كما تقول إحدى المستخدمات: "يسبب مستخدمى أسلوب إرسال رنة إزعاجًا دائما، إنهم يضايقونك برناتهم حتى تتصلى أنت بهم، دون اعتبار أنك تستخدمين مالك الخاص للاتصال بهم".

وتعبر تلك المشاعر تجاه "المستخدم الأقل قدرة" عن "الاستياء من التكلفة" المرتبطة باستخدام التليفون المحمول. وإذا كانت هذه الممارسات قد تمثل إزعاجًا للمرسل إليهم، إلا أيضًا فإنها فرصة للتواصل لآخرين يمرون بأزمة أو فى ضائقة. وبوجه عام،

بينما تعد النساء الأكثر معاناة من الفقر فى زامبيا، إذ يمكننا افتراض أن بين طيف مستخدمات التليفون المحمول فى زامبيا، يوجد عدد هائل من "المستخدمات الأقل قدرة".

بينما تستخدم مؤسسة رسمية مثل مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية، شبكات الاتصال عبر التليفون المحمول، فإنها لا تُعدل ميزانيات نشاطها الدفاعى بحيث تتضمن التكاليف اللازمة لإستدامة هذا النظام، بالسرعة المطلوبة. وتعتقد لياه من مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية، أن تبنى تكاليف التليفون المحمول فى الميزانيات التنظيمية يؤدى إلى تمكين عضوات الشبكة الصامتات بسبب العجز عن شراء رصيد، وستيسر المؤسسة الاتصال عبر التليفون المحمول، عندما يتولى فريق العمل إجراء المكالمة لعضوات الشبكة. وأوضحت قائلة:

> "فى قسم نشاطنا الدفاعى نستخدم تليفوناتنا الشخصية فى أغلب الأحوال، لأن العضوات تتصل بنا على تليفوناتنا الخاصة، ونميل إلى إعادة الاتصال بهن على نفس التليفون، لأن ذلك يزيد من سرعة تبادل المعلومات. ويمثل لنا هذا مشكلة، على عكس المنظمات التضامنية التى توفر لموظفيها بدلات لاستخدام التليفون المحمول، بينما لا تطبق منظمتنا هذه السياسة".

وفيما يتعلق بالرضا العاطفى، تزداد أهمية إجراء المكالمات بنفسها، عند "المستخدمة" الفقيرة، على ثمن المكالمة فى حد ذاته أو المكسب الاقتصادى أو المعلومات. وإذا لم تتمكن من هذا ستؤدى المكالمات التليفونية إلى ترسيخ فقرها. وهكذا، فإن التخوف من ترسيخ الفقر لدى العضوات الفقيرات فى شبكات النشاط الدفاعى، له مبررات قوية، حيث لا يولد النشاط الدفاعى دخلاً بشكل مباشر. ويأملون حتى يكون النشاط الدفاعى عبر التليفون المحمول قائمًا على المساواة، فى التوصل إلى الإستراتيجيات التى توظف لضمان التضمين المستمر "للعضوات الصامتات" (نظرًا لانخفاض الدخل) فى المحادثات حول التنمية. ويحدث هذا فى مشروع التليفون المحمول لجمعية أفريقيا الواحدة لتنمية نساء الريف. وفقًا لوجهة نظر كيلفن شيبومبا Kelvin Chibomba العضوة فى الجمعية، فهى تشير إلى المشروع على النحو التالى:

"تستخدم النساء التليفون المحمول بفاعلية فى الدفاع عن حقوق النساء، والخدمات الاجتماعية. وطورن أليات جماعية لضمان تغطية تكاليف الرصيد من خلال أنشطة جماعية أخرى مولدة للدخل، وهذا للحفاظ على استدامة النشاط الدفاعى "غير المستهدف للربح".

الصراعات التى تنشأ بسبب النوع الاجتماعى: والعقبة الأخرى أمام استخدام شبكة التليفون المحمول فى النشاط الدفاعى، هى وجود نزاع ينشأ بسبب النوع الاجتماعى حول استخدام التليفون المحمول. وقد ألمحت وسائل الإعلام الزامبية فى تغطيتها لموضوع اتصالات التليفون المحمول والعلاقات بين الأزواج، إلى حدوث توترات متعلقة بالنوع الاجتماعى (Chakwe 2007; Batista 2002) وذكرت التقارير كيف أثرت القيم الثقافية على النحو الذى تجرى به النساء مكالماتها، ومدى عرقلة حريتهن فى التعبير، وتكوين شبكة علاقات. وقد وجدت لهذا التصور صدأ لدى امرأة تحدثت معها.

أثناء المناقشات التى أجريناها حول المنازعات المرتبطة بعلاقات النوع، تكررت الإشارة إلى منازاعات بسبب استخدام التليفون المحمول. ينشأ النزاع عادة بسبب الشك، لدى الزوج أو الزوجة على السواء، فى وجود علاقة مع الطرف الآخر المتحدث. وينبغى على المرأة أن تتعامل مع دليل الأرقام فى تليفونها الشخصى بحرص، خشية أن تسبب بعض الأرقام ضيقًا لزوجها. وتوضح لياه ميتابا هذا فيما يلى:

"وفقا للخلفيات الثقافية العميقة، سواء كانت تقليدية أم دينية، تعتقد معظم المتزوجات الزامبيات فى مبدأ أن الزوجين يصبحان شيئًا واحدًا. ويتعارض هذا المبدأ مع نموذج الملكية لدى شركات التليفون المحمول، التى توفر التليفون باعتباره ملكية خاصة، وشخصية لمستخدمها".

وفى البيوت التى يكون فى حوزة كلا الزوجين تليفونا محمولا، تتقاطع حدود الملكية مع الغيرة والشك، وتجاوز استقلالية المرأة. ويميل الأزواج للقلق بسبب رغبتهم فى معرفة الطرف الآخر فى الاتصال، وبسبب مبدأ "الزوجين شخص واحد" تنشأ المطالبة بحق المعرفة. ويحدث النزاع عندما يتمسك أى من الطرفين باستقلاليته. وفى بعض الحالات، تعرضت إناث للاعتداء عندما طالبن باستقلاليتهن فى استخدام التليفون المحمول (Chakwe 2007). وبلغت فى حالات متطرفة، حد الإساءات الشديدة والوفاة والطلاق.

المناقشات

تؤسس الشبكات مجتمعات افتراضية عبر التليفون المحمول، وتكون "رأس مال اجتماعيًا"، بمعنى أنها "تراكم مخزونًا من الثقة الاجتماعية والقواعد والشبكات التى تستطيع النساء الاستفادة منها فى حل مشاكلهن المشتركة" (Sirianni and Friedland n.d.; Sinha 2005). ولكن هذا المخزون للثقة الاجتماعية والقواعد والشبكات، يكون فى هذا السياق افتراضيًا وغير متبلور، ولكن يظهر تجسده فى دليل الأرقام التليفونية، فهو يجمع علاقات المستخدم. ورغم أن العلاقات تكون فردية فإن استخدامها يتاح فى تشكيل شبكات تتناسب مع الأغراض المختلفة. وبمجرد التشكيل المتعمد لشبكات المشاركة المدنية حول قضايا ورؤى مرتبطة بالتغيير بأسلوب بعينه تمكنت النساء من التعبير عنه، فقد أصبحت بمثابة رأس مال اجتماعى. وبقدر كثافة تلك الشبكات، يزداد احتمال استجابة أفراد المجتمع المحلى وصانعى القرار لتوصياتها (Sirianni and Friedland n.d.).

وتؤكد سينها (Sinha, 2005)، أن المكالمات التليفونية تضمن تقوية الشبكات الافتراضية، وتخلق بدورها رأس مال اجتماعيًا. وهكذا، تشكل مجموعات أو منظمات النساء شبكات لغرض معين، وتصبحن قادرات على الاتصال ببعضهن بعضًا تليفونيًا، وعلى التعاون باستمرار فى تحقيق تغييرات لتحسين أوضاع النساء. ويمثل "رأس المال الاجتماعى" لتلك المنظمات، شرطًا لازمًا للتأثير فى السياسات والدعوة الناجحة. ووفقًا لخبراتها، تحقق إلى هذا فى عدد من الحالات التى تم فيها استخدام التليفون المحمول[٤].

وعلى الرغم من هذا، ينشأ "نظام طبقى افتراضى،" يفرق بين من لديهن رصيد ومن ليس لديهن. وينعكس بصورة سلبية على الدفاع عن تمكين النساء، لأنه يؤدى إلى إقصاء غير القادرات عن الخطاب التنموى، حيث يكون فهرس الأرقام بالنسبة للمستخدمة التى لديها رصيد، بوابة حقيقية تمكنها من النفاذ إلى أشكال من الرفاهية الاجتماعية، مثل المعلومات أو الرضا العاطفى أو الموارد، فى حين تتقلص هذه

الاحتمالات بالنسبة للمستخدمات المحرومات، نظرًا لعدم قدرتهن على تحمل نفقات الاتصالات الراغبات فيها. وتعد هذه القدرة المتناقصة فى حد ذاتها، مؤشرًا على الفقر. ووفقا لما ذكره أمرتيا سن فى كتابه التنمية باعتبارها حرية (Development as Freedom (1999)، يمكن تعريف الفقر على أساس غياب القدرة، إذ قد يعيش الفقراء استبعادًا اجتماعيًا، وهم لا يستطيعون عادة شغل موقع فى حياة مجتمعهم الخاص، يتضمن ذلك فى حالتنا هنا، الاستبعاد من المجتمع الافتراضى.

وهكذا، يمكن اعتبار الدخل الكافى وسيلة لامتلاك القدرة، بينما تعمل تكاليف استخدام التليفون المحمول على خفض قدرات المستخدمات الفقيرات، إذ تتآكل مواردهن المالية مع كل حالة شراء رصيد. والجدير بالذكر، أن كفاءة الأنشطة الدفاعية باستخدام التليفون المحمول، تعتمد على إجراء اتصالات بشكل دائم، أى على الاستمرار فى شراء رصيد للاتصال بالتليفون. بينما فى الواقع، يشكل شراء رصيد لعضو الشبكة الافتراضية الفقير الذى ليست لديه قدرة كافية، تهديدًا يصبح عبئًا إضافيا على فقره. ولن تستطيع الشبكات المعتمدة على استخدام التليفون المحمول فى الأنشطة الدفاعية لتمكين النساء، العمل على لتحقيق هذا الغرض، بمشاركة رقيقات الحال من الناحية الاقتصادية، ما لم تتخذ تدابير عمدية لتمكين تلك النساء اقتصاديا.

وهكذا بالنسبة "للفقراء"، يبدأ تسلسل التفكير هذا فى إهدار مفهوم "الحرية" المصاحب لاستخدام التليفون المحمول، فتكلفة الاتصال المرتفعة تجعل "الفرص الحرة لاستخدام التليفون المحمول" و"التواصل الحر عبر التليفون المحمول" مجرد مفاهيم غير واقعية ومضللة.

وتؤثر النزاعات فى العلاقات بين النوعين بخصوص استخدام التليفون المحمول سلبًا على الشبكات المؤسسة بين النساء لأهداف خاصة بالنشاط الدفاعى عبر التليفون المحمول. وهذا نظرًا لأن تلك النزاعات تقيد حرية النساء فى الاتصال والتعبير عن أنفسهن. وفى مقال ساسكيا ساسين Saskia Sassen بعنوان "الثقافة النوع الاجتماعى" المنشور فى كتاب "هل يكون التعدد الثقافى فى غير صالح المرأة؟"

Is Multiculturalism Bad for Women? (١٩٩٩)، صنفت الحقوق الجماعية باعتبارها حقوقًا ثقافية، وأكدت أن الحقوق الجماعية تعد سبيلاً للحفاظ على أهمية الثقافة. وفى هذا السياق، لاحظنا أن الحقوق الفردية لمستخدمة التليفون، ربما تتعارض مع المبدأ الثقافى الذى يعتبر الزوجين شخصًا واحداً. وأكدت ساسين صعوبة حصول النساء على كلا الأمرين؛ أن يمارسن الإحساس الفردى بالذات، وأن يكسبن ثراء الخبرة والأعراف والطقوس، فى الثقافات التى يكون وضع النساء فيها أضعف. وهذا الشعور بالذات، هو ما يتعارض مع المطلوب ثقافيا فيما يتعلق بتبعية النساء وإدماجهن فى النظام الأبوى الراهن. وعندما ينشأ هذا النزاع ويصبح مؤثراً على النساء، غالبًا ما يرجع هذا إلى تضحية النساء بالحقوق الجماعية، الداعمة للقيم الأبوية، لصالح حقوقهن الفردية.

الصراعات التى تنشأ حاليًا بين النوعين حول استخدام التليفون المحمول، تكشف بوضوح مقاومة النساء للقيود الثقافية التى تحد من حريتهن فى التعبير وفى تكوين شبكات. وتواجه النساء معضلة، عندما ينشأ نزاع بسبب استقلالهن حديث العهد مع استخدامهن للتليفون المحمول، فإما يكيفن استخدامهن للتليفون المحمول بما يتلاءم مع تبعيتهن الثابتة ثقافيا وتقليديا، أو يكيفنه مع ما يرغبنه من تحرر، أو ما يمثل اختيارهن لأنفسهن. وفى الحقيقة، يقدم التليفون المحمول نفسه باعتباره أداة تثوير ثقافى، تستحضر فى الصدارة تفاوتات قائمة منذ زمن طويل، لم يتم حلها.

الخلاصة

تسفر جهود شبكات النساء للأنشطة الدفاعية التى تستخدم التليفون المحمول عن فوائد أكثر مباشرة إذا كانت الشبكات كثيفة. ووفقًا لشدة هذه الكثافة، تتشكل الشبكات الاجتماعية، وتتحقق إمكانية مراكمة رأسمال اجتماعى من أجل التغيير. ويمكن اعتبار رأس المال الاجتماعى شرطًا ضروريًا للتغيير التقدمى لصالح النساء.

إن عدم قدرة المشاركات المحرومات من الإمكانات، على تحمل المشاركة المتواصلة في الخطاب التنموى الذى يتم الحشد له عبر التليفون المحمول، تعكس حالة الفقر والتفاوت بين النساء. وتوضح أيضًا، التخوف من تجاهل أصوات "الفقيرات" فى أنشطة الدفاع عبر التليفون المحمول، إذا لم تتخذ إجراءات متعمدة لتضمينهن، بناء على الاعتراف بغيابهن والظروف المسئولة عنه. وفوق ذلك، يجب أن تختار النساء تبنى حقوقهن الفردية والجماعية وسط مجتمع أبوى، يعشن فيه ويقاومن الأعراف التقليدية المتعلقة بالنوع الاجتماعى التى تحد من حريتهن فى التعبير وتأسيس الشبكات.

فقط عندما سيتم التغلب على هاتين العقبتين، سيكون فى "دليل أرقام التليفونات" معنى جوهرى فى تأسيس الشبكات من أجل حقوق النساء فى زامبيا.

الهــوامش

(١) NGOCC منظمة غير حكومية تعمل كهيئة مظلية للمنظمات النسائية، تنسق بين المنظمات المشتركة فيها، سواء كانت منظمات غير حكومية أم منظمات قاعدية، التى تتناول قضية النوع الاجتماعى والتنمية من خلال بناء القدرات وتأسيس شبكات.

(٢) وافقت تلك المبحوثات على استخدام أسمائهن الحقيقية فى هذا الفصل.

(٣) يدرن، بالتعاون مع محطة الإذاعة بمجتمعهن المحلى، برنامج إذاعى من خلال التليفون، وفيه يدعون القادة المحليين ويؤسسون منتدى حيث يمكن طرح تساؤلات تنموية والإجابة عنها. ويستخدمن أيضا تلك التليفونات فى خلق شبكة من العلاقات حول قضايا التنمية من أجل تمكين النساء فى مجتمعهن المحلى.

(٤) تضمنت البرامج الأخرى التى تستخدم فيها NGOCC التليفونات المحمولة فى عملها:

(أ) ستة عشر يومًا من الأنشطة ضد العنف بالمرتبط بالنوع الاجتماعى: رسائل نصية للتذكير بأيام الاحتفال، وأيضا رسائل بها مضمون للدعوة حول الاحتفال بالذكرى موجهة إلى عامة الناس.

(ب) انتخابات نساء فى منصب عام: كان هناك ارتفاع ثابت فى عدد المسؤولات المنتخبات، اعتمادًا إلى حد ما على حملات أعضاء NGOCC التى استخدمت الرسائل النصية فى التأكيد على أعضاء الجمعية العمومية لتذكر التصويت للنساء.

(ج) عرائض قضايا قانونية: تدعم المنظمة النساء ضحايا انتهاكات حقوق الإنسان، وتنبه الأعضاء بشكل جماعى للتوجه إلى جلسات العرض على المحكمة، وإظهار التضامن مع الضحايا، وهى تفيد فى محاولة نشر الموضوع على الرأى العام بالنسبة للجمهور المتعلمين.

(د) نشر واستقبال المعلومات العامة المتعلقة بالحقوق الإنسانية للنساء

.(Leah Mitaba, NGOCC, January 2008)

المراجــع

- Batista, E. (2002) 'Cell phones: the marriage breaker', *Wired*, www.wired.com/gadgets/wireless/ news/2002/06/53452, accessed September 2008.

Chakwe, M. (2007) 'Marriages in a cell phone era', *The Post*, 22 April, postzambia.com/post- read_article. php?articleId=25563, accessed March 2008.

NGOCC (2004) *Beijing +10 Shadow Report on the Situation of Women in Zambia*, Lusaka: Zambia Association for Research and Development ZARD/ Non-Governmental Organization Coordinating Council (NGOCC).

Sassen, O. (1999) 'Culture beyond gender', in S. M. Okin, *Is Multiculturalism Bad for Women?*, Princeton, NJ: Princeton University Press.

Sen, A. (1999) *Development as Freedom*, New York: Knopf.

Sinha, C. (2005) 'Effect of mobile telephony on empowering rural communities', Conference on Digital Divide, Global Development and the Information

Society 2005, www.irfd.org/events/ wf2005/papers/sinha_chaitali.pdf, accessed

March 2008. Sirianni, C. and L. Friedland (n.d.) 'Social capital',Civic RenewalMovement, www.cpn.org/tools/ dictionary/capital.html, accessed March 2008.

(الباب الثالث)

استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات:

هل يجعل الحياة أفضل؟

الفصل العاشر

التليفون المحمول فى زمن الحداثة
تاجرات الأسماك والمشتغلات فى تجهيزها بداكار
والسعى إلى مزيد من الاكتفاء الذاتى

إيبو سين؛ مامادو بالا تراورى

يحرك تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بشدة، المشاهد الاجتماعية الاقتصادية والثقافية للمجتمعات البشرية، التى استقرت لفترات طويلة. إذ تدفع حدود أفعال البشر إلى التغيير، واعتبرها كثيرون الدواء الناجع لمختلف العلل الإنسانية، خاصة فى بلدان الجنوب. ومن هنا نشأت الآمال والتخوفات المصاحبة لهذه التكنولوجيا. إذ تعيد تصميم هندسة العالم الذى نعيش فيه، بسرعة وكثافة لم يسبق لهما مثيل فى تاريخ المجتمعات البشرية.

ويسلم الناس بدرجة كبيرة هذه الأيام، بأن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات عامل مؤثر فى بناء وتدعيم التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الشمال والجنوب. وأن هناك حاجة ملحة للبحث عن أساليب ملائمة لسد الفجوات التى تفصل بين البلدان الأفريقية والبلدان المتقدمة فى هذا الصدد (Mottin-Sylla et al. 2004).

واليوم، يثير تأثير تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تساؤلات عديدة. وتتولد عنها أوهام كثيرة من جميع الأنواع، وتخلق أحلامًا كثيرة لدى ملايين النساء والرجال

فى أنحاء العالم. وفى بعض التحليلات، تنسب إليها قوى هائلة تدفع التحولات فى المجتمع، بينما يقرر آخرون أنها لاتملك قوة لإحداث تغيير فى المجتمع، ولكنها فقط تصاحب حركة عامة وواسعة الانتشار، شاهدة على تبادلات اقتصادية وثقافية تحدث على مستوى العالم. ويبدو أن القراءات الأكثر تفاؤلا حول تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، كانت الأكثر قبولاً فى الأدبيات (Flichy 1991).

وبعد أن تجاهل منظرو التنمية الاقتصادية، دور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى تحول العلاقات الاجتماعية الاقتصادية، إلا أنها الآن ينظر إليها كأداة قادرة على المساهمة فى خلق ثروات للشعوب. إذ قد تعمل كأداة ضغط لتسريع النمو والتنمية، عبر تيسير التبادلات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية. والآن، أصبح مفهوم التقدم عبر تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات "وفقا للنزعة التنموية"، مأخوذا به فى جميع الدول الأفريقية كأسلوب لحل مشكلات التخلف والفقر الكبيرة التى يعانى منها المواطنون. (Commissariat général au Plan 1991).

ويأتى اهتمام السنغاليين بالإنترنت والتليفون المحمول فى المقام الأول بين أشكال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات (Chéneau-Loquay 2001). والغالب هو استخدام التليفونات المحمولة، ورغم هذا، يحول غياب الوسائل الاقتصادية لدى معظم السكان دون الانتشار الأوسع لاستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، فضلاً عن نسبة الأمية الكبيرة، والمستوى المنخفض للتعليم باللغة الفرنسية.

ومثلهن مثل نساء سائر البلدان الأفريقية، يتزايد عدد السنغاليات بصورة هائلة فى الاقتصاد الشعبى (popular economy) – يطلقون عليه خطأً فى مواقع أخرى، الاقتصاد "غير الرسمى (informal)"، بينما نطلق عليه هنا "الاقتصاد الشعبى والتعاونى". ولوحظ ترافق هذا مع نمو لم يسبق له مثيل فى استخدام التليفون المحمول[1]. وتمثل هذه العملية جزءًا لا يتجزأ من التغيرات الاجتماعية الاقتصادية، التى تسفر عن سلوكيات جديدة مرتبطة بالاقتصاد الرأسمالى العالمى، تدفع النساء والرجال إلى التواؤم مع النسيج الاقتصادى للدولة. ومع الضغوط الاقتصادية المؤثرة فى نسبة

كبيرة من الشعب، تصبح النساء أكثر انخراطًا فى الأنشطة المولدة للدخل. وتتجه النساء من خلال امتلاك هذه المشاريع تجارية، إلى تعزيز مهاراتهن الإنتاجية، ويؤكدن اعتمادهن على أنفسهن ماليًا، ويترتب على هذا مشاركتهن فى تحريك عملية تؤدى إلى مواجهة سلطة الرجال السنغاليين التقليدية فى المنزل.

وتلعب تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات دوراً مهما فى هذا السعى من جانب النساء، لتعزيز اكتفائهن الذاتي. وكان التليفون المحمول أداة مفضلة فى التعاملات التجارية التى تقوم بها تاجرات الأسماك، والعاملات فى تجهيزه بداكار، الجماعة التى نركز عليها فى هذا الفصل. إذ يجعل التليفون مهنتهن أقل صعوبة، حيث تزيد هذه التكنولوجيا من تحكمهن فى الوقت (اختصاره) والفضاء.

ويركز التحليل فى هذا الفصل على جهود منظمات الأعمال بالسنغال من هذه الفئة (وبذلك نسلط مزيداً من الضوء عليهن) حينما ينخرطن فى عملية تحرير إمكاناتهن الإبداعية بغرض التغيير الاجتماعي. وبعبارة أخرى، نضع بحثنا فى نطاق خطاب النوع الاجتماعى والتنمية المستهدف إحداث تحول فى العلاقات الاجتماعى بين الجنسين.

الإطار النظرى والمقاربة المنهجية

قد يفيد التأكيد هنا على الافتراضات التى تمثل جوهر هذا الفصل، حتى ولو اختصاراً. مع بدأنا فى البحث، وضعنا يدنا على صعوبات متعددة ستواجه الدول الأفريقية إذا أرادت التحديث استناداً على مخططات للتنمية مجلوبة من الخارج، ولجأنا إلى تحديد موقع مشاركتنا البحثية فى إطار التنمية الاقتصادية، والتغيير الاجتماعى النابع من الذات. وبررنا اختيارنا لهذا الموقف من رفضنا استخدام نظريات التنمية العامة التى لا تراعى تصوراتها المجردة، وجهات نظر الفاعلين الاجتماعيين الذين ستقع عليهم آثار تطبيق تلك التصورات، ولا علاقات النوع الاجتماعى المرتبطة بذلك (وهو أمر يفسر بلا شك عدم نجاح نماذج التنمية المجلوبة من الخارج تلك فى تحقيق النتائج التى كانت متوقعة منها).

فى إطار جمع المادة العلمية اللازمة لهذا البحث، عقدت سلسلة من اللقاءات مع رؤساء الهيئات المكلفة برعاية قطاع مصايد الأسماك على المستوى الوطنى: الهيئة الإقليمية لمساحة المحيطات، وإدارة المصايد البحرية. وتشارك تلك الهيئات فى مجال إنتاج المصايد السمكية، الذى يغلب عليه دائمًا فاعليات اقتصادية مثل شركات الصيد، وتاجرات الأسماك، وبائعات الأسماك الصغيرات والمشتغلين فى تجهيز الأسماك (من الجنسين). وكان علينا السعى أيضًا إلى الحصول على تصريح تلك السلطات ومساعدتها، لنستطيع إجراء المقابلات مع النساء فى المواقع التى اخترناها فى دراستنا، لنحدد معهم إطار المناقشة أيضًا[٢].

وكانت الخطوة الثانية فى جمع المادة التمهيدية، إجراء سلسلة من اللقاءات مع نساء مصايد الأسماك، داخل أحواض صيد السمك الأساسية فى منطقة داكار: سومبيديونى **Soumbédioune**، هان ياراخ **Hann Yarakh**، بينثيوم ثياروى **Penthium Thiaroye**، وسوق الأسماك المركزى **Marché central au poisson**.

وبعد مناقشة أولية مع منظمات الأعمال فى تلك المواقع، استطعنا تأكيد مشاركتهن فى دراستنا، وتمكنا معهن من تطوير مصطلحات وفروض هذا البحث. واستفدنا أيضًا من شرح مشروع بحثنا لرئيسات مجموعات النساء اللاتى تقابلنا معهن.

ولم تكن عمليات البحث التى قمنا بها سهلة، ويرجع هذا إلى إجرائها شتاءً، حيث أدت الفيضانات إلى تشريد السكان، وانتقلوا بناء على ذلك إلى مراكز أخرى وملاجئ مؤقتة. ومن خلال المسح الذى أجريناه، أتيح لنا التعامل مع مجموعات السكان التالية: عضوات من مجموعة النهوض بالمرأة **Group for the Promotion of Women (GPW)**، وكان لدى بعض النساء تليفونات محمولة يستخدمنها، ويتعاملن معها بكفاءة كجزء من تعاملاتهن التجارية، وكان هناك من ليست لديهن مثل هذه التليفونات واستخدمنها عرضا. وهكذا أمكننا التوصل إلى الإلمام بالسكان الذين نحتاج إلى توجيه الأسئلة لهم، حتى نحصل على عينة موثوق فيها، تفى بمبادئ كفاية المادة.

وقابلنا ٦٠ امرأة، واستخدم فى الحديث معهن لغة الولوف Wolof، اللغة الرئيسية فى السنغال، وتناولت المقابلات ظروف المعيشة الاقتصادية للسنغاليات، واستخدام منظمات الأعمال للتليفونات المحمولة. وتكونت منهن ثلاث حلقات للمناقشة الجماعية المركزة (FGD)، ضمت كل منها مجموعة متنوعة من النساء، بالنسبة للأعمار والانتماء إلى تجمعات المصلحة الاقتصادية. وقسمنا المجموعات بناء على: البيئة الاقتصادية الاجتماعية للنساء، والعلاقات الاجتماعية بين الجنسين، والعلاقات الأسرية (الزوج – الزوجة – الأقارب)، وعمل المجموعات وتأثيرها فى النهوض بالمرأة وتجمعات المصالح الاقتصادية، واستخدام التليفونات المحمولة، واحتياجات التدريب. وسجلنا أيضا سير الحياة وملاحظات كل مشاركة من واقع ممارستها.

وبغرض تطوير فهمنا لتاجرات الأسماك والمشتغلات بتجهيز الأسماك فى داكار، اللاتى حاولن تحقيق نجاح أكبر لمشاريعهن باستخدام التليفون المحمول، امتنعنا عن اعتبار أنفسنا "سائحين" من خارج الظاهرة التى نتوجه لدراستها. واخترنا المشاركة مع وجود مسافة كمبدأ لعملنا، وحرصنا فترة بقائنا وسط نساء العينة على "النظرة الموضوعية لتجسد الأفكار" (objectify objectification) وفى الحقيقة، نظراً للتعقيد الذى يتسم به قطاع مصايد الأسماك (المشهور بتقاليده وطقوسه)، لم نتمكن من التغلب على الحواجز التى تواجه المراقبين القادمين من خارج البيئة عموما، إلا فقط بالانغماس التام فى هذه البيئة، بالمعنى الأنثروبولوجى (مثل المشاركة وتقاسم المصالح المشتركة). وتأتى العقبات عادة من غياب الثقة، الأمر الذى قد يجعلهن مترددات فى تقديم معلومات فى مناطق تعد محظورة (على سبيل المثال، كما ينظر إلى العلاقات بين الجنسين). ومن خلال تهيئة ظروف للاحتكاك المشترك بشكل واضح، تمكنا من بناء علاقات حميمة مع تاجرات الأسماك والمشتغلات فى تجهيز الأسماك، إلى حد أن وجودنا أصبح تدريجيا غير ملحوظ لهم عمليًا، بينما نتقدم فى لدراستنا.

وسمح لنا هذا الخيار المنهجى برؤية ظواهر (مثل وقوع أحداث تتضمن تصرفات خشنة أثناء عملية التجارة) دون تأثر كبير بوجودنا، والوصول إلى فهم أفضل للمعنى

والشعور الذى يعطيه هؤلاء اللاعبات لتحركاتهن فى المجال التجارى. ومع التقدم التدريجى من المعرفة المحدودة للوقائع الخاضعة للدراسة إلى وضع أكثر فهمًا، حاولنا تجنب المزالق المعتادة، وانحرافات أساليب البحث التقليدية. إذ يوجد أحيانا ميل لتفضيل مفهوم "الإنسان الاقتصادى"(*)، بمعنى الفرد الذى تفترض رشادته التامة وأنانيته وحرصه على اتباع الحسابات؛ وفى أحيان أخرى يفضل البعض "الإنسان الاجتماعى"، بمعنى الفرد الذى يظل محتفظًا بمعايير اجتماعية شبه ثابتة. ونحن نفضل بدلاً من ذلك استخدام "الكائن المتكيف مع موضعه" (Homo situs). وهو مفهوم يرفض تلك الاختزالية فى العلوم التقليدية. إذ يتصرف وفق "عقلانية مركبة مرتبطة بالموضع، الأمر الذى يستلزم حل نماذج أكثر تركيبا من النموذج الذى تقدمه العقلانية الاقتصادية المعتادة" (Zaoual 1998).

وكنا حريصين على مراعاة ظروف العمل القاسية لتاجرات الأسماك والمشتغلات فى تجهيز الأسماك، حيث يقمن بالعمل فى أحواض صيد السمك فى الموانئ؛ وفقًا لورود الأوامر إليهن، وقد يعملن فى موقع ما لساعات تمتد من ٤ ساعات إلى ٢٢ ساعة فى اليوم الواحد، بمناطق متسمة بانعدام الأمن، أو عنف ناشئ عن انتشار الجريمة المنظمة، أو تفتقر إلى التجهيزات الأساسية الملائمة. وتعجبنا أيضًا من إصرارهن الشديد على تأمين الخدمات اللازمة لأسرهن، فى مواجهة التأثيرات الصعبة للأزمات الاقتصادية المؤثرة على معظم المواطنين السنغاليين منذ تطبيق برامج التكيف الهيكلى فى الثمانينيات.

وبصرف النظر عن طريقة بحثنا المتمثلة فى المشاركة بالتناوب مع الاحتفاظ بمسافة، فإننا كنا مدركين للانحرافات المتعددة التى لا يستطيع أى بحث تجنبها تماما، مثل انحراف المادة المجموعة، والتحيزات العاطفية والتقدير الجزافى.

(*) فى الأصل (Homo economicus) ترجم الإنسان الاقتصادى، و(Homo sociologicus) وترجم الإنسان الاجتماعى (المترجمة).

السياق الاجتماعى الاقتصادى والسياسى للبحث

نستطيع تمييز اتجاهين فى تحليل المجتمع السنغالى فيما يتعلق بالعلاقات النوعية. يؤكد الأول خفاء الأنشطة الرئيسية للنساء فى إدارة الاقتصاد والبيئة؛ وغيابهن عن إحصائيات العمل فى الإنتاج الاقتصادى أو الغذاء؛ وتهميشهن وعدم أخذ تلك الأنشطة فى الاعتبار؛ بصرف النظر عن أهميتها على المستوى الاقتصادى؛ والحط من قدرهن ودورهن فى اقتصاد يقوم على مفهوم الدخل النقدى. ويؤكد الثانى على ضرورة أخذ تلك الأدوار التى تقوم بها النساء فى الحسبان (Sow 2004: 50).

حاولنا تحديد العوامل الرئيسية التى تشكل أساس عدم المساواة بين الجنسين فى السنغال. وتكشف إحدى الدراسات حول المجتمع السنغالى، أن التنظيم الهيراركى للعلاقات الاجتماعية يمثل أوضح سمات العلاقات النوعية، إذ تكون النساء وفقا له خاضعات للرجال. وتنسب السلطة فى المجتمع السنغالى التقليدى للرجال. ويترجم هذا فى وجود ميادين وأنشطة وسمات منفصلة لكل من الجنسين (Diop 1981).

فى مثل ذلك السياق، المتميز بعمق تأثير البنى القديمة المنظمة لعلاقات الرجال والنساء وانتشارها، حاولت الدولة الوطنية فى السنغال بناء حداثة ذات طابع محلى منذ ١٩٦٠ (عام الاستقلال)، الأمر الذى لم يكن حتى يومنا هذا سوى وهم. وفى الحقيقة، كانت نتائج سياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتبعة المبنية على نماذج مغتربة عن واقع هذه البلاد، محدودة إذا لم نقل فاشلة.

ومن أجل إعادة التعامل مع الوضع الاقتصادى المتردى، والانتقال إلى بداية جديدة، أجبرت البلاد منذ الثمانينيات على طلب معونة مؤسسات مالية دولية مثل البنك الدولى وصندوق النقد الدولى. ومعنى هذا تطبيق برامج التكيف الهيكلى المعتمدة على شرط الاقتراض من الخارج؛ وبعبارة أخرى، مصادرة سيادة الدولة الاقتصادية.

ووفقا لدياى وتيجانى (Ndiaye and Tidjani, 1995)، يقوم جوهر برامج التكيف الهيكلى غالبًا على البحث عن نظام اجتماعى سياسى يهمين منطق السوق عليه،

وإزاحة الدولة عن القطاعات المهمة للاقتصاد الوطنى (المياه، الكهرباء، الزراعة، الصناعة.. إلخ) (انظر أيضا Duruflé 1988; Diouf 1992). وفاقمت تلك البرامج تدهور ظروف المعيشة والعمل، وأسفرت عن عواقب متعددة: عمليات تسريح للعمال، وإغلاق الشركات، وإعادة هيكلة الاقتصاد وفقا لمسارات ليبرالية تمامًا، وخفض الأجور، وتضاؤل القوة الشرائية للعمال، والاعتماد فى الإدارة على فريق عمل مرن.

وإجمالاً، كان كل شىء يشير إلى النتائج العكسية لبرامج التكيف الهيكلى، وزاد إفقار وتهميش عدد كبير من الرجال والنساء، سواء فى المناطق الريفية أو الحضرية، وهكذا أدى وضع التوظف الكارثى فى السنغال إلى إضعاف المكانة المهيمنة للرجال، وأسهم فى زعزعة استقرار أسر كثيرة. وفى هذا السياق، لعبت جمعيات نسائية وجماعات النهوض بالمرأة دورًا مهما فى تعبئة النساء من خلال رؤية تقوم على تخفيف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى تلقى بعبئها الثقيل على كاهل الأسر. وللقيام بذلك، شاركت باستثمارات كبيرة فى الاقتصاد الشعبى والتضامنى.

وعلى مر السنين منذ ١٩٧٥، حيث إعلان عقد الأمم المتحدة للنساء، عرفت جماعات النهوض بالمرأة تطورًا وتوسعًا متواصلين. واستندت فلسفتها التحفيزية على فكرة أن تنمية الأنشطة المشتركة والحصول على تمويل كمجموعة وليس كأفراد، أمرًا أسهل على النساء. وتمثلت الميزة الواضحة لهذا المنهج فى تغيير المنظور، مع المنهج النوع الاجتماعى الحالى، الذى يشجع إستراتيجية بارزة لتقليص (حتى القضاء على) التفاوت بين الجنسين.

يحتاج ظهور النساء فى مجال المشاريع بالسنغال، إلى إثبات قدرة حقيقية على المبادرة عبر شبكات موحدة نشطة: أى اتحاد فى صورة جمعية، أو مجموعات نقابية شديدة الارتباط بواقع حياة تلك النساء. ومثل هذه البنى التنظيمية، تخفف آثار الأزمات الأساسية ماديًا ونفسيًا من ناحية، وتسهل على العضوات الاكتفاء الذاتى ماليًا من ناحية أخرى، إذ تضمن لهن فرصًا أفضل فى تلبية التزامات أسرهن، إلى جانب حل مشاكل شخصية أو تلبية رغبات بعينها. وبينما تعمل هذه البنى على تذليل العقبات

أمام دور النساء ووضعهن، فهى تقوى أيضا حركية عضواتها، إذ تتيح لهن إقامة اتصالات اجتماعية - اقتصادية خارج دائرة المنزل والأقارب. وباختصار، تعطى الجماعات لعضواتها فرصة التعبير عن ذاتيتهن عبر فضاءات جديدة، وداخلها، وهى فضاءات أكثر انفتاحًا على رغبتهن فى التحرر.

ومن خلال تجمعات المصالح الاقتصادية المجسدة للإنتاج المادى، تسمح آليات تلك البنى واقعيا بمزيد من تحرر منظمة أعمال أنفسهن من القيود والعقبات الاجتماعية والثقافية، التى تحجم التوسع الكامل لحركة تحرير القوى المبدعة للنساء، باتجاه اعتماد أكبر على النفس وإحساس بالحرية. وإن تم ذلك ببطء فإنه مؤكد. وتواجه منظمات الأعمال تحديات مختلفة فى سياق مسارهن المهنى، من بينها التمييز وصعوبة إيجاد منافذ للتمويل وشروط الائتمان التى لا تتيح سوى مزايا ضئيلة.

النتائج

"تعد أشكال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات مجرد أداة، فهى وسائل للحصول على معلومات والاتصال، ولا تستطيع فى حد ذاتها حل المشاكل الاجتماعية"
.(Mottin-Sylla et al. 2004: 140)

وتنظر دولة السنغال فى سعيها للتنمية، إلى قطاع الاتصالات الإلكترونية باعتباره عنصراً إستراتيجيًا فى نماذج التدخل الاقتصادية والسياسية. وتلعب الاتصالات كمتغير دوراً مهما فى توجيه وتحسين الموارد المطلوب تعبئتها، وتنسيق الأنشطة التى يتم الشروع فيها. وبالتالى، تشهد تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تطور وتوسع سريع - وهذا ما يتم عمليا فى سائر أنحاء أفريقيا. وإلى مدى بعيد، يمثل التليفون المحمول أكثر تكنولوجيات الاتصالات والمعلومات استخداماً، وينسجم ذلك مع الأهمية التى تعطيها المجتمعات الأفريقية للمحادثات الشفهية.

وبالنسبة للمشاركات فى بحثنا، فقد استفدن من التليفون المحمول الذى مكنهن من توفير الوقت وزيادة حجم أعمالهن بصورة واضحة. وقلن إن التليفون المحمول يعمل

على حل مشكلة المسافة. كما قالت إحدى المبحوثات، عمرها ٤٤ عامًا وأم لديها ٦ أطفال: "عندما اشتريت تليفوني المحمول، كان ذلك بغرض استخدامه فى أعمالى. أحيانا، يكون عملائى فى حاجة إلى التحدث معى، ولكن لا تتوفر لهم فرصة الوصول لى. والآن يوفر التليفون هذه الإمكانية، عندما لا تكون لى رغبة فى السفر لحل مشاكلى. أرى التليفون المحمول ضروريًا." وتشاركها الرأى مبحوثة أخرى متزوجة، عمرها ٤١ عاما، ووالدة ٩ أطفال:

"للضرورة، اشتريت تليفونًا محمولاً. أحيانًا، يكون لدى عملاء يتصلون بى ليحصلوا على أخبار حول السوق... وكثيراً ما يتصل الشخص الذى يورد لى الأسماك الطازجة فى ساعة متأخرة، ويحدث أيضا، أن يكون على البقاء فى موانئ الصيد، حتى ساعة متأخرة جداً، ومن خلال تليفونى المحمول، أستطيع الاتصال بزوجى وأخبره بذلك. ويحدث أن تكون لى حاجات ملحة، أحلها بواسطة التليفون المحمول. لقد اتسعت إمكاناتى فى الحركة مع التليفون المحمول، ولا أخشى احتمال ألا تتمكن أسرتى من الاتصال بى عندما يريدون ذلك. ورغم هذا، لا أعرف القراءة، ولذلك لا أعرف إرسال رسائل نصية قصيرة".

واتفقت مع ذلك مطلقة عمرها ٣٩ عامًا وأم لطفلين:

"قبل ذلك، كنت عندما أترك المنزل، لا يتخلى عنى القلق تمامًا حتى أعود مرة أخرى. والآن، مع تليفونى المحمول، يمكنهم الوصول لى بسرعة شديدة. وأفضل الاتصال بعملائى بمجرد وصولى إلى السوق. ولا يكون على السفر أو الإعلان عما لدى من بضائع مطلوبة. بالإضافة إلى ذلك، يحدث أحيانا أن تعلمنا الجمعية بموعد اجتماع فورى؛ وفى هذه الحالة، استخدم التليفون المحمول لأخبر أسرتى بذلك حتى لا أتسبب لهم فى قلق. ومع التليفون المحمول، أشعر بحرية أكبر، ولم أعد قلقة على أسرتى بعد الآن. بالإضافة إلى ذلك، أقرأ الرسائل النصية القصيرة وأعرف طريقة إرسالها".

أوضحت الشهادات التى جمعناها من المشتركات فى بحثنا، الآثار الإيجابية للتليفون المحمول. وتوضح الزيادة الكبيرة الواضحة فى استخدام التليفون المحمول فى السنغال منذ ١٩٩٦، أن هذه الأداة أصبحت الآن جزءًا لا يتجزأ من الوسائل

التى جعلت منظمات الأعمال قادرات على أداء عملهن. إنه يسهم بصورة كبيرة فى زيادة المعاملات التجارية، ويحسن نوع العلاقات مع الموردين والعملاء. وتعود كثير من الفوائد على الاقتصاد الشعبى والتضامنى، إلى سرعة تطور هذا الشكل الجديد من الاتصالات، مما أدى بإحدى المبحوثات إلى قول "إذا لم يوجد التليفون المحمول، لكنا فى حاجة حقيقية لاختراعه من أجل تلبية الحاجات الكثيرة التى يعبر عنها، أو لا يعبر، نساء ورجال كثيرون فى أنحاء العالم".

الشىء الوحيد الواضح: أن التليفون المحمول أصبح أداة رئيسية فى الحياة اليومية لعدد كبير من النساء والرجال. فهل يعبر عن طراز سائد، أم أداة للعمل؟ لا شك أنه يمثل الأمرين معا. لقد استخدمت جميع فئات الفاعلين الاجتماعيين فى السنغال التليفون المحمول، من فئات الإدارة العليا إلى صائدى الأسماك، وقد أوضحوا تمامًا أنهم لا يرونه ظاهرة زائدة. ورغم ذلك، يوجد شعور واضح أن هناك حاجة إلى مزيد من الفهم خلال بحث أعمق.

فى قطاع تسويق منتجات الأسماك، أوضحت نتائجنا مزايا مختلفة مرتبطة باستخدام التليفون المحمول:

- تقليل أعباء السفر بدرجة كبيرة.
- التعامل الجديد مع الوقت باختصاره.
- إتاحة فرصة للاتصالات السريعة.
- الحفظ على ولاء العملاء بدرجة أكبر.

أشارت النساء أيضًا لحاجتهن للتدريب على موضوعات متنوعة، حتى يتاح لهن الحصول على المهارات الضرورية اللازمة لإنجاز الأعمال المرتبطة بتجارتهن بكفاءة (Sané and Traoré 2008). وتعد الحاجة للتدريب أمرًا ملحًا بشكل خاص، طالما ينظرن إلى التليفون المحمول كأداة رئيسية فى العمل، والشىء نفسه بالنسبة لاستخدام الإنترنت. وذكرن أن استخدام الإنترنت سيفتح فرصًا جديدة لهن بالنسبة للتصدير إلى

بلاد ليست على حدود بلادهن. ونظراً لمستوى الأمية المرتفع بينهن فى اللغة الفرنسية، فهن فى حاجة إلى محو أمية وظيفى على نحو أفضل، يكون متكيفًا مع حاجاتهن الخاصة، وإلى مقدمة فى علم إعداد الحسابات والإدارة المالية.

تغيير العلاقات الاقتصادية الاجتماعية فى المجتمع والأسرة بالبيئات الحضرية

كان تطوير المناطق الحضرية فى السنغال، مرتبطا بتطبيق الإدارة والاقتصاد الاستعمارى، ثم تسارعت وتيرته بعد الاستقلال عام ١٩٦٠، وأخذت الدولة الجديدة على عاتقها سلسلة من الإصلاحات لتحقيق الازدهار الاقتصادى والتنمية الاجتماعية، وسعيًا إلى الانفصال عن النموذج الاستعمارى على المستويات السياسية والاقتصادية والمؤسسية. وعالجت القوانين هياكل الإنتاج فى قانون الإصلاح الزراعى (١٩٦٤)، وقانون الإدارة المحلية والإقليمية (١٩٧٢) ولائحة الأسرة (١٩٧٣).

وترجع الزيادة الحضرية الكبيرة بدءا من ١٩٦٠ حتى الثمانينيات، إلى ظهور فرص جديدة (فى الوظائف والتجارة والصناعة) توفرت بالمدن، وخاصة فى منطقة داكار. وكاستجابة إلى تآكل الاقتصاد الريفى التقليدى المتميز بمحاصيل الحبوب، تدفق الريفيون والريفيات باتجاه المراكز الحضرية بحثًا عن الأنشطة المولدة للدخل. والجدير بالذكر أن هجرة سكان الريف نحو المدن كانت أحد أبعاد التمزق التدريجى فى القيم الاجتماعية والثقافية والأخلاقية الذى حدث نتيجة للتوتر بين التقليدى والتغيرات الاجتماعية الجارية.

ومن أجل فهم أفضل للديناميكيات الحالية للسنغاليات، لا بد أن نلحظ أن التنظيم الهيراركى لمجتمعات الساحل التقليدية يقوم على روابط النسب، بدلاً من الروابط القائمة على الزواج، وهى سمة الحداثة الحالية. وكما أشرنا بالفعل، يحبذ التنظيم التقليدى الفصل بين وظائف الإنتاج والاستهلاك والإقامة. وفى مثل هذا السياق تكون لدى الرجال والنساء فرص الوصول إلى موارد واضحة المعالم، وتولى مسئوليات مختلفة أيضًا.

ويعد مثل هذا النموذج الاجتماعى (الذى تعاد هيكلته حاليا) مصدراً للاكتفاء الذاتى للنساء بدرجات متفاوتة. وفى بلدان الساحل عموما والسنغال خصوصاً، يحتفظ الزوجان بالملكية الفردية للممتلكات. ونادراً ما تكون ملكية السلع ورأس المال مشتركة بينهما، ويأخذ كل طرف على عاتقه أدواراً ومسئوليات مختلفة فيما يتعلق بالإنفاق. ويعد هذا الشعور بالاكتفاء الذاتى المتحقق للنساء، سبباً إضافياً لتطور صاحبات الأعمال. ويظهر هذا العرف الحكيم فى تناقض صارخ مع القوى المحافظة الحالية، التى تتبنى معايير أبوية.

وبدأت النساء هذه الأيام فى تولى أدوار جديدة لهن، مع عودة تكوين النموذج التقليدى للأسرة، حيث تتحول الأسرة إلى أسرة نووية، وتجرى تغييرات فى نظم القيم تعارض هيمنة الارتباط بالنسب، وما يؤكده من لعلاقات هيراركية. وكانت للمسيرة تجاه "تحرير" النساء آثاراً جانبية فى زيادة نسبة الطلاق، وزيادة الأسر التى ترأسها نساء، سواء فى القرية أو المدن.

وكما أشرنا سابقًا، أسفرت أزمة استيراد نموذج التنمية، وعدم قدرته على خلق بدائل ذات مصداقية للوضع الراهن، مع وجود قوى إنتاجية متخلفة، عن وضع سيئ فى سوق العمل "الرسمى" وقلة الوظائف المتاحة لامتصاص قوى العمل المتكاثرة. ويوضح هذا السبب تزايد عدد الرجال والنساء الذين يحاولون الهروب من الشعور بعدم الأمان والفقر، ويحاولون إيجاد طرق لمعيشتهم داخل الاقتصاد الشعبى والتضامنى.

وفى ظل الأزمة الاجتماعية والاقتصادية الحالية المؤثرة بشدة على الأسر السنغالية عموما، وأسر النساء والشباب خصوصا، نلاحظ عدم القدرة المتزايدة لرؤساء الأسر (الرجال) على توفير جميع الحاجات الأساسية لأسرهم المعيشية اعتماداً على أنفسهم (Antoine et al.1995). ومع هذه الحالة من القطع مع الماضى القريب نسبياً، يتضح لماذا تخرج النساء من عالمهن المنزلى لتشارك فى العالم الاقتصادى بحثا عن

فرص جديدة لتوليد الدخل. ومن هذه النقطة، يصبح عمل النساء خارج أسرهن ضرورة لا غنى عنها.

تشير سير الحياة التى سجلناها، إلى أن الحياة اليومية لتاجرات الأسماك والمشتغلات فى تجهيز الأسماك، كانت بمثابة تفاعل بين حياة الأسرة والحياة المهنية. وتحملت النساء، مثل الأخريات المرتبطات بالاقتصاد الشعبى والتضامنى، أدوارًا متعارضة من الناحية التقليدية، إذ أصبحن يكسبن دخلاً تعيش عليه الأسرة، بمشاركة الأزواج أو محلهم. وانتشر هذا الاتجاه إلى مدى أبعد فى المناطق الحضرية، وقوض بناء الأسرة التقليدية. وتحدى هذا الوضع غير المتوقع أولوية الذكور فى إدارة شئون الأسرة المعيشية بصورة عميقة. وعمليا، كانت معظم السيدات اللاتى قابلناهن مضطرات للقيام بدور أساسى فى دعم الأسرة، سواء لأن أزواجهن عاطلون أو متقاعدون.

ومن ثم، أسهمت التغيرات الاجتماعية الاقتصادية، المؤثرة بعمق فى المجتمع، فى نشوء سلطة اجتماعية للمشاركات فى الاقتصاد الشعبى والتضامنى. وأظهرت النساء، اللاتى كن مواجهات بصعوبة متزايدة فى الظروف المعيشية (مثل كثيرات فى المناطق الريفية والحضرية)، قدرة هائلة على إدارة أنفسهن، ومهارات كبيرة فى التكيف. وأسسن كيانات متعددة الجوانب (جمعيات النهوض بالمرأة، وتجمعات المصالح الاقتصادية ومؤسسات التأمين التكافلى،... وما إلى ذلك)، هدفت إلى تعزيز الأنشطة التى تحقق الربح، ودعم التعاون بينهن على السواء. وكان هذا التطور بلا شك أكثر وضوحًا فى المناطق الحضرية، نظرًا لتميزها بالانغماس الأعمق فى الاقتصاد العالمى الرأسمالى، مما دفع كثيرات للبحث عن التحرر الاجتماعى والسياسى خارج البنى الأبوية الاجتماعية والثقافية. والنسبة لهن، أصبح التعليم والتدريب طموحًا ووسيلة للترقى الاجتماعى. ويؤدى تصميم النساء المتنامى على الخروج من المجال المنزلى (Mbow 2005)، بينما يبحثن عن توازن جديد بين الجنسين داخل ما يمر به المجتمع من تحول، إلى شىء من التوتر فى بعض الأحيان.

الأيديولوجية التقليدية التى تتبنى تبعية النساء للرجال (وخاصة الأزواج)، كما يوصى الإسلام، دين غالبية السنغاليين، دفعت فى أحيان كثيرة إلى الحد من حركة تحرير النساء. وصيغت الاعتراضات عموما فى صورة: أن الأنشطة التى تقوم بها النساء خارج البيوت تبعدهن عن مسئولياتهن الأسرية والتربوية، كما أن إعطاءهن حرية، ووفقا للمنطق نفسه، قد يؤدى بهن إلى الخيانة. ورغم هذا، فمع وجود مثل تلك المقاومة الذكورية، ما زال التطور تجاه إعادة توزيع حقيقى للأدوار بين الرجال النساء، ناجحا فى متابعة مساره المنطقى.

الخلاصة والتوصيات

فى سياق دراستنا لعملية التغيير الاقتصادية والاجتماعية والمجتمعية، أردنا إيضاح كيف تسعى بعض السنغاليات فى قطاع صيد الأسماك إلى تقليل العقبات والعوائق التى تحول بينهم وبين التحقيق الكامل لذواتهن من خلال إنشاء مشاريعهن الخاصة. وكيف استخدمن أداة ناجحة؛ مثل التليفون المحمول فى تعظيم معاملاتهن التجارية؟ وكيف أثرت عوامل، مثل الأمية والفقر والصعوبات الفنية والمادية، فى كبح رغبتهن القوية فى القطع مع نموذج لمجتمع يتبع فترة تاريخية أخرى (التقاليد)، ولا تتوافق مبادئه الأساسية (التمييز، والتهميش، وما إلى آخر ذلك) مع تحرر النساء (الاكتفاء الذاتى، المساواة فى الحقوق والمساءلة، وما إلى آخره.).

توجد حاجة ملحة – لصالحهن ولصالح عديد من المشاركات الأخريات فى الاقتصاد الشعبى والتضامنى – للوصول إلى سياسة اقتصادية واجتماعية قادرة بدرجة كبيرة على تحسين ظروف معيشتهن وعملهن. ومن شأن مثل تلك المبادرات التأثير الحاسم على سلوكهن ومواقفهن فى المستقبل، وهكذا تتاح لهن المشاركة الكاملة فى عملية التحديث الجارية حاليا داخل السنغال.

وبناء على جميع ما أشرنا له فيما سبق، نخرج بالتوصيات التالية:

- بالإضافة إلى الجهود الحالية لتسريع تنمية مشاريع النساء التجارية، والمنظمات التى تدعم النساء وتنهض بهن، ينبغى أن تزيد دولة السنغال من مساهمتها، بأن تقوم بدور ميسر لضمان أن تصبح مشاريع النساء بناء حقيقياً من أجل النهوض بهن وتحررهن.

- بلا شك يتطلب التقدم الاجتماعى للنساء، سياسة متعددة الأبعاد للسلطات العامة، تؤثر بالتزامن، على نظام التعليم والتوظيف والبيئة الاجتماعية والثقافية.

- إعادة تعريف أدوار الذكور والإناث على السواء ستكون ضرورة لا غنى عنها. وستستدعى مثل تلك العملية مراجعة صورة المرأة لتكون أكثر تماشيا مع الاتجاه المعاصر للمجتمع السنغالى، الذى يتشرب قيماً جديدة للحداثة بشكل متزايد، من بينها استخدام التليفونات المحمولة لانتزاع فضاء لحريات وإنجازات متزايدة.

الهـــوامش

(١) لدينا اعتراضات على تسميات مثل الاقتصاد غير الرسمى أو التحتى، لأنها تضع هذا القطاع فى تعارض مع القطاع الذى يفترض أنه "حديث"، أو رسمى، رغم أن هذا القطاع الجديد يجمع معظم العمال النشطاء. ويجمع الاقتصاد الشعبى والتضامنى بين ثلاثة تفرعات: سوق، ونشاط غير التجارى، ونشاط غير نقدى (See Ndiaye 2005).

(٢) كانت هناك دوائر العامة قدمت مساعدات للنساء. ومن ثم كان من المهم إبلاغ السلطات، حتى يمكن إجراء مقابلات معهن فى ظل ظروف ملائمة.

المراجـــع

Antoine, P. et al. (1995) *Les Familles dakaroises face à la crise*, Dakar: IFAN-ORSTOM.

Chéneau-Loquay, A. (2001) *Les Territoires de la téléphonie mobile en Afrique*, available online at www. africanti.org/resultats/documents/ACL_mobile.PDF.

Commissariat général au Plan (1991) *Technologies de l'information et performances économiques*, Paris.

Diop, A. B. (1981) *La Société wolof. Tradition et changement. Les systèmes d'inégalité et de domination*, Paris: Karthala.

Diouf, M. (1992) 'La crise et l'ajustement', *Politique Africaine*, 45.

Duruflé, G. (1988) *L'Ajustement en Afrique*, Paris: Karthala.

Flichy, P. (1991) *Une Histoire de la communication moderne. Espace publique et vie privée*, Paris: La

Découverte. Mbow, P. (ed.) (2005) 'Hommes et femmes entre sphères publiques et privées', Série genre [Gender Series] no. 5, Dakar: CODESRIA.

Mottin-Sylla, M. H. et al. (2004) *Citoyennes africaines de la société de l'information*, Dakar: ENDA.

Ndiaye, A. I. and B. Tidjani (1995) 'Mouvements ouvriers et crise économique', Dakar: CODESRIA, Série de monographies [Series of monographs], pp. 3–95.

Ndiaye, S. (2005) *Economie populaire et développement local en contexte de précarité. L'entreprenariat communautaire dans la ville de Saint-Louis (Senegal)*, PhD thesis, University of Quebec, Montreal.

Sané, I. and M. B. Traoré (2008) 'Femmes et technologies de l'information et des communications au Sénégal. Cas des transformatrices de poisson et mareyeuses de Dakar, Senegal', Report available at: www.GRACE-Network.net.

Sow, F. (2004) 'L'analyse de genre et les sciences sociales en Afrique', in M. I. Ayesha, A. Mama and F. Sow (eds), *Sexe, genre et société*
[Sex, gender, and society], Paris: CODESRIA/Karthala, p. 50.

Zaoual, H. (1998) 'Le besoin de croire: une nouvelle énigme pour les sciences sociales du développement', *Culture et Développement*[Culture and Development], 33, Brussels.

الفصل الحادى عشر

منظمات الأعمال التجارية فى نيروبى
دراسة اختيارات النساء داخل سياقها المحدد

أليس وانجيرا مونيوا

يشترى مليارات الناس تليفونات محمولة فى جميع أنحاء العالم. كما يفيد تقرير الاتحاد العالمى للاتصالات اللاسلكية عام ٢٠٠٧، ووفقا للتقرير، قدرت قيمة التليفونات المحمولة المستخدمة على مستوى العالم بنحو ٣٣٠٥ مليار . وتثير زيادة المتابعين لهذه التكنولوجيا، آمالاً فى استفادة العالم منها فى تطوره (Gamos 2003).

وفى كينيا، يتزايد الطلب الضخم على التليفونات المحمولة باستمرار؛ وليس لدى كثير من مستخدمى التليفون المحمول خطوط أرضية فى منازلهم أو فى أماكن عملهم. وقد أظهر التقرير السنوى لهيئة الاتصالات فى كينيا عام ٢٠٠٥/٢٠٠٦، أن عدد المشتركين فى الخطوط الأرضية، المستمر فى التناقص، ما زال أقل من ٣٠٠ ألف مشترك، بينما ارتفع استخدام التليفون المحمول من ٤,٦ ملايين إلى ٦,٤ ملايين مشترك خلال فترة التقرير. ويذكر أن "نسبة أساسية من أصحاب التجارة الصغيرة يستخدمون التليفونات المحمولة كوسيلة وحيدة فى الاتصال" (Vodafone 2005: 51). ويؤكد هذا أن التليفونات المحمولة تستخدم فى أفريقيا باعتبارها وسيلة أساسية، وليست مجرد استكمال

للخطوط الأرضيـة (Donner 2007). وينظر إلى التليفون المحمول على أنه يوفر مزايا تتفوق على الخطوط الأرضية.

وكشفت دراسة عن منظمات الأعمال فى كينيا، أن التليفون المحمول يؤثر بالفعل فى فاعليتهن وكفاءتهن (Wanjira Munyua and Mureithi 2008) فهل أسهم استعمال التليفون المحمول واستخدامه بغرض تحقيق النجاح التجارى، فى تمكين منظمات الأعمال أيضًا؟ يناقش هذا الفصل الخيارات التى اتخذتها منظمات الأعمال فى مجال تجارتهن، مع تباين الفئات المنتميات لها سواء من حيث القدرات أو الحجم[1]، واستكشاف مدى تيسير التليفون المحمول لإدارتهن أعمالهن التجارية الصغيرة بكفاءة فضلاً عن مسئولياتهن المنزلية، وآثار هذا على تمكين النساء.

خلفية البحث

أشارت معظم منظمات الأعمال الكينيات اللاتى تحدثنا معهن، إلى أن الأسباب الرئيسية التى دفعتهن للمغامرة فى التجارة كانت الحاجة للتحقق والاستقلال والمرونة فى حياتهن، إلى جانب توفير فرص التعليم لأطفالهن (Wanjira Munyua and Mureithi 2008). وكشفت دراستنا فى نيروبى عام ٢٠٠٨ مع ٣٢ سيدة، عن أن مجال الأعمال أصبح اختيارًا مهنيًا رائجًا بشكل متزايد وسط الكينيين. وبينما وجدنا بعضهن قد بدأن هذا العمل بسبب الحاجة للاستقلال، إلا أن غالبية منظمات الأعمال اخترن المجال التجارى كاستجابة لأوضاع خارجية، تتضمن سوء المعاملة والأحباط فى أماكن عملهن الحالية، والأجور، واحتياجهن إلى قدر أكبر من المرونة.

فى السنوات الأخيرة، لعبت المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر (Micro and Small Enterprises (MSEs)، كجزء من القطاع غير الرسمى، دورًا مهما فى كينيا. وفقا لدراسة إكيارا (Ikiara, 2001)، وتقرير البنك الدولى (٢٠٠١). وتوفر تلك المشاريع مسارًا بديلاً للنمو الاقتصادى، وخاصة فى سياق الفقر والبطالة المتزايدين، كما تقدم أيضًا حلولاً للإصلاحات الاقتصادية التى توجه الاقتصاد إلى مزيد من الليبرالية.

وذكر المسح الذى أجراه وولف (Wolf, 2001) فى جنوب أفريقيا وكينيا وتنزانيا، أن المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر وفرت وظائف لأكثر من ٥٠٪ من السكان أصحاب الدخول. وقدر أن هذه المشاريع مسئولة فى كينيا عن ١٢٪ إلى ١٤٪ من الناتج المحلى الإجمالى، وهى مهيمنة على الاقتصاد الكينى باعتبارها جانبًا أكثر ديناميكية فى القطاع الخاص (ibid.).

ومن السمات المهمة لهذا القطاع أنه كلما نما، وفر نسبة أكبر من فرص العمل لقوة العمل النسائية فى البلاد. ووفقًا للمسح الأساسى لبرنامج كينيا للمشروعات الريفية (Kenya Rural Enterprise Programme- KREP) ومكتب الإحصاء الوطنى (Central Bureau of Statistics (CBS) Baseline Survey) سنة ١٩٩٩، كان عدد المشروعات المملوكة للرجال والنساء متساوية تقريبا، ٦٧٠٧٢٧ و٦١٢٨٤٨ مشروعًا على التوالى. ولكن رغم هذا، لوحظ اختلاف كبير فى نوع الأنشطة التى اختارها الرجال والنساء، والدخل المتولد عن هذه الأنشطة (Republic of Kenya 1998, 1999, 2000). ويشير المسح إلى أن النساء ربما اخترن تلك الأنماط من المشاريع، لأنها من شريحة لا يتطلب البدء فيها كثيرًا من الضروريات، سواء من المهارات الجديدة أو رأس المال أو المعدات اللازمة.

وجد جاكيور (Gakure, 2004) أن أنشطة النساء الإنتاجية تتركز فى المشاريع المتناهية الصغر التى تتفق مع أدوارهن النوعية، مثل إعداد الأطعمة وصناعة الملابس. ويكشف المسح الأساسى لمكتب الإحصاء الوطنى (Republic of Kenya 1999) أنه بينما يتساوى عدد المشروعات المملوكة للنساء والرجال، إلا أن نسبة مشاريع النساء تزيد فى مجال الخدمات (٥٥,٧٪ للنساء)، وتزيد نسبة مشاريع الرجال فى التصنيع (٦٥,٧٪ للرجال) والإنشاءات (٩١,٢٪ للرجال). وظهر ارتباط بين نوع المشروع المختار من النساء أو الرجال وربحيته. إذ تولد المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر المملوكة للرجال دخلاً أكبر بنسبة ٧٥٪ من مشاريع النساء، حصلت النساء على ٤٣٤٤ شلنًا كينيًا مقابل ٧٦٢٦ شلنًا للرجال.

وأشارت مجلة صادرة عن مكتب الإحصاء الوطنى الكينى فى الفترة نفسها، إلى أن عدد الإغلاقات فى المشاريع التى تمتلكها النساء (٥٥٨٥ حالة) أكبر من مشاريع الرجال (٤٠٤٥ حالة) (Kibas and K'Aol 2004)، وبالنسبة لأسباب الإغلاق، كانت قلة التمويل سببًا مشتركًا فى مشاريع الرجال والنساء؛ وكان سبب عدم وجود زبائن وزيادة المنافسة بنسبة ٢٦,٨٪ فى مشاريع النساء، مقابل ١٢,٥٪ للرجال. وأضافت النساء أسبابًا شخصية، مثل رعاية طفل، عندما يجدن صعوبة متزايدة فى الموازنة بين العمل ومسئوليات الأسرة. وبلغت نسبة الإغلاقات بسبب رعاية أفراد مرضى من العائلة ٣٢,١٪ من مشاريع النساء المغلقة، بينما مثلت ٢٠,٣٪ لدى الرجال (.ibid) ووفقا لما ذكره مينسير (Mincer,1978) وبولاشيك (Polachek,1981)، تكون النساء فى الوضع الأسوأ عمومًا عندما تنافس الرجال، سواء فى المشاريع وفرص العمل. وتقبل معظم المجتمعات أن تترك النساء سوق العمل لأغراض مثل الولادة ورعاية الطفل وما يصاحبها من مسئوليات منزلية، وهى مهارات لا تأخذ حقها فى التقدير، وينظر إليها على أنها لا تتوافق مع المشاريع وفرص سوق العمل. وبينما تشير الإحصائيات الحكومية إلى تزايد صاحبات الشركات التى توظف عمالاً فى السنوات الأخيرة، فإنه حتى مع هذا التطور لا تمثل شركات النساء نسبة كبيرة من الشركات التى تحقق نمو مرتفع.

اختيارات صاحبات الأعمال

وكما ذكر جاكيور (Gakure, 2004)، تميل معظم منظمات الأعمال فى كينيا إلى البناء على مهاراتهن المنزلية فى إنشاء مشاريع متناهية الصغر. ويستخلص من ذلك أنه عندما تدخل قاعدة المهارة محدداً فى اختيار المشروع، سيُحمل الاختيار بطابع نوع اجتماعى فى المقام الأول. وسيعكس تأثير الثقافة الكينية المنحازة، فى التعليم والتدريب، على الخيارات المهنية. ويشير كونيل (Connell, 2002) إلى ما تنتجه البنية النوعية فى المدرسة فى معظم الأحوال، من أفكار شديدة الصرامة حول ما يعنيه أن تكون رجلاً أم امرأة، مع استقطاب كبير للصفات المميزة للأنوثة والذكورة. وتتصل التنشئة الاجتماعية

فى المدارس بمناهج دراسية غير الرسمية (خفية)، تمثل بعداً حاسماً فى التعليم، ويمكن من خلالها أيضا أن تشكل البيئات التعليمية تغييراً فى وجهات النظر الاجتماعية، ولكنها عموماً تواصل إعادة إنتاج القيم والمواقف التقليدية. ويتم التوصل إلى هذه التنشئة الاجتماعية عبر منظومة واسعة من الممارسات، تتراوح بين مواقف الإداريين والمدرسين وتوقعاتهم، إلى الرسائل المضمنة فى الكتب المدرسية، إلى التفاعلات بين الأقران والديناميكيات داخل الفصول الدراسية. وهناك أيضاً توقعات مؤثرة على مواقف التلاميذ، حول الأدوار المفترض أن يلعبوها فى المستقبل، إلى جانب السلوكيات التى تمارس خارج الفصل الدراسى.

وذكر مجلس السكان عام ٢٠٠٥ أن الدول النامية جميعا، لم يلتحق بالمدرسة فيها نحو ١٠٪ من الأولاد، و٤٠٪ من البنات، فى العمر بين ٦ و ١١ عاماً. ويظهر هذا بشكل خاص فى المناطق المتوفر بها عوامل مثل انخفاض احتمالات الحصول على فرصة عمل، وتدنى مستوى تعليم الأمهات، وحيث تمثل الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال الأدوار المتوقعة أكثرلا بالنسبة للبنات، حتى لو طلب منهن الاشتراك فى أنشطة مولدة للدخل لتعزيز دخل الأسرة المعيشية.

ووفقا لكونيل (٢٠٠٢)، يفترض وفقا للتنشئة الاجتماعية، أن يتوقع الناس من الرجل القيام بدور توفير الدخل والتطابق مع صور الذكورة النمطية، ويتوقعوا من النساء دور ربة المنزل والتطابق مع صور الأنوثة النمطية. وينتج عن هذا، تفضيل الرجال والنساء للوظائف المتصلة بأدوارهم النوعية والصور النمطية النوعية، والتى تتطلب مهارات محددة مرتبطة بها. وفوق هذا، إذا كانت النساء يعتقدن داخليا أنهن بلا قيمة فى حد ذاتهن، فلن تكون هناك قيمة، من وجهة نظرهن، لإمكانية مشاركتهن المهنية من عدمها، وقد يؤدى هذا إلى تصورهن أن تلبية المطالب المجتمعية أهم وأكثر قيمة من مجرد أحلام وأمنيات شخصية. وبشكل عملى، لا يعد تحقيق أحلامهن الخاصة اختياراً حقيقيا متاحاً، حيث لا توجد أمامهن خيارات.

وتنتهى كثيرات إلى تبنى القيم المرسخة اجتماعيًا حول النوع الاجتماعى، التى تحط قيمتهن، وتؤدى إلى عجزهن عن احترام أنفسهن وأحلامهن وطموحاتهن فى سياق المعايير الاجتماعية السائدة. ووفقا لوجهة نظر شيجى (Chege 2003) النساء المتوافقات مع المعايير المجتمعية للنوع الاجتماعى، هن الأكمل تجسيداً للكينيات. ومن ثم، من يؤسسن شركات ناجحة أو الناجحات مهنيًا ينظر إليهن على أنهن مغامرات باتخاذ أدوار ذكورية.

وقد تحتفظ النساء مع هذا "التصور القوى للأنثى،" بالخرافات المجتمعية عن منظمات الأعمال، وينقلنها إلى مجال عملهن، مما يؤثر على موقفهن والطرق التى يسعين بها للنجاح ونمو أعمالهن (Brush and Hisrich 1999). وفوق هذا، ربما تؤثر تنشئة النساء الاجتماعية على تقييمهن الذاتى لمدى استعدادهن لتأسيس أعمال تجارية. وكما ذكر برش "يؤثر المنظور النوعى للمؤسس"، على عملية التنظيم، وعلى المؤسسة الجديدة الناتجة، سواء تعلق ذلك بالنمو الكبير أم غيره. ويخلق هذا المنظور تحيزًا لا واعيًا بالنسبة للإمكانات والمدى الذى قد يذهب له المشروع." وأكدت دراساتنا هذه الفكرة، إذ بصرف النظر عن نمو أعمال النساء، فقد بدأت معظمها صغيرة وظلت صغيرة، و لم يوظف بها أكثر من عشرة أشخاص.

سعت دراسة جاكيور (٢٠٠٤) فى كينيا، إلى تحديد العوامل الاجتماعية المؤثرة فى نمو وتطور المشروعات تديرها النساء. ووجدت الدراسة أن أداء غالبيتها كان متواضعا. فهل أثر التحكم فى الخيارات ودفعها إلى نوع محدد من الأعمال، أو التحكم فى اختيار الدخول فى المجال التجارى من عدمه، على كفاءة المشاريع وفاعليتها؟ بالنسبة لكثيرات (٦٨,٦٪) جاء قرار الدخول فى تجارة بدافع من الآخرين، ولم يكن قرارًا ذاتيًا. ويتضمن الآخرون: أزواجهن (بنسبة ٢٤,٦٪)، وآباءهن (٢٧,٤٪) وأصدقاءهن (١٣,١٪) (.ibid). وبالنسبة لبعض المشاركات فى دراسة وانجيرا مونياوا وإم موريثى M. Mureithi (٢٠٠٨)، كان دخول بعض النساء إلى الأعمال التجارية وسيلة للمساهمة بدخل إضافى فى دعم أسرهن، وبالنسبة لأخريات كان ذلك ضرورة،

حيث كن منفردات فى تأمين موارد الرزق للأسرة. وبالنسبة للنساء اللاتى اخترن مشاريعهن، كانت رغبتهن فى الجمع بين قيامهن بمشروع ومسئولياتهن الأسرية، العامل الواضح فى اختيار نوع التجارة.

وكان الحافز وراء دخول النساء فى النشاط التجارى، وأيضا نمط المشروع الذى وقع عليه اختيارهن، مؤثرًا فى تحديد شكل تكنولوجيا الإتصالات والمعلومات الذى كان يمكنهن اللجوء إليه، أو الأداة التى يستخدمنها فى تحسين تجارتهن، وفى جعل إدارتها من منازلهن ممكنة فى الوقت نفسه (.ibid). واختارت معظم النساء التجارة التى تسمح لهن بالمرونة التى تتطلبها رعاية الأسرة، وأداة الاتصال - التليفون المحمول - الذى يسر تلبية متطلبات أدوارهن المزدوجة.

مازالوا ينظرون إلى الكمبيوتر باعتباره استثمارًا مكلفًا نسبيًا فى التجارة الصغيرة ومتناهية الصغر (Wolf 2001). وأعطت دراسة وولف تأكيدًا أكبر على البيئة التى تواجهها المشروعات الصغيرة ومتناهية الصغر غير المواتية نسبيا، وعلى أن المشروعات لا تعمر طويلاً. ولذا يعتمد قرار استعمال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وتشغيلها على تقدير صاحب المشروع، وهو أمر يخضع لتدريبه وخبرته. ويمكن أن يفسر هذا لماذا لم يبدأ المستخدمون الذين يملكون إمكانية جميعًا فى استخدام الأشكال المختلفة من تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، رغم ما لها من مزايا.

هل يسهم التليفون المحمول فى تمكين صاحبات الأعمال؟

فى كينيا، تتراوح العوامل المؤثرة فى اختيار الناس الحصول على تليفون محمول بدلاً من الخط الأرضى، بدءا من فشل شركة التليفونات الكينية فى تحقيق الالتزام بإمكانات الاستخدام العالمية، وتوفير بيئة تشغيل أكثر حرية، وزيادة المنافسة فى قطاع الاتصالات اللاسلكية (Mureithi 2005)، إلى رؤية المستخدمين أن التليفون المحمول يوفر لهم الراحة، وقدرتهم على تحمل تكاليفه. وقد انتشر التليفون المحمول على نطاق واسع بين أصحاب المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر فى كينيا؛ واكتشف موريثى فى عينة

من العاملين بالصناعة فى نيروبى، أن ٩٣,٨٪ من أصحاب المشاريع لديهم تليفونات محمولة، فى مقابل ٢٩,٧٪ استخدموا الخطوط الثابتة. وكان من العوامل المؤثرة فى قرار الحصول على تليفون محمول بدلا من خط أرضى، ضمن مزايا أخرى من وجهة نظرهم، القدرة على إجراء اتصال من أى مكان، وفى أى وقت، وما يترتب على هذا من زيادة سرعة بيع المنتجات. كما بدا الوضع القانونى للشركات محددا لحاجتها من نظم المعلومات وأدوات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات التى تستخدمها. ووفقا لما ذكره. تاندون (Tandon, 2002)، ليس هناك خيار أمام الشركة الصغيرة فى استمرارها بصيغة غير رسمية، وذلك حتى تتجنب عقبات مثل الضرائب وإصدار التقارير والتراخيص. وذكرت دراسة تاندون أن اهتمام أصحاب الشركات بوجود وسائل اتصال أخرى إلى جانب التليفون المحمول، يظهر حينما تشهد الشركة نمواً.

شعرت معظم المبحوثات فى دراسة وانجيرا مونياوا وإم موريثى (٢٠٠٨)، بتحسن أداء شركاتهن نتيجة استخدام التليفون المحمول، إذ حسن من قدرتهن على دمج الاهتمام بأمور الشركة مع الاهتمام بالأسرة. وأصبحن قادرات على تنظيم المقابلات الاجتماعية، كما يحدث مع عضوات المجموعات النسائية، باستخدام بعض خصائص التليفون المحمول، مثل الجدول الزمنى وخاصية التذكير . ووفر لهن التليفون شعوراً بالقدرة على التحكم، حتى وهن بعيدات عن مقرات شركاتهن، كما حسن شبكات العلاقات مع أصدقائهن وعملائهن، ووفر أيضا إمكانية تحويل المال، من خلال خدمة جديدة تسمى "شراء رصيد على الهواء" (sambaza credit).

عندما وجه إليهن سؤالا عن أهم سبب لشرائهن التليفون المحمول، تحدثت معظم المبحوثات عن تشجيع أزواجهن وأمهاتهن وأصدقائهن. وعندما سئلن عن أهم عقبات وجدنها بخصوص استخدام التليفون المحمول، ذكرن تكاليف التشغيل المرتفعة فى كينيا، وحالات حاول الأزواج فيها معرفة محتوى المكالمات التى يجرينها عبر التليفون. فشعرت بعض النساء أن فائدة استخدام التليفون المحمول مشروطة، نظراً للتعدى على خصوصياتهن. فعندما يدخل شكل من التكنولوجيا لمجال المنزل، مثل التليفون المحمول، يمكن أن يحمل العالم معه.

يمكن أن يصبح التليفون فعليًا واسطة عظيمة فى تكوين الشبكات وتبادل المعلومات. ورغم هذا، هناك جانب آخر للتليفون المحمول يتمثل فى إغراء المستخدم بطمس حدود الفضاءات الخاصة، الأمر الذى قد يصبح مصدرًا جديدا للتوتر فى العلاقات النوعية غير المتوازنة. ووجدت إس. هوير و تى. سيكوسكا (Huyer and Sikoska, 2003) أن الرجال فى كثير من الأحيان يشعرون أن حرية المرأة فى أن يكون معها تليفون محمول تخلق اضطرابات فى العلاقة الزوجية. وفى معظم الأحيان، يراقب الرجال استخدام زوجاتهم للتليفون المحمول والإنترنت. ورصدت دراسة أخرى حول النساء واستخدام التليفون المحمول فى زامبيا ,(Wakunuma 2007) إنه بينما كانت للتليفون المحمول نتائج إيجابية على النساء، فإنه أسهم فى إحداث نزاعات فى الأسرة بين الزوجين، مع رغبة الأزواج والآباء فى السيطرة على استخدام الزوجات للتليفون، ويرتبط النزاع أحيانًا بالسماح بحمل التليفون المحمول واستخدامه من الأساس.

ويبدو أن معظم الدراسات تشير إلى المزايا الواضحة للتليفون المحمول بالنسبة لمنظمات الأعمال فى نيروبى، ولكن ما زال هناك تساؤل حول ما إذا كان التفاوت النوعى يترسخ بسبب فرص حصول النساء على تليفونات المحمولة واستخدامهن لها، وما إذا كان استخدامها قد أسهم فى تمكين منظمات الأعمال.

وفى هذا السياق، ما التمكين؟ دراسة حالة ليليان

ليليان، إحدى منظمات الأعمال اللاتى شاركن فى الدراسة الميدانية التى أجرتها إم. موريثى وانجيرا مونيوا، حول استخدام عند منظمات الأعمال الكينيات للتليفون المحمول. وتدير ليليان صالون الأسرة للتصفيف الشعر والتجميل، حيث يعمل بالصالون تسعة موظفين. يرتبط عملها ووضعها بعدة عوامل تنتمى إلى الفئة الثانية من منظمات الأعمال (انظر الملحوظة ١)، وتوفر لنا قصتها فرصة لاكتشاف ديناميكيات تكنولوجيات الاتصالات والمعلومات وتمكين النساء، وإضافة المزيد إلى فهمنا لها، ومواصلة البحث حولها فى سياق الحياة الواقعية.

اختارت ليليان الطب كمهنة لها وبدأت هذا المسار بالفعل، وأكملت السنة الأولى للحصول على شهادة فى الطب فى كندا. ورغم هذا، شعرت أن عليها التخلى عن مجال عملها فى الطب لمساعدة أسرتها على توفير متطلباتها، بسبب ضائقة مالية كانوا يمرون بها. إذ استدعتها أمها للعودة إلى وطنها لمساعدتها باعتبارها شريكة، فى تأسيس مشروع للتجميل وتصفيف الشعر، بينما واصل شقيق ليليان الأكبر، وشقيقها الأصغر تعليمهما فى الخارج. وقررت ليليان التخلى عن حاجاتها من أجل أسرتها، حتى رغم ان هذا يعنى التخلى عن أحلامها. واقتنعت أنها باعتبارها الفتاة الوحيدة فى الأسرة، فالمتوقع منها مساعدة أمها فى تعليم شقيقيها. وقالت: "لم أكن أنجبت أنجيكو ابنتى بعد، وكونى مجرد فتاة فى الأسرة، كانوا يتوقعون منى العودة، فهكذا كانت الأمور تمضى".

عندما استقرت ليليان على العودة إلى بلدها لمساعدة أمها فى تأسيس وإدارة أعمالها، كانت تتوق لمساعدة أسرتها. ورغم هذا شعرت بخسارتها فرصة دراسة الطب، التى كانت حلمها، التى شعرت أنها قد تكون متصلة بنشاط أسرتها فى تصفيف الشعر والتجميل، ومن ثم بإمكانها أن تعيش أحلامها ومساعدة أسرتها فى الوقت نفسه. و فى ذلك مؤشراً على الأساليب العديدة التى تتم بها اختيارات النساء، من خلال الخوف من إحباط أسرهن وعدم الوفاء بحسن ظن الأمهات، فيتبعن نماذج التفكير والتصرف المعهودة. هذا إلى جانب أن محدودية توقعاتهن عن أنفسهن تحد أحلامهن فى حياتهن الخاصة (Blau et al. 1998).

تبدو تصرفات ليليان غير منسجمة مع اقتناعها بنفسها وقدراتها، ولكنها متماشية مع التوقعات المجتمعية. ومع ذلك، تشعر ليليان أنها سعيدة باختيارها. وبصرف النظر عن اكتشافها أن شركة التجميل الخاصة بهم لا تغطى كل احتياجاتها المالية والمهنية، فإنها لا ترى فيما حدث لها أى خطأ. لقد قبلت اختيار مساعدة أسرتها، وفى الوقت نفسه حصلت على قدر زهيد من المال لتعليم ابنتها. واعتمدت سعادة ليليان وقتها على تقييمها لحالتها، التى تبدو مستندة على تفضيلات ذات طابع اجتماعى. وتبدو أنها تكيفت مع وضعها النوعى ويعكس تحليلها فهمها لما تراه خيراً لها وخيراً لأسرتها. ولكن هل يمكن ترجمة هذا إلى تمكين؟

كما أكدت ليليان على بعض مزايا امتلاك تليفون محمول (على عكس الخط الأرضى) أنه يوفر إمكانية أن يصل إليها من يريد الاتصال بها من أى مكان، وبناء على هذا، تستطيع أداء أعمال شركتها فى أى وقت من اوقات النهار أو الليل، أو تتتبع زوجها فى أى وقت. وأعطى لها هذا إحساس بالتحكم والمرونة، وكلاهما ضرورى فى إدارة مجالات المسئولية المتعددة التى تأخذها على عاتقها. حصلت على أول تليفون محمول لها كهدية فى الكريسماس، واستخدمته فى الأنشطة الخاصة بالشركة.

أصبحت على اتصال بعملائها، تنظم تسديد الديون وتنسق الأنشطة فى الصالون، إلى جانب تنظيم انشطتها الاجتماعية مثل تتبع أنشطة ابنتها اليومية وتحركات الأصدقاء وأفراد الأسرة والبقاء على تواصل معهم.

بدت المزايا الاجتماعية والاقتصادية فى الحصول على تليفون محمول واستخدامه واضحة أمام ليليان، سواء فى نشاطها التجارى المتعلق بالتصفيف والتجميل، أو مسئولياتها المنزلية. ورغم هذا يتمثل السؤال الذى يجدر طرحه، هل تترسخ نماذج النوع الاجتماعى فى التنشئة الاجتماعية، ويعاد إنتاجها، مع استخدام تكنولوجيا جديدة واختيار ممارسة نشاط تجارى؟ تؤكد الإجابة بنعم واقع أن الابتكارات التكنولوجية وإتاحة فرص امتلاك مشاريع للمرأة، لا تكفلان التمكين، ولا تعالجان العقبات الجوهرية أمام تنمية المرأة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً.

تمكين أم تأكيد الدور النوعى لنفسه ؟

يستند مفهوم التمكين المعاصر فى كينيا على افتراض أن زيادة فرص وصول النساء إلى الموارد مثل التعليم والثروة وأشكال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، سوف يؤدى بهن إلى التحول. وبمد الفكرة على استقامتها، سوف يصبحن ذوات مكانة فى المجتمع. ويتجاهل هذا واقع أن فرص النساء، تأتى عبر توسط عوامل هى: الفقر

والطبقية وتقسيمات العمل التقليدية، والتقاليد والتوقعات الاجتماعية، والعرقية، وهوس العداء للأجانب، وعليه، فلن تؤدى تلك الفرص إلى التمكين سوى لأقلية ضئيلة من النساء فقط. ويتجاهل هذا أيضًا، فكرة أن الفرص رغم ما تلعبه من دور مهم، فإنها فى أحوال كثيرة تتحدد من خلال الأعراف الاجتماعية، وما يتوقع من الشخص لكونه امرأة أو فتاة؛ وعلى هذا لا تخدم فرص كثيرة بالضرورة مصالح النساء فيما يتعلق بأمنياتهن فى حياتهن الخاصة. إذ إن اختيار ليليان العودة إلى بلدها لمساعدة أمها فى أنشطة التصفيف والتجميل الخاصة بأسرتها، كان استجابة لطلب أمها أن تعود وتساعدها فى التغلب على تآكل دخل الأسرة.

وتقول إم. نوسباوم (Nussbaum, 2000)، إن تفضيلات كثيرة تنشأ كنوع من التكيف، داخل سياق التقاليد التى تقرر الامتيازات والتبعية. ومن هذا المنظور، يميل المنهج المعتمد على التفضيل، إلى إعادة تأكيد التفاوت النوعى. عندما اتخذت ليليان خيار العودة إلى الوطن، خسرت فرصة تلبية حلمها الخاص. واختارت تلبية التوقعات التقليدية التى لديها كامرأة وابنة، بدلاً من مقاومة أعراف السياق الذى توجد فيه، والسعى وراء أهدافها الخاصة.

ويتعارض تناول نوسباوم للتفضيلات المتكيفة، مع طريقة فهم تمكين النساء اعتماداً على علاقة الثقافة/السياق، حيث ترى أن ذلك لا يكفى لمحاولة تحقيق العدالة الاجتماعية والتمكين. وبدل هذا، أشارت نوسباوم تحديداً إلى القدرة على فعل الأشياء التى لها قيمة بالنسبة للشخص نفسه، باعتبار ها مفهومًا أساسيًا. وهكذا، بدلاً من تقييم المساواة فى فرص الوصول إلى الموارد فقط، مثل الدخل والثروة، يجب تركيز التحليل أساسًا على قدرة الشخص على القيام بتصرف بعينه (Sen 2000). ووفقا لسن، "لدى الأفراد احتياجات متنوعة للموارد، بناء على أحوالهم الاجتماعية والجسدية، والعقبات الخاصة التى يواجهونها، بين عوامل أخرى. ومن ثم، حتى إن كانت لدى الناس الموارد الأساسية نفسها، ربما انتهى الأمر إلى أن يصبحوا غير متساوين فى قدرتهم على أداء الوظائف الإنسانية التى لها قيمة".

وهكذا، بالنسبة لمعظم النساء فى دراسة إم. موريثى و وانجيرا مونيوا، كان عليهن التكيف مع طريقة ما للجمع بين متطلبات النشاط التجارى وعبء الأسرة المعيشية. ويستطيع الرجال فى مجال الأنشطة التجارية تركيز وقت أكبر فى كل عام، لمتابعة نجاح أنشطتهم التجارية. وأكدت سى. هاركيم (Harkim, 2006) أن معظم الرجال فى دراستها كانوا متزوجين ولديهم أطفال، وبدا أنهم يتمتعون بميزة العمل لساعات أطول بدنيا وذهنيا، لأن زوجاتهم فى البيت مع الأطفال. ولذلك حتى مع مشاركة النساء بشكل متزايد فى المشاريع، فإنهن يواصلن تولى مسئولية الأعمال المنزلية غير مدفوعة الأجر.

ومن منظور نسوى، يعتبر هذا التقسيم النوعى للعمل، هيراركيا وأبويا، وعلى هذا فالمسألة مرتبطة بقضية العدالة (Knobloch, 2002). وتحدد كنوبلوش ثلاثة أبعاد للتقسيمات النوعية للعمل. الأول أن الرجال يقومون بالعمل المدفوع الأجر، بينما تتولى النساء مسئولية العمل غير الموجه إلى السوق والعمل غير مدفوع الأجر. ثانيا، معظم الوظائف سواء "للذكور أو الإناث" والوظائف مدفوعة الأجر التى تقوم بها النساء، يكون أجرها أقل من الوظائف التى يقوم بها الرجال فقط. أما البعد الثالث، تتحمل النساء فى معظم الأحوال مسئولية أنشطة الرعاية الخاصة بالأسرة المعيشية (وفقا للأعراف الاجتماعية و الثقافية والعلاقات النوعية غير المتكافئة)، حتى إن كن يعملن فى وظيفة خارج المنزل، أو كانت لديهن أنشطة تجارية يعتمدن عليها. ومن ثم تقوم النساء بعمل ضعف ما يقوم به الرجال، بالجمع بين أعمال الاقتصاد غير الموجه للسوق، واقتصاد السوق، غالبًا يعملن ما أشارت إليه الباحثة باسم "اليوم المزدوج" (.ibid). ونتيجة لهذا، تختار النساء المهن التى تسمح لهن بالموازنة بين العمل المأجور ومسئوليات العمل المنزلى.

وحتى نصل إلى تعريف تمكين النساء، قد يكون علينا الاهتمام بالتنوع الفردى، اتاحة الفرصة للنساء حتى يقررن ما الوظائف التى تجذب اهتمامهن، وبحث احتياجاتهن فى سياق هذه الوظائف. وهناك حاجة إلى التناول النقدى (Fraser 1997) لفكرة اختصاص النساء فقط بدور الرعاية الشاملة، والقبول دون تمحيص لما نعتبره

تفضيلات النساء ورغباتهن ، ودون أن نضع هذه التفضيلات والرغبات فى سياقها المحدد، بناء على مبرر أن "ما يمثل خير الفرد، إذا ما وسعنا نطاقه يمكنا اعتباره خير المجتمع". ويميل هذا المنهج، المستند على التفضيلات، إلى إعادة فرض أوضاع عدم المساواة، خاصة التى تم تمثلها بقوة، إلى حد تسللها إلى أحلام النساء ورغباتهن، كما اتضح فى خيارات ليليان واستعدادها للعودة إلى بلدها من أجل دور يجمع بين مسئوليات العمل المنزلى، وتوليد الدخل من مجال مرتبط تقليديا بالأنوثة، ودمجها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ضمن مساعيها للنجاح بفاعلية فى دورها المزدوج ذى الطابع النوعى تحديداً.

يبدو أن السعى إلى المساواة النوعية وتمكين النساء فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، يتطلبان أفكاراً وتصرفات قادرة على تجاوز قبول الأعراف ذات الطابع النوعى، حتى عندما يبدو أن النساء يحافظن عليها ويعززنها بأنفسهن.

الخلاصة

لعبت تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات دوراً إيجابيا فى تعزيز تطور منظمات الأعمال فى كينيا، وبدا للتليفون المحمول خصوصاً تأثير ضخم على فاعلية وكفاءة المشاريع الصغيرة المملوكة للنساء. ورغم هذا لم يبد أن التليفون المحمول غيَّر شيئا فى القضايا الأساسية المرتبطة بالعلاقات النوعية. بل بدلاً من هذا، ما زالت هناك إعادة إنتاج لنماذج النوع الاجتماعى والفصل النوعى فى التنشئة الاجتماعية. وعملت تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ومازالت، على إعادة تعريف العلاقات النوعية بأساليب مركبة ومتعددة الابعاد. قدمت دراسة إم. موريثى وانجيرا مونياوا وجهات نظر عميقة حول المدى الذى يمكن به استخدام التليفون المحمول، على سبيل المثال، بأساليب تعيد تأكيد الأفكار التقليدية حول الطريقة التى يجب على الرجال والنساء أن يتصرفوا بها. وقدمت الدراسة فى الوقت نفسِه، أسلوبًا لتحدى الأعراف ذات الطابع النوعى.

وتؤكد الدراسة أيضاً أن التدخل التكنولوجى لا يكفل التمكين. فما زالت الغالبية العظمى من سكان كينيا لم تصبهم ثورة التليفون المحمول بأى تغيير. وفوق هذا، توفر البنية التحتية المادية، أو إنشاء الخطوط لا يعنى بالضرورة الاستفادة من الاستخدام الفعلى، حيث يتأثر الاستخدام الفعلى بعوامل اجتماعية ثقافية واقتصادية. وبلا شك، يمكن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات المساهمة فى بدرجة كبيرة فى التنمية، ولكن هناك حاجة لتسخير الاحتياجات التكنولوجية باتجاه الأدوار الاجتماعية، من خلال المشاركة الإنسانية والتوسط النشط. أكدت معظم النساء فى دراسة إم. موريثى و وانجيرا مونياوا على زيادة كفاءتهن وثقتهن بأنفسهن فعليا، عند استخدامهن التليفون المحمول فى أنشطتهن التجارية، ويبدو أن هذا صحيح على مستوى العالم، فى سياقات اجتماعية ثقافية مختلفة (Hafkin 2002; Gurumurthy 2004). ورغم هذا، هل يمكن لهذه الزيادة فى الكفاءة والثقة بالنفس، التى عرفتها النساء بينما يقمن بالأدوار النوعية التقليدية، أى إمكانية فى تغيير العلاقات النوعية القائمة.

الهـــوامش

(١) قدمت دراسة إحدى المنظمات الدولية حول منظمات الأعمال فى كينيا شهادات عن سمات تلك النساء (Stevenson and St-Onge 2005). ووجدت الدراسة أن منظمات الأعمال الكينيات ليست شيئا واحدا، ولكن يمكن تقسيمهن إلى ثلاث فئات منفصلة، وفقًا للملامح الديموجرافية، ومدى الخبرة فى الأنشطة التجارية السابقة، والقدرات، والاحتياجات، وفرص الوصول إلى الموارد (الائتمان، المبانى)، وأيضًا توجهاتهن نحو النمو. ضمت الفئة الأولى تحتها المشاريع الصغيرة من فئة "الشمس الحارقة" (فى الأصل Jua Kali وهى عبارة بالسواحيلى تعنى "الشمس الشديدة"، وتشير إلى ظروف العمل فى أماكن مفتوحة) [فى الأصل بالسواحيلى "Jua Kali"] وتمتلك تلك النساء مشاريعهن الخاصة، غير المسجلة غالبًا وإنما ضمن أنشطة القطاع غير الرسمى. كما يكون مستوى تعليم النساء فى هذه الفئة محدود (لا يصلن إلى التعليم الثانوى) ويواجهن عقبات فى نقص المعرفة بطرق إدارة المشاريع والأنشطة التجارية، وفرص الحصول على ائتمان، والوعى بالأسواق وفرص السوق. وفى أغلب الأحيان، يقمن بتوظيف بعض من أفراد الأسرة، ويدرن مشروعاتهن من منازلهن، ولا تكون لديهن إلا فرصة محدودة للنمو. والأرجح أنهن يحصلن على ائتمانهن عبر الاشتراك فى "حلقات الإقراض الدوارة" [فى الأصل merry-go-round]، وهى عبارة عن مجموعة من خمس أو ست نساء، يجمعن مدخراتهن خلال فترة ستة أشهر ثم يبدأن إقراضها لأفراد من نفس المحيط، وتكون سداد القرض بعد فترة زمنية قصيرة جداً. والمرجح أيضا أنهن يعتمدن على الإبلاغ الشفهى والتليفون المحمول لتلبية احتياجاتهن للاتصال، مستخدمات أقل طرق الاتصال تكلفة (Wanjira Munyua and Mureithi 2008).

والفئة الثانية، من النساء اللاتى لديهن أنشطة تجارية صغيرة (يوظفن عادة من ستة إلى عشرة أشخاص)، ولديهن مستوى قليل من التعليم (حتى المستوى الثانوى)، وخبرة سابقة فى العمل بمشروع من القطاع العام أو الخاص. وتكون هذه الأنشطة التجارية مسجلة وتستخدم أسس النشاط التجارى القانونية. ويرجح أن تكون لديهن بعض فرص الحصول على مستوى من التدريب والتمويل الصغير يمكنهن من تحسين وضع أنشطتهن، ولكن يواجهن أيضا عقبات فى سبيل فرص الحصول على تمويل. ولا تزال البنوك التجارية فى كينيا تفضل إقراض كبار المودعين، ولا يحتمل أن يكون لدى تلك النساء إمكانية توفير ضمانات التأمين اللازمة. وربما يكون لديهن تليفون محمول، يستخدمنه فى إدارة أنشطتهن التجارية. وربما تتوفر لتلك الفئة من منظمات الأعمال إمكانات للنمو، حتى الفرص للتجارة الموجهة إلى السوق العالمى.

وتتكون الفئة الثالثة من منظمات الأعمال، قد يكن حاصلات على تعليم جامعى؛ وربما منتميات إلى عائلات لديها أنشطة تجارية، ولها خبرة فى مواقع إدارية. وربما تكون أمام مشروعاتهن من الحجم الصغير أو المتوسط أو الكبير، إمكانات للنمو، وفرصًا للتوجه إلى التصدير. وفى تلك الحالات يحتفظن بتليفون محمول مع خط أرضى أيضًا، لأداء أنشطتهن التجارية. وغالبًا ما يكون لديهن كمبيوتر، ويستخدمن شبكة الإنترنت. (من التليفونات المحمولة فى أفريقيا)، تقرير أعد من أجل لجنة أفريقيا.

www.commissionforafrica.org/english/report/background/ scott_et_al_background.pdf, accessed 29 April 2008.

المراجع

Blau, F. et al. (1998) *The Economics of Women, Men and Work*, 3rd edn, Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Brush, C. (1997) 'Women-owned businesses: obstacles and opportunities', *Journal of Development Entrepreneurs*, 2(1): 1–25.

Brush, C. and R. Hisrich (1999) 'Women-owned businesses. Do they matter?', in Z. Acs (ed.), *Are Small Firms Important? Their Role and Impact*, Norwell, MA: Kluwer Academic Publishers.

Chege, R. (2003) *A Curriculum of the Training of Trainers in Gender Mainstreaming*, Nairobi: African Women's Development and Communication Network (FEMNET).

Communications Commission of Kenya (2006) *Annual Report 2006*, www.cck.go.ke.

Connell, R. W. (2002) 'The globalization of gender relations and the struggle for gender democracy', in E. Breitenbach et al. (eds), *Geschlechterforschung als Kritik*, Bielefeld: Kleine Verlag, pp. 87–98.

Donner, J. (2007) 'The use of mobile phones by micro entrepreneurs in Kigali, Rwanda: changes to social and business networks', Research paper, *The Massachusetts Institute of Technology Information Technologies and International Development*, 3(2): 3–19.

Fraser, N. (1997) *Justice Interruptus: Critical Reflections on the Post Socialist Condition*, New York: Routledge.

Gakure, R. (2004) 'Factors affecting women entrepreneurs' growth prospects in Kenya', Paper prepared for the International Labour Organization (ILO), Geneva, November, www.ilo.org/ global/What_we_do/Publications/ lang–en/index.htm, accessed April 2008.

Gamos (2003) 'Innovative demand models for telecommunications services', www.telafrica.org.

Gamos et al. (2004) 'The impact of mobile phones in Africa', Report prepared for the Commission for Africa, www.commissionforafrica. org/english/report/background/ scott_et_al_background.pdf, accessed 29 April 2008.

Gurumurthy, A. (2004) *Bridging the Digital Gender Divide: Issues and Insights on ICT for Women's Economic Empowerment*, New Delhi: UNIFEM.

Hafkin, N. J. (2002) 'Are ICTs genderneutral? – a gender analysis of 6 case studies of multi-donor ICT projects', *UN/INSTRAW Virtual Seminar Series on Gender and ICTs*, Seminar One: Are ICTs Gender Neutral?, 1–12 July, www.uninstraw. org/docs/gender_ and_ ict/Hafkin.pdf.

Harkim, C. (2006) 'Women, careers, and work-life preferences', *British Journal of Guidance & Counselling*, 34: 279–94.

Hisrich, R. D. and M. Peters (1998) *Entrepreneurship: Starting, Developing, and Managing a New Enterprise*, New York: Irwin. Huyer, S. and T. Sikoska (2003). 'Overcoming the gender digital divide: understanding ICTs and their potential for the empowerment of women', Synthesis paper presented to UN INSTRAW (United Nations International Research and Training Institute for the Advancement of Women).

Ikiara, G. K. (2001) 'Economic gloom still persists: Kenyans to continue grappling with unfulfilled expectations due to mismanagement', Special report in *Sunday Nation*, 30 December, Nairobi: Nation Press. International Telecommunications Union (ITU) (2007) *Key Global Telecom Indicators for the World Telecommunication Service Sector*, www.itu.int/ITU-D/ict/statistics/ at_glance/KeyTelecom99.html, accessed 10 September 2008.

Kibas, P. B. and G. O. K'Aol (2004) 'The Kenyan entrepreneur: typologies and characteristics',Paper prepared for Frontiers of Entrepreneurship Research 2004: Twenty-Fourth Annual Entrepreneurship Research Conference, www.kauffman.org/, accessed March 2008.

Knobloch, U. (2002) *Promoting Women's Capabilities: Examining Nussbaum's Capabilities Approach*, Conference paper prepared for Von Hugel Institute, St Edmund's College, University of Cambridge, September.

Mincer, J. (1978) 'Family migration decisions', *Journal of Political Economy*, 86(5): 749–73. Mureithi, M. (2005) *Factors Affecting Internet Use Among Micro- Enterprises: An Empirical Study in Kariobangi Light Industries in Nairobi, Kenya*, www.tespok.co.ke/ test/Tespok_Presentation.ppt, accessed 12 April 2008.

Nussbaum, M. (2000) 'Women and human development: the capabilities approach', in *Adaptive Preferences and Women's Options*, Cambridge: Cambridge University Press, pp. 111–66.

Polachek, S. (1981) 'Occupational self-selection: a human capital approach to sex differences in the occupational structure', *Review of Economics and Statistics*, 63(1): 60–69.

Population Council (2005) *Accelerating Girls' Education: A Priority for Governments*, www.popcouncil. org/gfd/girlseducation.html. Republic of Kenya (1998) *Economic Survey*, Nairobi: Government Printers.

— (1999) *Economic Survey*, Nairobi: Government Printers.

— (2000) *Second Report on Poverty*, vol. II: *Poverty and Social Indicators*, Nairobi: Government Printers.

Sen, A. (2000) *Development as Freedom*, New Delhi: Anchor Books. Stevenson, L. and A. St-Onge (2005)

Support for Growth-oriented Women Entrepreneurs in Kenya, International Labour Organization (ILO).

Tandon, N. (2002) *E-commerce Training with Small-scale Entrepreneurs in Developing Countries: Some Findings*, Paper presented at the DfID meeting: Poverty Elimination and the Empowerment of Women: Strategies for achieving the international development targets, London: DfID.

Vodafone (2005) *Africa: The Impact of Mobile Phones: Moving the Debate Forward*, Vodafone Policy Paper Series no. 2, www.vodafone.com/etc/medialib/attachments/, accessed February 2008.

Wakunuma, K. (2007) *Mobiles Reinforce Unequal Gender Relations in Zambia*, www.id21.org/insights/ insights69/insights69, accessed 28 April 2008.

Wanjira Munyua, A. and M. Mureithi (2008) *Harnessing the Power of the Cell Phone by Women Entrepreneurs: New Frontiers in the Gender Equation in Kenya*, Final report for the Gender Research in Africa into

ICTs for Empowerment (GRACE) Project, www.GRACE-Network.net/.

Wolf, S. (2001) *Determinants and Impact of ICT Use for African SMEs, Implications for Rural South Africa*, Bonn: Centre for Development Research/ZEF, www.zef.de/,

Accessed April 2008.

World Bank (2001) *Engendering Development: Through Gender Equality in Rights, Resources, and*

Voice, World Bank Policy Research Report, Oxford: Oxford University Press.

الفصل الثانى عشر

استخدام منظمات الأعمال للإنترنت
قطاع المنسوجات فى دوالا.. الكاميرون
التعلم بالجهد الذاتى والاعتماد على النفس

جيزيل يتامبين؛ إليس تشيندا

تملك النساء نحو ٣٨٪ من المشروعات الخاصة الصغيرة والمتوسطة الحجم المسجلة فى الكاميرون، التى يبلغ عددها ٧١٠٠ مشروع، وفقا لتقدير لبنك التنمية الأفريقية لعام ٢٠٠٥/٢٠٠٦ (٢٠٠٥). ويوجد عدد كبير من هذه المشاريع التى تستخدم ما بين ١٠ إلى ١٥ موظفًا فى منطقة دوالا، وعدد قليل منها فى ياوندى.

وتشارك منظمات الأعمال غالبًا فى قطاع الملابس الجاهزة؛ وهو القطاع الذى يخلق معظم الوظائف فى الكاميرون. وتوجد ثلاثة أنماط من الإنتاج فى هذا القطاع: إنتاج الزى الموحد الصناعى؛ والملابس الجاهزة؛ والتقليدية (الخياطات المستقلات التى تصنع الملابس وفقا للقياس). وكانت المشاركات فى دراستنا منخرطات فى النمط الثانى؛ مصانع الملابس الجاهزة.

ويستكشف هذا الفصل إذا ما كانت مديرات المشاريع يستخدمن خدمات الإنترنت التى توفرها مراكز وسائل الاتصال المتعددة، فى الغرفة التجارية، ولماذا لا تستخدمها بعضهن، واللاتى يستخدمن الإنترنت، ما الأغراض التى يستخدمنها فيها؟

ومن أجل تمكين المشاريع من الاستفادة بالفرص المتعددة المتاحة فى مجال تحرير التجارة الدولية فى قطاع النسيج، وضعت إستراتيجيات بهدف الوصول إلى أهداف ألفية التنمية، وبدأ منتدى قانون النمو والفرص فى أفريقيا (African Growth Opportunity Act - AGOA)، وبرنامج مؤتمر طوكيو الدولى للتنمية الأفريقية، وغرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية فى الكاميرون (Chamber of Commerce, Industry, Mines and Crafts - CCIMA)، فى إنشاء مركز لوسائل الاتصال المتعددة. واعتمد لذلك تمويلاً من شركاء تنمويين متعددين. وإلى جانب توفير الخدمات لمشتغلين فى المجال الاقتصادى، بما يتضمنه من تدريب واستشارات ومعلومات مفيدة حول البيئة الاجتماعية الاقتصادية وتيسير منافذ الوصول إلى الأسواق الاجنبية، أتاح المركز أيضًا مدخلاً إلى فضاء الإنترنت، بطاقة ٣٠ جهازًا وبسعة ١٢٨ ميجا بايت. وفى المركز، تم تطوير برنامج داعم لمنظمات الأعمال فى قطاع النسيج ومجال الملابس، من منظور إعدادهن لغزو سوق أمريكا الشمالية فى إطار قانون الفرص والنمو فى أفريقيا.

خلفية البحث

أدخلت اتفاقية المنسوجات والملابس الجاهزة لمنظمة التجارة العالمية عام ١٩٩٥، نظام الكوتا للتحكم فى التجارة الدولية بمجال المنسوجات والملابس. وكان معنى إنهاء الاتفاقية فى ٢٠٠٥ أن الدول النامية مثل الكاميرون، التى لا تصدر غالبًا كميات كبيرة من الملابس، ستصبح أمامها صعوبة أكبر وأكبر فى دخول الأسواق العالمية أو البقاء فيها.

ورغم هذا، فبفضل تجديد قانون الفرص والنمو فى أفريقيا عام ٢٠٠١، أصبحت الفرص قائمة. وسيستمر إعفاء إنتاج النسيج فى الدول المشاركة فى هذه الاتفاقية من الرسوم الجمركية. ووفقا لواشنطن بوست، فقد ارتفعت قيمة صادرات النسيج إلى الولايات المتحدة، وفق قانون الفرص والنمو فى أفريقيا، من ٦٠٠ مليون دولار فى ١٩٩٩ إلى ١,٥ مليار فى ٢٠٠٣، وزادت الواردات أيضا من ٣٧ دولة فى ٢٠٠٣، من ضمنها الكاميرون، بنسبة ٥٥٪ مقارنة بالسنة السابقة عليها.

وينبغى تطوير برامج متعددة، لتقوية قدرة المشاريع ومساعدة أصحاب المشاريع فى قطاع الملابس، على تنظيم انفسهم من أجل غزو أكبر لسوق الولايات المتحدة. وفى تلك البرامج، يوجد موقع خاص للشركات التى تمتلكها أو تديرها نساء. وهناك إمكانات هائلة تتضمن التصميمات الأفريقية الجذابة. ويسعى تجار تجزئة أمريكيون محددون إلى الحصول على واردات من أفريقيا لبلادهم. وأوضحت دراسات السوق، أن الأفريقيين الأمريكيين أميل إلى المنتجات التى تعبر عن تراثهم الإثنى. وقدر البنك الدولى سنة ٢٠٠٣ أن هذه السوق، ربما تتراوح قيمتها ما بين ٢٠٠ و ٢٧٠ مليار دولار أمريكى، تمثل هدفًا ثمينًا للمصدرين الأفارقة فى قطاع الملابس (Biggs et al. 2003).

وتعنى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات أن التصدير لم يعد مقصورًا على الشركات الكبيرة. إذ قلصت تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات إلى حد بعيد تكاليف عقد الصفقات، ومن ثم فتحت مدخلاً إلى السوق العالمية. وقد أكدت سلسلة نشرات صادرة عن مركز التجارة العالمية، منافع شبكة الإنترنت لأصحاب المشاريع فى قطاع الملابس من الدول النامية، وتتضمن:

- رصد السلع التى قد تعمل على تحسين تنافسية المنتجين.
- زيادة سرعة التسليم، وتقليل تكاليف الخدمات وتحسينها.
- إدخال تصميمات وتطوير المنتجات، من خلال إتاحة فرص للوصول إلى نماذج تصميمات بدائية افتراضية للملابس "والأذواق" فى الوقت الواقعى، والتى يمكن محاكاة مظهرها وضبطها فى نموذج جديد يظهر فى صورة ذات بعدين، أو مجسدًا فى ثلاثة أبعاد، مما يخفض تكاليف البحوث والتنمية بدرجة كبيرة.
- تطوير حلول بالتعاون مع المشترين، أو مجرد استخدام أنظمتهم (Knappe 2005).
- "الحماية الداخلية" والأشكال الأخرى من الحماية الجمركية.
- تلقى المصنعون أنباء حول أماكن تصريف المنتجات بشكل فورى تقريبًا، ربما يمكنهم من بداية إنتاج كميات بديلة وشحنها دون انتظار لأوامر إنتاج جديدة من تاجر التجزئة.
- تقليل زمن تسليم المنتجات، وتقليص تكاليف الجرد.

ومن ثم وفقًا لهؤلاء الكتاب، رغم أن استخدام التطبيقات الإلكترونية لا يكفل النجاح فى حد ذاته، فإن التجارة الإلكترونية (عندما نتصورها بالمعنى الواسع وليس باعتبارها مرادفًا للمبيعات بواسطة الإنترنت) يمكنها تحسين كفاءة الأنشطة التجارية فى حين تقلل التكاليف والتأخيرات.

ورغم هذا، يبدو أن شبكة الإنترنت غير معروفة بالنسبة للغالبية العظمى من منظمات الأعمال فى الكاميرون. مثل سائر الدول الأفريقية الأخرى (Chéneau-Loquay 2002)، وتتسم الكاميرون بمحدودية فرص الوصول إلى الإنترنت واستخدامها (Tankeu 2005). إذ أكد تقرير عام ٢٠٠٦ للاتحاد الدولى للاتصالات على نقص البنية التحتية لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى الكاميرون، وارتفاع تكلفة النطاق الترددى، والافتقار إلى المحتوى المحلى الملائم، وهذا يضع صعوبات أمام مشاركة نساء الكاميرون فى التجارة الإلكترونية.

ما زالت الجهود التى تبذلها الحكومة الكاميرونية لتشجيع استخدام الإنترنت جنينية وغير ظاهرة. فلا يستخدم الإنترنت سوى ٠,١٦٪ من السكان. ولم تتحقق بعد الأهداف التى حددتها فى مجال الاتصالات، وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، أو ما زالت متأخرة تأخيرًا كبيرًا. وتتضمن تلك الأهداف زيادة كثافة الخطوط الأرضية للتليفونات من ٠,٧٪ فى سنة ٢٠٠٥ إلى ٣٠٪ سنة ٢٠١٥، وكان مقررًا إتاحة فرص الوصول إلى ٢ ميجا بايت للجمهور فى كل المدن، بالإضافة إلى مركز الاتصالات الإلكترونية قبل نهاية عام ٢٠٠٧.

منهج البحث

كانت معالجة المادة وجمعها فى دراستنا كيفية واستكشافية فى المحل الأول. وعندما عملنا على تطوير طريقة فهم وضع منظمات الأعمال فى قطاع الملابس، استخدمنا مقابلات فردية، وحلقات مناقشة جماعية، وتسجيل سير الحياة. وبدأنا بسلسلة من المقابلات مع أعضاء فى منظمات تقدم الدعم للنساء ومنظمات الأعمال،

ومصممى أزياء، ومنظمات الأعمال. ونظم لقاء آخر تحت رعاية غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف فى الكاميرون، ضم ٤٠ مصممًا للأزياء معا. وتلى ذلك لقاء مع منظمات الأعمال (متضمنا المصممات منهن)، وطرحت فيه أسئلة حول إذا ما كن يستخدمن الإنترنت، وكيف تمكن من ذلك. وأجرينا أيضًا ٣٤ مقابلة شبه مهيكلة (SSI) مع نساء فى قطاع الملابس. وقصرنا دراستنا على دوالا، العاصمة الاقتصادية للكاميرون، حيث تتم الأنشطة المتنوعة، بما فيها صناعات الأزياء والملابس الجاهزة. وبسبب قربها من المحيط الأطلنطى، ووجود مطار دولى بالقرب منها، أصبحت هذه المدينة محور التجارة الدولية فى الكاميرون.

وتمت المقابلات الفردية فى موقع عمل المبحوثات. ووجهنا إليهن الأسئلة حول استخدامهن لمركز الاتصالات المتعددة فى غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف فى الكاميرون؛ وعن مدى معرفتهن بشبكة الإنترنت؛ واستخدامهن لها؛ والعقبات التى واجهنها فى فى ذلك؛ وحاجاتهن إلى التدريب.

النتائج

استخدام مركز الاتصالات المتعددة فى غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية فى الكاميرون: كانت هناك ١٧ امرأة من بين ٣٤ امرأة أجرينا معهن المقابلات، عضوات فى غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية فى الكاميرون. وعرفت ست نساء عن وجود مركز الاتصالات المتعددة، ولكن اثنتين فقط استخدمتا الإنترنت بشكل عارض فى هذا المركز. وعندما سئلن عن سبب عدم استخدامهن لهذا المركز الذى يوفر المصادر لهن، كانت إجاباتهما كالتالى:

– نقص المعلومات، حتى لدى عضوات غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية فى الكاميرون، حول وجود هذا المركز المتعدد للاتصالات (الذى تأسس عام ٢٠٠١). وفقا لما قالته إديث[1]، "فى الحقيقة، أنا لا أعرف حتى عن وجود هذا المركز،

ونحن نعقد اجتماعات دورية فى قاعة الاجتماعات الخاصة بهذه المؤسسة. وكانت تجب على زيارته حتى ولو مرة واحدة. وحيث علمت بوجوده، فسوف أذهب هناك، إذا توفر لى الوقت.

– واقع أن هذا المركز ليس فى موقع المؤسسة، ولكنه فى مقر بعيد فى مكان متطرف يصعب الوصول إليه.

– الساعات التى يكون فيه المركز مفتوحًا (من ٨ صباحا حتى ٤ مساء) من الاثنين إلى الجمعة، لا تتلاءم مع الفترة التى أرغب فى التردد عليه فيها. فهى متزامنة مع ساعات العمل والدراسة التقليدية:

"علمت مصادفة بوجود مركز وسائل الاتصال المتعددة فى غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية فى الكاميرون. وذهبت إلى هناك مرتين. ووجدت معظم الموجودين من الطلبة. ولم يكن هناك أى شخص لمساعدتى على القيام بالبحث. والأكثر من هذا، أن مواعيد الفتح والإغلاق لم تكن مناسبة لى" (Claudia, a fashion designer).

– واقع أنه لم ينظم على الإطلاق أى أنشطة للدعاية عن استخدامات الإنترنت بالنسبة للنساء.

والأهم، فبالنظر إلى برنامج التدريب فى الغرفة التجارية، لم نجد هناك برنامجًا حول كيفية استخدام الإنترنت.

هذا المركز، الذى تم إنشاؤه بتوصية من شركاء التنمية، يعتبر مثلاً على عديد من المشاريع الباهظة التى تم تصميمها فى الخارج، دون حوار مع المستفيدين الفعليين منها.

بصرف النظر عن حقيقة أن المركز ليس مفيداً بالنسبة لهن، فقد اتخذن مبادرات شخصية لتعلم استخدام الإنترنت، وقمن بتعليم أنفسهن بشكل أساسى، مستخدمات الإنترنت باعتبارها أداة داعمة لمبادراتهن فى مجال الأعمال والمشاريع.

المعرفة بالإنترنت: معظم النساء اللاتى تحدثنا معهن، قلن إنهن عرفن الإنترنت. وكما قالت جينين "أعرف استخدام الإنترنت جيدا، منذ خمس سنوات على الأقل، عمى (أحد كبار الموظفين شركة خاصة) علمنى استخدام الإنترنت فى مكتبه. عندما كنت أذهب هناك، غالبًا كنت أجده مشغولاً فى قراءة الإيميلات والرد عليها. واستفدت من استشارته من خلال حسابى فى البريد الإلكترونى".

عرفت منظمات الأعمال أن الانترنت قد تكون لها فائدة هائلة بالنسبة لهن فى البحث عن المستهلكين، والتواصل مع الأسرة والأزواج، وفى فرص الوصول إلى مواقع التواصل مع المعلومات المفيدة عن الدراسات المتعلقة بسوقهن. واستخدمت ثلاث نساء الإنترنت من أجل إعلان أكبر عن أنشطتهن، عن طريق المتاجر الموجودة على الإنترنت. واعتقدت سبع أخريات أن إنتاجيتهن وقدرتهن على الابتكار قد تحسنتا. وعرفت النساء الإنترنت باعتبارها أداة للاتصال، والبحث عن المعلومات. ورغم هذا، كانت هناك خدمات بعينها غير معلومة بالنسبة لهن، مثل منتديات الدردشة، والقدرة على القيام بعمل تعاونى عبر الإنترنت.

استخدام منظمات الأعمال للإنترنت: استخدمت الإنترنت ٣٢ من بين ٣٤ سيدة أجرينا مقابلاتنا معهن، ورجع استخدامهن لها إما إلى أسباب اجتماعية أو مهنية، كما نوضحه فيما يلى:

لأسباب مهنية

١- لإجراء الاتصالات: استخدمت النساء الإنترنت من أجل التواصل واقعيا مع الآخرين، وباعتبارها فرصة اتصال سريعة إلى المصادر الهائلة التى تتوفر بكثرة فى هذه الوسيلة. بالنسبة لاثنتين من بين ٣٢ سيدة، مكنتهن الإنترنت من الحصول على معلومات حول طرز الأزياء السائدة، وتحسين إنتاجيتهن وتنافسيتهن.

"عالم الأزياء فى تغيير دائم. تتغير الاتجاهات والألوان والطرز من موسم إلى آخر، ومن دولة إلى أخرى. وفى حالتى، لدى عملاء متنوعون، فى الكاميرون،

وأيضًا من خارج البلاد. ولذلك، من أجل متابعة أحدث التطورات، أغرق نفسى فى الكمبيوتر، حتى أكتشف الأشياء التى تغيرت، وحتى بالنسبة للاتجاهات التى ما زالت ناشئة. ويتيح لى هذا أن أكون على الخط نفسه مع عملائى (Nicole, a fashion designer who exports her products to the USA)".

وقالت أخريات إنهن يستخدمن الإنترنت فى الاتصال مع مورديهن. راشيل، المالكة لشركة استيراد وتصدير، تستخدم الإنترنت على هذا النحو:

"كما هو معلوم، أحيانا لا تتوفر إمكانية السفر. ولذلك، إذا كان لدى أمر إنتاج أريد إرساله، أرسل إيميلاً للمورد، وأحدد له ما أريد. وفى مرات قليلة، لم يكن ما أرسله مرضيًا تماما لى. لقد عملت لمدة طويلة مع هذا المورد إلى حد يمكن من معرفة كل منا بالآخر، وعادة تمضى كل الأمور على خير ما يرام. أنا سعيدة بوجود الإنترنت هنا".

ومن ناحية أخرى، حددت فلورنس، منظمة أعمال أخرى:

"أفضل التعامل بشكل مباشر تماما، لأنك لا تكونين دائما متأكدة فى حالة الشراء عبر الإنترنت أنك ستحصلين على بضائع عالية الجودة".

وتمكنهن الإنترنت أيضًا من إبراز شركاتهن؛ أربع من بين ٣٢ سيدة أجرينا معهن مقابلات، اعتدن على التعامل مع الإنترنت للاتصال مع العملاء.

روز، مصممة أزياء وأم لأبنين، عملت بعد التخرج فى الجامعة كإحدى كبار الموظفين فى مشروع خاص محلى. وبعد عدد من السنوات، أفلس هذا المشروع، ووجدت نفسها من دون عمل. وقررت استخدام مكافأة إنهاء الخدمة الخاصة بها فى تعلم الخياطة. وكانت قد تعلمت الخياط فى فترة سابقة من أمها التى تعمل خياطة. وبدأت بخياطة الملابس لزملائها، الذين شجعوا موهبتها. ثم ذهبت إلى باريس، وعند عودتها إلى الكاميرون بعد عام، افتتحت ورشتها لصناعة الملابس. ومنذ ذلك الحين وهى تشارك فى مسابقات للأزياء على المستوى الوطنى والدولى أيضًا، وحصلت على جوائز عديدة.

وتقول روز:

"لدى موقع على الإنترنت. أنشأه لى زوجى الكندى، أثناء إقامتنا فى كندا؛ وشاركت فى عروض للأزياء ومسابقات بفضل هذا الموقع، ولك أن تتخيلى، أنه كان سبب عثور أحد كبار عملائى الأمريكيين على، وكان يجد صعوبة لفترة طويلة فى الاتصال بى. ومكنتنى الإنترنت من الاتصال مع الزبائن. لدى زبائن كثيرون خارج دوالا، وحتى من خارج البلاد".

٢- للحصول على تدريب. قالت ثلاث سيدات إنهن استخدمن الإنترنت من أجل التدريب. فرانسوا حاصلة على درجة بكالوريوس. ومتزوجة ولديها ثلاثة أطفال. وبدأ تعلقها بالإنترنت أثناء دراستها فى برنامج تدريبى:

"عرفت استخدام الإنترنت حينما كنت طالبة. وبدأت التدريب كمصممة أزياء، وسررت حيث كان من المدهش أن أجد بعض المواقع لصناع أزياء أجانب على الإنترنت، توجد فى هذه المواقع تصميماتهم.. وكانت هذه المواقع بمثابة إلهام لى أثناء فترة تدريبى، ولدى تصميمات تحوز تقديراً كبيراً من زبائنى. إذ صنعتها بإلهام من تلك المواقع. لا أزورها كثيراً جداً، ولكن عندما أزورها أكون مستعدة لتمضية ساعات من وقتى معها. وحصلت منها على عديد من الأفكار. ومع هذا يؤسفنى عدم قدرتى على أن تكون لدى إنترنت فى المنزل".

المساهمة فى زيادة الكفاءة والمعرفة على المستوى المهنى

قالت المشاركات إن استخدام الإنترنت طور ما لديهن من كفاءة ومعرفة فى مجالات شملت الاتصالات والتدريب والمعلومات.

١- إجراء اتصالات والحصول على تدريب: تستخدم النساء الإنترنت للوصول إلى حساباتهن، والكتابة، وتحرير الكتابة، وإرسال الرسائل، وغرف الدردشة، ومسح الصور، وإرسال صور المناسبات العائلية إلى الأصدقاء والوالدين فى الخارج.

داني، حاصلة على الشهادة الابتدائية، متزوجة وأم لخمسة أطفال، وهي عضوة في جمعية تابعة للغرفة التجارية. تلقت برامج تدريبية متعددة في ريادة المشاريع، ثم اشتركت في التدريب على الكمبيوتر الذي قدمته جمعية دعم ومساندة منظمات الأعمال (Association pour le Soutien et l'Appui à la Femme Entrepreneur-ASAFE) التي مقرها دوالا. وترجع داني الفضل إلى ابنها، الذي يصحبها دائما إلى مقهى السيبر، وهناك تعلمت استخدام الإنترنت: "في البداية، كانت الإنترنت تثير فضولي بشدة. ولكن حينما ذهبت هناك، تعلمت الكثير منها. وتزداد سرعتي في العمل عليها. وأعرف طريقة فتح البريد الإلكتروني. وأستطيع تحميل وثائق. ولم أكن لأصدق هذا منذ عامين".

٢- المعلومات: تعد المبحوثات الكمبيوتر مصدراً للحصول على المعلومات، ويستخدمنه في ذلك (حول أسعار وماركات مستلزمات الخياطة، ومواقع الأزياء، واتجاهات الأزياء)، ويستخدمنه في تبادل المعلومات مع شركاء وزملاء أجانب، ومشاهدة عروض الأزياء. أوضحت كلير هذا كما يلي:

> "من خلال الإنترنت، تعلمت البحث عن المعلومات الخاصة بموردي مستلزمات الخياطة؛ وعن اتجاهات الأزياء. وعندما احتجت إلى آلة تشطيب. لم أجد الماركة المطلوبة في الأسواق، فبدأت بحثًا على الإنترنت، ومكنني هذا من تحديد بعض الموردين يبيعونها في الخارج. واتصلت بهم فوراً، إذ كانت أختي مقيمة في ذلك المكان. وأوصلتني بأحد الموردين في مكانها، وتفاوضت واستطعت الحصول على الآلة. وهي تحقق لي كثيراً من الشهرة في مجال عملي".

٣- استخدامات أخرى. كما توجد أوجه أخرى اكتشفت المبحوثات أن الإنترنت مفيدة فيها، تتضمن ابتكار التصميمات، وتطوير ملكة الإبداع، وتحصيل برامج دراسية. والتحميل من المواقع المعنية.

أولجا، إحدى النساء التي تحدثنا معهن، حاصلة على دبلومة التعليم العالي في الخياطة منذ سنوات مضت. وتعيش في دوالا، أنشأت متاجر لها في مطارات بعض الدول الأوروبية. وشاركت في مسابقات وعروض أزياء في الكاميرون مرات لا تحصى.

وتنظم كل سنتين، عرض أزياء، يشارك فيه مصممو الأزياء المجددون. وتقول إنها بنت سمعتها على جودة منتجاتها و أصالتها، وأوضحت:

"حققت لى الإنترنت أشياء كثيرة. إذ تمثل بالنسبة لى مصدراً للإلهام. عندما أزور مواقع الأزياء أجد نفسى دائما قادرة على الخروج بما هو جديد فى مجال الأزياء، فهذا يعطينى أفكاراً كثيرة. قطاعنا، أحد القطاعات التى تشهد طفرات كثيرة. والاتجاهات دائمة التغيير، فتظهر تصميمات، بينما تختفى أخرى. ولهذا، فأنا أصنع أزياء أوربية فى الملابس الجاهزة. لا بد أن يكون المرء متابعًا للأحدث حتى يحتفظ بالزبائن، أو يكسبهم. دائما، أجد نماذج أقوم بتكييفها، وأحصل منها على تصميمات أصلية، كسبت بفضلها جوائز. واليوم لدى زبائن من كل محافظات الكاميرون ومن أوربا. من حسن حظى أنى ملتحقة بمنظمة حيوية. لدينا شركاء فى الخارج وضعوا موقعًا على الإنترنت تحت تصرفنا، نعرض فيه تصميماتنا. وأخيراً أصبحت على اتصال مع تاجر أمريكى يتعامل فى الملابس الجاهزة. والمفاوضات معه جارية وفى تقدم. كما أمل".

وهكذا، اتضح أن الإنترنت صارت أداة قوية فى الأنشطة التجارية لهؤلاء النساء. وأسهم التعلم بواسطة الإنترنت فى تحسين الكفاءة الدينامية لعدد غير قليل من المبحوثات، ومكنهن من اكتساب معرفة بأنفسهن، وبمشاريعهن. ويمكن التعلم الإلكترونى فى الحقيقة من تقوية الاتصالات وكفاءة استخدام الكمبيوتر، واتجاهات وسائل الإعلام، والتحفيز الذاتى. ولهذا فإنه يتناسب مع النساء عامة، ومنظمات الأعمال خاصة، اللاتى ينشئن لأنفسهن مشاريع.

أسباب اجتماعية

ذكرت مستخدمات الإنترنت جميعهن، أنهن يستخدمنها فى التواصل مع أقاربهن:

"استخدم الإنترنت فى استقبال وإرسال الإيميلات فقط. لدى أفراد من عائلتى بالخارج، وحيث يتوفر لهم استخدام الإنترنت فى منازلهم، فقد اضطرونى لاستخدامها. ويتصلون بى فى بعض الأحيان عندما يكون لديهم ما يريدون إخبارى به، بينما يكون التليفون معطلاً. ومقهى السيبر هو المكان الذى ألجأ إليه عندما أريد استشارة أو إرسال إيميل. (إيفيلين).

قالت ١٧ من بين ٣٤ منظمة أعمال شاركت معنا فى المقابلات إنهن استخدمن الإنترنت لأسباب مهنية، وقالت ٣٢ من بين ٣٤ منظمة أعمال إنهن استخدمنها لأسباب اجتماعية. واعتمدت اللاتى استخدمن الإنترنت للأسباب المهنية على أنفسهن فى التدريب.

الخلاصة والتوصيات

تتوفر موارد مهمة بواسطة مركز وسائل الاتصال المتعددة فى غرفة التجارة والصناعة والتعدين والخرف التقليدية فى الكاميرون (CCIMA)، ولكن للأسف لم يستخدمها الأعضاء. ويمثل الموقع الذى أنشئ فيه المشروع صعوبة كبيرة فى الوصول إليه، ولا تمكن الساعات التى يفتح فيها أبوابه منظمات الأعمال، التى أجرينا معهن المقابلات، من الوجود هناك. ويبدو أن مركز الاتصالات المتعددة فى حاجة إلى وضع تصور له، وجعله فى المكان المناسب، وفقا لتوصيات الجهات المانحة. ولم تتم استشارة المستفيدين منه بشأنه فى أى وقت، لا أثناء صياغة تصوره أو تنفيذه. وبعبارة أخرى، لم تأخذ أهدافه وإستراتيجياته ومبادئه الأولية فى الاعتبار خصوصية وضع منظمات الأعمال المحليات، ولا حاجاتها المحددة.

ومن ثم، من الضرورى أن تنظم غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية الكاميرونية (CCIMA) حملة واسعة لنشر معلومات، إذا أرادت إحداث تغيير فى حالة استخدامه. وينبغى أن يتم إعادة النظر فى توجيه أنشطة المركز، تبدأ من حوار مع النساء اللاتى يجب أخذ حاجاتهن وأوضاعهن الخاصة فى الاعتبار. ويحتاج المسئولون عن المركز توجيه انتباههم إلى القضايا المتصلة بالمستخدمين المستهدفين من المركز.

وبالنسبة للدولة أيضًا، يفضل أن تلجأ إلى التدريب الجاد وسياسة تحفيز، وتؤسس برامج خاصة لتوفير الفرص أمام منظمات الأعمال لاستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ويجب أيضًا وضع إطار للعمل لجعل اقتناء أجهزة الكمبيوتر وتكلفة الحصول على فرص استخدامها متلائمة بدرجة أكبر مع ما يمكن أن تتحمله منظمات الأعمال. وينبغى أيضا تطوير طاقة البحث من أجل تسهيل الاستخدام الكفء.

وحتى تصبح البرامج مفيدة لمنظمات الأعمال، يوصى بتعـريف مصممى البرامج ما حددته النساء بالفعل بخصوص احتياجاتهن، وأن يحيطوا بأشكال التكنولوجيا الناشئة وتطبيقاتها، حتى تستفيد نساء دوالا من البرامج. وإذا تمت استشارة النساء حول احتياجاتهن وواقع استخدامهن للإنترنت، عندها فقـط ستعمل برامج الإنترنت المساعدة على تمكين منظمات الأعمـال من تحسين حيـاتهن ومشاركتهن فى الاقتصاد الكاميرونى.

الهـــوامش

(١) لم نستخدم الأسماء الحقيقية لمنظمات الأعمال التى تحدثنا معهن.

المراجـــع

African Development Bank (2005) 'De l'entrepreneuriat féminin au Cameroun', Financing project, Cameroon: Stean and Associates. African Growth Opportunity Act (AGOA) (n.d.) www.agoa.gov/, accessed 30 September 2008. Biggs, T., M. Miller, C. Otto and

G. Tyler (2003) 'Africa can compete! Export opportunities and challenges for garments and home products in the European market', World Bank Discussion Papers, World Bank.

Chéneau-Loquay, A. (2002) 'Modes d'accès et d'utilisation d'Internet en Afrique: les grandes tendances', *Africa and the Mediterranean*, 'Africa and the digital divide' dossier, 41, December.

Hirsch, S. (2005) 'E-management – suppliers become closer partners', *International Trade Forum*, 3, www.tradeforum.org/news/fullstory.php/aid/924/E-management_-_Suppliers_Become_ Closer_Partners.html.

Knappe, M. (2005) 'Get connected', *International Trade Forum*, 3, ITC, www.tradeforum.org/news/fullstory. php/aid/925/Get_Connected. html.

Tankeu, R. (2005) 'Fracture numérique de genre au Cameroun: quelle ampleur?', ENDA/ANAÎS.

Tokyo International Conference for African Development (n.d.), www. ticad.net/fra/dossier2008/2008 YokohamaDeclaration-fr.pdf, Accessed 30 September 2008.

Washington Post (n.d.) 'L'Agoa est prolongé jusqu'en 2015: l'Agoa III a été adopté par les sénateurs américains', www.afrik.com/ article7424.html, accessed 30 September 2008.

الفصل الثالث عشر

تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات باعتبارها وسيطًا للتغيير
دراسة حالة منظمات الأعمال
من القواعد الشعبية فى أوغندا

سوزان باكشا

أنجيلا ناكافيرو؛ دوروثى أوكيلو

تؤكد الدراسات الحديثة على الدور الفاعل لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى عملية التنمية. ويكثر الحديث حول إمكانات أشكال تكنولوجيا المعلومات الاتصالات الهائلة فى الوصول إلى سكان الريف، حتى توفر لهم التعليم والتدريب وفرصًا للعمل ومنافذ إلى الأسواق والمعلومات المهمة المتعلقة بأنشطتهم الاقتصادية، كما تيسر لهم أيضًا المشاركة فى العملية السياسية. ورغم هذا، ليس لدى الفقراء، وخاصة النساء، سوى القليل من فرص استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والاستفادة بها فى الأنشطة اليومية. ويعود هذا مبدئيا إلى البنية التحتية المحدودة والغياب شبه الكامل للمراكز التى تتيح استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى المناطق الريفية (Hafkin and Taggart 2001). وكشف تقرير "عملية التقييم التشاركية للفقر فى أوغندا (MFPAED 2002)" أن النساء ما زال ينظر إليهن على أنهن ملكية أزواجهن استنادًا

على المال المدفوع لهن كمهر، وللرجال أيضًا السيطرة على حياة النساء، بما فى ذلك وقتهن، وفرصهن للوصول إلى المعلومات ومشاركتهن فى السياسة وأنشطة المجموعات الاجتماعية والتدريب.

حدد فريق البحث مهمته فى استكشاف العوامل التى تسهل تمثل منظمات الأعمال الريفيات، واستخدامهن للمعلومات المقدمة على سى دى بعنوان "الريفيات فى أفريقيا: أفكار تفيد منظمات الأعمال فى الحصول على المال (Women of Africa: Ideas for Earning Money by Women Entrepreneurs). وتهدف المعلومات على السى دى إلى تحسين مشروعاتهن خصوصًا، وحياتهن عموما(1). وكان مشروعه مقترحًا من المركز الدولى للدفاع للمرأة (International Women's Tribune Centre -IWTC)بالاشتراك مع "مركز بحوث التنمية الدولية/ مكتب شرق وجنوب أفريقيا" (Development Research Centre/Eastern and Southern Africa Office- IDRC/ESAO)، فى نيروبى، ونفذه فى أوغندا مجلس أوغندا الوطنى للعلوم والتكنولوجيا (Uganda National Council of Science and Technology-UNCST)، بالاشتراك مع منظمات غير حكومية من بينها "مجلس التمكين الاقتصادى للمرأة فى أفريقيا - فرع أوغندا (Council for Economic Empowerment of Women in Africa - Uganda Chapter - CEEWA-U) و"ميديا ون (Media One)، و"إدارة تنمية أوغندا" (Uganda Development Services -UDS).

طرح مشروع السى دى لأول مرة سنة ٢٠٠١ فى ثلاثة من مراكز الاتصالات فى منطقتين ريفيتين؛ ناكاسيكى وبواما، ومنطقة شبه حضرية فى نابويرو. للحصول على المعلومات التقت النساء فى مراكزهن وفقا لترتيب زمنى، ومعهن أحد الميسرين، لتصفح السى دى. وفى نهاية كل جلسة، يقودهن الميسر فى مناقشة لما تعلمنه ومدى تطبيقه، أو احتمال تطبيقه على أنشطتهن اليومية.

وأظهرت الاستنتاجات الميدانية، أنه رغم إعجاب معظم المبحوثات بالمعلومات التى قدمت فى السى دى، وفهمهن بدرجة معقولة لما ورد حول تحسين الشركات وتوسيعها،

ولكن تحول هذه المعلومات إلى معرفة، وتطبيقها للوصول إلى الأثر المرغوب فيه، ظل غير مؤكد ومتفاوتًا وفقًا للحالة الزواجية للمبحوثة وميولها الفردية وموقعها. ولكن ظهر لنا أن النساء عندما توفرت لهن الفرصة، سارعن إلى تشكيل شبكات اجتماعية تهدف إلى خلق فضاءات خاصة بهن، التى يشعرن فيها أنهن مقدرات ومرغوب فى وجودهن. واكتشفنا أيضًا استخدام نماذج الدور، فى تعزيز أو تعطيل فرص الوصول إلى تكنولوجيات الاتصالات والمعلومات.

تحديد عينة المبحوثات

قام الفريق بزيارات للمناطق قبل إجراء البحث، لتعريف مديرى المشروع فى مراكز الاتصالات المحددة بالدراسة. وكان لمديرى المشروع دور مفيد فى تحديد المبحوثات اللاتى ستطبق معهن الدراسة. وتمت اللقاءات مع المبحوثات فيما بين سبتمبر ٢٠٠٥ و فبراير ٢٠٠٦، واختيرت عينة بصورة عمدية أثناء المراحل الأولى، باستهداف القياديات من صاحبات الشركات، اللاتى حضرن جلسات تشغيل السى دى فى مراكز الاتصال الثلاثة. بعد تحديد القياديات، تمت دعوة المشاركات الأخريات للمشاركة، مع انتقال الخبر من شخص إلى شخص داخل المجتمعات المحليّة. وتمت المقابلات مع ١٦ سيدة، بالإضافة إلى مقابلات أجريت مع المسئولين عن تنفيذ المشروع. ومن بينهم راشيل ميجومبى إبودوى Rachael Mijumbi Epodoi المستشار المحلى للمشروع، وجوريتى زافوجا أموريا Gorretti Zavuga Amuria، رهيما باجوما Rehema Baguma، دانييل سيماكولا Daniel Semakula مديرى المشروع السابقين فى مجلس التمكين الاقتصادى للنساء فى أفريقيا – مكتب أوغندا (IDRC/ESAO)، ومارتن نسوبوجا Martin Nsubuga من منظمة اليونسكو ، وآن وكر Anne Walker من المركز الدولى للدفاع عن المرأة (IWTC)، وهى مستشارة المشروع على المستوى الدولى أيضا.

جمع المادة البحثية ومعالجتها

طبقنا المناهج الكيفية لجمع المادة البحثية، لاستكشاف الأبعاد العميقة للموضوع. أجرينا مقابلات ومناقشات جماعية مركزة، مع كل مبحوثة فى مركز الاتصال الخاص بها، ومع المستفيدات من المشروع، ولجنة إدارة مراكز الاتصالات. وتم تسجيل جميع المقابلات لضمان الدقة والشمول.

وأجرى فريق البحث أيضًا زيارات ميدانية إلى المنازل وأماكن عمل المبحوثات حيث تباشر المبحوثات عملهن. ومكنهم هذا من ملاحظة ومقارنة المعلومات التى أدلت بها المبحوثات مع الحالة الفعلية لمشاريعهن. وتبادلت المبحوثات الروايات حول طريقة استخدامهن المعلومات المتاحة على السى دى فى تحسين شركاتهن. واستخدمنا برنامجًا للتحليل الكيفى، فى تحليل المادة وتصنيفها وفقا للموضوعات، وتحديد العوامل المؤثرة على فرص وصول النساء إلى معلومات السى دى.

نتائج ميدانية

تمثل معلومات السى دى واكتشاف الذات: قبل مشروع السى دى، كانت معظم المبحوثات يصفن أنفسهن كفقيرات وخجولات وتنقصهن الثقة اللازمة للحديث والمشاركة فى الشئون العامة. وبالنسبة لمن كان لهن نشاط التجارى، لم تكن قضية تحسين مشروعاتهن للحصول على عوائد أفضل، من الأشياء التى تتكرر فى حديثهن. واكتشفنا أنهن يوقفن أنشطتهن، بسبب ضآلة عائد المشروعات صغيرة الحجم، الذى ينفقونه على شراء ضروريات الأسرة، مع قلة الانتباه إلى توسيع مشروعاتهن واستثماراتهن، كما سينعكس فيما اقتبسناه من كلامهن كما يلى:

> "دخلى منخفض، بسبب انخفاض جودة المنتوج أيضا. ولا أستطيع استثمار الدخل القليل الذى كسبته، مرة أخرى فى مشروعى لأضمن استمرار الربحية.

كنت أربى دواجن على نطاق محدود؛ كان لدى عشرون كتكوتًا فقط. كنت أشعر أن المشاريع الكبيرة للأغنياء فقط. وحينها، كان عدد أصحاب مزارع الدواجن فى تزايد، الشىء الذى جعل المنافسة أشد. وفى النهاية خسرت بعض زبائنى لصالح موردين جدد. ونقص دخلى بدرجة كبيرة وأصبحت فى حالة بائسة، وأوشكت على الإفلاس. ولكن رغم هذا، لم تكن أمامى سبيل أخرى للحصول على القوت".

ومع ظهور مشروع السى دى، تمكنت النساء من الوصول إلى معلومات وأفكار جديدة حول طرق تحسين مشاريعهن وتعريف الفرص التجارية، واكتشاف إمكاناتهن. من كانت لديهن أرضا، بدأن استخدامها فى الأغراض التجارية مثل زراعة المحاصيل النقدية. وأخريات نوعن أنشطتهن وغامرن فى مناطق جديدة للتجارة. ونتيجة لذلك، اكتسبن هويات جديدة، فانتقلن من كونهن ربات منازل إلى صاحبات مشاريع، كما حصلت أخريات على برامج تدريبية على بعض المهارات الجديدة مثل الخياطة. وترتب على ذلك، تجاوز معظم النساء للإنتاج المعيشى الشخصى أو العائلى، إلى تسويق سلعهن. وتطورن، فأصبحن مواطنات لديهن ثقة بالنفس، وبالنسبة لإحداهن، وكانت أرملة، تولت منصبًا سياسيًا بالانتخاب فى منطقتها المحلية. وهكذا، فى نهاية المشروع، كانت لدى النساء أشياء مختلفة يمكنهن التحدث عنها.

التمكين الاقتصادى: هل نعتبره تحررًا أم ماذا؟ عرفنا تمكين النساء كمفهوم فى بحثنا، باعتباره العملية التى يتحقق من خلالها تقدم فى مشاريع النساء وحياتهن الشخصية إلى مستويات أداء أفضل، ومن ثم يأتى التساؤل: هل يرجع سبب هذا التمكين إلى استخدام المعلومات التى توصلت لها النساء باستخدام السى دى. وتبادلت المبحوثات خبراتهن فى مشروعاتهن التى استندت على المعلومات التى حصلن عليها.

"بعد أن تعلمت أشياء حول الاهتمام بالزبائن، تغير موقفى تجاه زبائنى. أدركت أن على التعامل معهم كمرؤوس، وبالتالى يجب التحدث إليهم بشكل جيد حتى أجتذبهم.

وساعدتنى جدًا المعلومات بخصوص تعبئة وتغليف وتخزين المنتجات. وتطورت نظافتى الشخصية بدرجة كبيرة. على سبيل المثال، اعتدت قبل ذلك صف بيض الدجاج فى الأطباق المخصصة له دون تنظيف، وكان قليلاً جدًا من الناس يقبلون

على شرائها. ولكنى الآن أنظفه بعناية بيضة إثر الأخرى قبل صفه، والآن أصبحت المبيعات مرتفعة. وتحسنت مستويات الدخل. وأستطيع تحمل سد حاجات الأسرة بما فيها دفع الرسوم للمدرسة".

اتضح أن دخل تلك النساء ارتفع نتيجة لتحسين جودة منتجاتهن وخدمتهن. واتضح أيضا، أنهن كلما اكتسبن دخلاً أكبر، اتجهن إلى إنفاق قدر كبير من المال على رفاهية الأسرة، وأكد بعضهن أن ذلك كان عاملاً مهما فى الحفاظ على علاقة جيدة مع أزواجهن.

لن نضحى بالحياة لصالح المشروع: مع مسئولياتهن المتزايدة، لم تستطع كثيرات تحقيق تقدمٍ ملحوظ فى مشروعاتهن. واستخدمن كل الأرباح، أو جزءًا من رأس المال فى تلبية حاجات أسرهن، بما يتضمنه ذلك شراء الطعام، ودفع مصاريف المدرسة وفواتير العلاج. ونتيجة لهذا، كانت تجارتهن غالبًا إما فى حالة ركود، أو على وشك الانهيار. ولم تترجم المعرفة التى حصلت عليها منظمات الأعمال إلى تحسن اقتصادى على المستوى الشخصى، نظراً للأدوار والتوقعات النوعية المتضاربة. وعندما سألنا فلورنس عن سبب عدم تحقيق مشروعها أرباحًا مناسبة، بصرف النظر عن حصولها على معلومات حول تنمية المشاريع، نقلت لنا خبرتها كالتالى:

الباحث: قلت لنا إنك تعملين بهذا المشروع منذ ١٩٩٩، هل هذا صحيح؟

المبحوثة: نعم.

الباحث: لماذا إذ لم تستطيعى توسيع مساحة مشروعك، وزيادة رأس المال؟

المبحوثة: آه، نعم، أنظر، أنا أستخدم كل الأرباح لسد حاجات أسرتى، بما فى ذلك رسوم المدارس، والرعاية الصحية والطعام.

الباحث: هل زوجك شخص غير متعاون؟

المبحوثة: بل هو كذلك، ولكنه لا يستطيع أن يفعل كل شىء. وفوق هذا، هناك أشياء مهمة بالنسبة لأطفالنا، يسهل على الأب تجاهلها، ولكن الأم ليست كذلك. على سبيل المثال، ابنتى الثانية حملت العام الماضى ولم

تكمل دراستها بالمدرسة؛ ولسوء الحظ، هجرها الشخص المتسبب فى حملها. وبالطبع استاء والدها (زوجى) من الأمر كله. فكان علىّ سداد جميع تكاليف الرعاية الصحية أثناء حملها وولادتها، التى كانت عسيرة. وأجريت لها عملية قيصرية، وشارفت على الوفاة. واستخدمت نحو ٣٠٠ ألف شلن (ربما ١٨٠ دولارًا) لأنقذ حياتها. ومعنى هذا أن فاتورة الرعاية الصحية قضت على كل أرباحى، وجزء غير قليل من رأس المال. لن تستطيعى التضحية بالحياة من أجل المشروع. فليس للإنسان سوى حياة واحدة، ولكن المشروعات قد تنهار وتستعاد مرة أخرى. وقد قررت الآن إعادتها مرة أخرى إلى المدرسة. ورفض والدها أن يدفع رسوم المدرسة، لأنه لا يزال غاضبًا منها. ولكنى كأم، لا أريد لها الرسوب فى المدرسة؛ وارغب فى مواصلتها تعليمها. لقد أخطأت، وأتمنى أن تكون تعلمت من خطائها. إذا رفضت إعادتها إلى المدرسة، ستكون عندها مشكلة أكبر فى المستقبل.

وتوضح هذه الحالة، الطبيعة الاقتصادية المركبة لتمكين النساء. كان الغرض الرئيسى من مشروع السى دى تطوير مهارات منظمات الأعمال، وبهذا يمكنهن زيادة دخلهن، ووضعهن الاقتصادى بالتالى. وفى الحقيقة، معظم المبحوثات إما بدأن أنشطة أخرى مولدة للدخل، أو طورن مشروعهن. ورغم هذا، فعديدات منهن، لم تكن عوائدهن التجارية متناسبة مع الجهود التى استثمرنها. وهذا نسبى، لأن معظم الأرباح كانت تنفق على حاجات الأسرة بدلاً من إعادة استثمارها فى النشاط التجارى. ولاحظنا اهتمام المبحوثات عامة بتخلى أزواجهن عن واجبات الأسرة، إذا لمسوا توسعًا فى مشروعات زوجاتهن. ورغم هذا، لم تكن تلك النساء على استعداد لمواجهة أزواجهن، لرغبتهن فى الحفاظ على الزواج. وإلى جانب هذا، كان حرصهن على تلبية حاجات أبنائهن يحقق لهن إشباعًا أكثر من المطالبة بالمساواة مع أزواجهن.

ويتناسب هذا مع نظرية تعديل التفضيلات التى قدمها أمارتيا سن، فى النساء والتنمية الإنسانية: مقاربة خاصة بالقدرات (Women and Human Development: The Capabilities Apprach (2000))، الذى اقتبست نوسباوم عنه، وقد لاحظت أن "النساء،

وغيرهن من المقهورين الآخرين، لا يرغبن في سلع إنسانية أساسية، إذ اعتدن غيابها لفترة طويلة، أو اعتبرن وجودها ليس من أجل أمثالهن" (P.139). وفى حالتنا، لم تقم مبحوثات كثيرات فى الدراسة بأى رد فعل دفاعى عندما تخلى أزواجهن فجأة عن مسئوليات الأسرة، وبعضهم فعلوا هذا حينما لاحظوا أن زوجاتهم أصبحن قادرات على تحقيق دخل. وبالنسبة لبعض النساء، كان الشعور بتحسن علاقتهن مع أزواجهن أفضل لديهن من تحقيق مدخرات شخصية. وقالت إحدى النساء "الآن أستطيع المساهمة مع زوجى فى النفقات، وهذا حسن علاقتى به". ويبدو أن عمل النساء فى إعادة إنتاج الأسرة، ما زال غير محسوب على أنه يحقق قيمة اقتصادية: وعندما تكسب هذه النساء دخلاً، ويغامرن فى مشاريع مولدة للدخل خارج بيوتهن فقط، يصبح لهن تقدير لدى أزواجهن. ورغم عدم تحقيق معظم المبحوثات لاستثمارات ملحوظة بسبب النفقات التى يقمن بها على المنزل، فإنهن راضيات عن قيامهن بخطوة إيجابية فى الطريق الصحيح، وقانعات بذلك.

عندما تصبح هناك مسافة بين الأنساق والمعايير العملية: بدا هناك اختلاف واضح فى قصة اثنتين من المبحوثات، رغم وجود قاسم مشترك بينهما وبين الأخريات. كانت كلتاهما أرملة، اعتمدت على زوجها قبل ان تعانى حالة الترمل. وعندما رحل الزوج، لم يكن هناك من تلجأ إليه أىّ منهما طلباً للمساعدة. ومن حسن الحظ[٢]، كلتا السيدتين كانت لها ملكية موروثة، بما فى ذلك ملكية لقطعة أرض. وكوسيلة لتأمين أسباب الحياة لنفسهما، وأطفالهما، لجأتا للمشاركة فى مشاريع مولدة للدخل، بإلهام وتحفيز من المعلومات التى حصلتا عليها عبر السى دى.

ولكونهما مستقلات، فهذا حسن قدرتهما على الحركة، كانتا حرتين فى المشاركة فى مبادرات مختلفة لدعم المشاريع التنموية. وشكل حضورهما لجلسات السى دى فى مركز الاتصالات، نوعًا من السعى للمساعدة التى تبحثان عنها. واستخدمتا المعرفة فى البدء بمشروع أو توسيعه، وفى الحفاظ على استثماراتهما وإضافة المزيد عليها أيضا. ولكونهما مسئولتين عن دخلهما ولديهما القدرة على اتخاذ القرار بشأن استخدامه،

فقد بدا أن هذا جعلهما أكثر نشاطًا وتقدما مقارنة بنظيراتهما المتزوجات. وصفت ليديا من نابويرو، وجولييت من بواما لفريق البحث كيف استخدمتا المعلومات التى قدمت إليهما على السى دى من أجل تحسين وضع مشروعيهما وحياتهما بوجه عام. قالت جولييت:

"منذ مشاركتى فى جلسات السى دى بمركز الاتصال فى بواما، زاد دخلى بشكل هائل. استطعت إدارة أسرتى بصورة جيدة، برغم وفاة زوجى. على الأقل، أكسب أكثر من ٢٠٠ ألف شلن أوغندى (تقريبا ١٢٠ دولارًا) شهريًا. وباستخدام أرباح مشروعى، نجحت فى إنشاء مبنى تجارى من أربع غرف، وأصبحت لدى دراجة تاكسى (بودابودا bodaboda)[٣] يسرت لى نقل بضائعى، الأمر المطلوب فى تجارة التجزئة. أنتج أربع عبوات من عصير الفاكهة الطازجة يوميا وأبيعه. وتوسعت فى نوع أعمالى التجارية، من متجر لتجارة التجزئة وماشية محلية، إلى متجرين (أحدهما فى كامبالا) ودراجة نارية للنقل وتربية مواش وخنازير وإنتاج لبن، بالإضافة إلى الدخل الذى يدره تأجير منزلٍ فى جالامبا. تغيرت حياتى إلى الأفضل؛ وسعيت إلى فرص أخرى لتوليد الدخل، وأستطيع حاليا تلبية متطلبات أسرتى، بما فيها دفع رسوم مدارس الأطفال. كما أدفع لابنى رسوم تعليمه الجامعى".

كما تظهر حالة ليديا ناباجالا ملهمة للغاية. إنها فى الثلاثين من عمرها، أرملة ولديها بنتان. وقبل ترملها كانت ليديا ربة منزل تعتمد على زوجها معيلاً وحيدًا للأسرة. وعندما توفى زوجها عام ٢٠٠٢، واصلت اعتمادها على أفراد عائلتها (الأم والأب والأقارب) فى تدبير معيشتها. ولم تتمكن أسرة زوجها من تقديم أية مساعدة لها. ولم يعد لديها أمل فى المستقبل، واعتقدت أنها ستموت عاجلاً.

وفى أحد الأيام، قالت إحدى شقيقاتها تعليقًا، أصبح نقطة تحول فى حياة ليديا. فى أثناء إحدى المحادثات التى تدور بينهما عادة، قالت "ليديا، نحن سنقوم برعايتك وأطفالك ما دمت أنت على قيد الحياة؛ ولكن إذا توفاك الله، لن نتمكن من القيام بالشىء نفسه...".

وتقول ليديا إن هذا التعليق آلمها كثيراً، ولكنه شكل لحظة فارقة فى حياتها. إذ اضطرت إلى النظر بصورة نقدية إلى نفسها، ومحنة أولادها، الأمر الذى وصفته بأنه "صحوة". وحول الوقت نفسه، دعتها صديقتها لحضور فصول دراسية حول الكمبيوتر، كانت تعقد بمركز اتصالات فى نابويرو. كانت الفصول تعقد فى أوقات ما بعد الظهر، وهذا الوقت ملائم لها. وفى النهاية، نمت فى ذهنها أفكار حول طريقة لتحسين ظروفها والتوقف عن الاعتماد على أسرتها. قررت التخلص من هوية التابعة، وتنشئ لنفسها ما يوفر معيشتها. وقصت علينا كيف تطورت منذ اتخاذها قرار إعالة نفسها وأسرتها.

"لاحظت أن لدى مساحة زائدة على حاجتى. قررت استخدام الجراج فى تربية الكتاكيت، وبيع المياه للحصول على دخل أيضًا. أستطيع أن أدفع فواتير المياه، وأستخدم الأرباح المتولدة فى احتياجات المنزل مثل شراء الطعام، ودفع مصاريف المدارس ودفع تكاليف توصيل أطفالى إلى المدرسة. ولاحظت أيضا أنى يمكننى استخدام الجزء من الأرض الزائد على حاجتى فى بناء مساكن للإيجار".

وفى الوقت الذى كنا نجرى فيه البحث، انتخبت ليديا لرئاسة إحدى المنظمات القاعدية التى تقدم الدعم للأرامل والأيتام. وكان هذا، لأن مجتمعها المحلى ينظر لها كسيدة مغامرة جديرة بالثقة وقادرة على تحمل المسئولية. ويتفق هذا مع ما تأكيد ماجيو و كناوفت (Mageo and Knauft, 2002)، فى عملهما حول "هوية الشخص تتحدد من خلال عملية اكتسابه خبرة ذاتية"- وبعبارة أخرى، ما يمر به الشخص من تجارب كفرد يتحدد فى الحقيقية بالطريقة التى يعرف أو يحدد بها نفسه أو نفسها داخل بيئة معينة. لقد نمت رغبة ليديا فى الاعتماد على نفسها، من خبرتها فى الاعتماد على أسرتها بعد وفاة زوجها. قبل وفاة زوجها كانت متقوقعة فى المنزل، تشعر بالراحة فى وضعها كربة منزل، تقوم بالأعمال المنزلية. ورغم هذا، عندما توفى زوجها وأشار لها أفراد أسرتها أنهم لن يتولوا رعاية أطفالها إلى ما لا نهاية، اضطرت إلى إعادة تحديد موقفها، وتولى مسئولية رعاية نفسها وأطفالها. وعند هذه النقطة، اختارت التغيير، ألا تتبع أيًا كان بعد هذه اللحظة، وتعيد صياغة وضعها وهويتها باكتشاف قوتها

الشخصية فى تولى مسئولية بيئتها والتحكم فيها. وهكذا، أعادت خلق عالمها الخاص. ومن خلال حضور فصول مركز الاتصالات، أصبح بمقدورها الحصول على معلومات حول المشاريع التجارية، التى زادت وعيها حول الفرص المتاحة لتحسين ظروفها باستخدام الموارد الموجودة تحت تصرفها. فضلاً عن هذا، مكنتها المشاركة فى فصول مركز الاتصالات من الارتباط بالأخريات، وتعلمت من خلالها كيفية التعبير عن نفسها فى المجال العام.

تشابهت حالتا ليديا وجولييت مع معظم المبحوثات، فى كون خبرتهما كانت متأثرة إلى حد كبير بالقيم الأبوية التى غرست فى ذهنيهما خلال عملية التنشئة الاجتماعية. ولكن ما جعل وضعهما مختلفًا، أنهما أرملتان، ولديهما فرصة امتلاك مساحة من الأرض. زاد كونهما أرملتين من قدرتهما على استكشاف إمكاناتهما، واتخاذ قرار باستخدام مواردهما لصالح نفسيهما لتحسين وضعهما الاقتصادى وتلبية احتياجات ورفاهية أسرتيهما. وقبل ذلك، كانت المرأتان معتمدتين تماما على زوجيهما، ولم يكن لهما سوى قدر محدود من المهارات التجارية. كشفت حالة ليديا وجولييت أنه بإتاحة الحق فى المعلومات وفرص الوصول إلى موارد منتجة والتحكم فيها، مثل الأرض، تستطيع النساء استكشاف إمكاناتهن، ويستطعن تحسين وضعهن الاقتصادى والاجتماعى.

ولاحظ أمارتيا سن أنه "كلما تحركت الانساق الاجتماعية مسافة أبعد عن الممارسة المعيارية المتعلقة بملكية الذكور، تستطيع النساء اتخاذ مبادرات تجارية واقتصادية مع قدر كبير من النجاح" (١٩٩٩: ٢٠١). يتوافق هذا بوضوح كبير مع وضع ليديا وجولييت: لم يؤد الترمل فقط إلى زيادة وعيهما، ولكنهما أصبحتا أيضًا قادرتين على التخلص من وضع الضحية، بل وأمكنهما التحكم فى حياتهما، وشاركتا بنجاح أيضًا فى مبادرات بمشروعات جديدة لإعالة نفسيهما وأطفالهما. ويوضح هذا أن النساء بحصولهن على الحق فى المعلومات وحريتهن فى إدارة شئونهن، يصبحن قادرات على تقديم مساهمات مفيدة لتنمية أسرهن ومجتمعاتهن المحلية.

ودلت الحالتان أيضا على أن الفقر لا يرتبط فقط بالدخل، ولكن يتضمن فقدان القدرات على تحسين إمكانات الشخص. وفى حالة جوليت وليديا، كانتا أرملتين، تركهما زواجاهما دون مال فى حسابات بنكية. ورغم هذا كانت لديهما بعض الموارد، مثل الأرض، تحت تصرفهما. وحسن استخدام الحق فى المعلومات، الذى أتاحه السى دى، ومهاراتهما فى مجال المشاريع، التى زادت بدورها قدراتهما على المشاركة فى مزيد من الأنشطة التجارية من أجل تحقيق دخل.

النساء وتشكيل الشبكات

كنساء تجمعن فى مراكز الاتصال، شكلن علاقات جديدة ببعضهن بعضًا، وتعرفن أكثر إلى المدربين الذين تبادلوا معهن الخبرات والحديث عن العقبات. وقبل ذلك، واجهت كل امرأة منهن حياتها الفردية التى دارت أساسًا حول محور أسرهن المباشرة والممتدة. وفى مناطق مثل ناكاسيكى و باواما (منطقتين ريفيتين)، توجد مسافات تبعد بين المنازل نحو ٥ كيلو مترات. ومع تقديم مشروع السى دى، أصبحت مراكز الاتصال مكان اللقاءات ليس فقط لتلقى التدريب، ولكن أيضا للتفاعل بين المتدربات. وقبل جلسات التدريب وبعدها، تجد النساء وقتا للدردشة وتبادل الخبرات فيما بينهن. وبناء على ذلك، تشكلت مجموعات جديدة (سواء بشكل رسمى أو غير رسمى) بهدف استمرار العلاقات التى تأسست فى مراكز الاتصالات. كان من بين تلك المجموعات التى تأسست مثلاً مجموعة نابويرو للتمويل الدوار، ومجموعة نساء تويكيمبى، وجمعية نساء ناكاسيكى للتنمية (NAWODA). وقامت تلك المجموعات على مبادئ الاعتماد على النفس، وهكذا يمكن لحصيلة تنشأ من جمع الموارد، تغطية المال اللازم كرأس مال للبداية، ولتعزيز الأنشطة التجارية القائمة.

ومن مراكز الاتصال، تعلمت بعض النساء وشاركت فى النهاية مع مجموعات غير رسمية قائمة بالفعل، مثل مجموعات "نيجينا" 'Nnigina groups'، بعد إدراك المنافع التى تعود من تشكيل المجموعات. والكلمة نيجينا تعنى حرفيا "كونى سعيدة وأشعر

بتقدير الآخرين". وكانت مجموعات نيجينا مبادرة من نساء العاصمة، بهدف خلق منتدى تستطيع النساء الاجتماع فيه، وخاصة المشتغلات فى القطاع غير الرسمى، يتبادلن الخبرات، وتجامل إحداهن الأخرى، ويتبادلن الهدايا. لم تكن الهدايا بالضرورة بقصد تقديم شىء قيم إلى المتلقية، ولكن كانت أسلوبا لإظهار تقدير وقيمة الفرد فى مجتمعه. وكان ينظر إليها باعتبارها عملية تؤدى إلى التمكين؛ فمجموعات نيجينا تمكن النساء من تنظيم أنفسهن، وتبادل الخبرات وتوفير البيئة التى يستمتعن فيها بأنفسهن دون دعم خارجى.

نموذج الدور

ظهر نموذج الدور باعتباره عاملاً مهمًا مؤثرًا على فرص الوصول إلى المعلومات واستخدامها. وكشفت المبحوثات من نابويرو وباواما، كيف حفزهن لحضور فصول تعليم الكمبيوتر فى مراكز الاتصال، أنهن شاهدن أخريات يفعلن ذلك، وصارت لهن سمعة حسنة فى المجتمع. وفى ناكاسيكى، وقد مثلت لهن عنصر الجذب الرئيسى، سيدة مسنة تدعى انستاسيا ناميسانجو Anastasia Namisango، تعرف عمومًا باسم ناستا، يزيد عمرها على السبعين عامًا وأمية، كان لديها حماس لا يلين وتصميم على تعلم كيفية استخدام الكمبيوتر. وفاقت شعبيتها داخل ناكاسيكى وخارجها، أحلامها العريضة عندما وقع الاختيار عليها لحضور مؤتمر دولى فى نيويورك لشرح دور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى تحسين مستوى معيشة النساء. وبسبب كبر سنها وأميتها، أدهشت ناستا الجميع عندما اختيرت لتمثيل نساء مجتمعها المحلى فى المؤتمر. وبدورها، أصبحت نموذجًا للدور بالنسبة للكثيرات فى ناكاسيكى. وفجأة، أصبح جميع من فى هذا المجتمع يريد الذهاب إلى مركز الاتصالات وحضور فصول الكمبيوتر. وبسبب المسافة البعيدة عن المركز، استطاعت بعض النساء تنظيم أنفسهن فى مجموعات بمواقع مختلفة ودعون ناستا لتقدم لهن جلسات تدريب. وعرضت بعض المبحوثات خبرتهن بهذا الشأن:

"عندما أخذوا جاجا[٤] ناستا للخارج، أدركت أن من الممكن لأى شخص أن يتعلم كيف يستخدم الكمبيوتر. وسألت نفسى، إذا كانت جاجا ناستا، وهى مسنة وأمية، تمكنت من التعلم والتدريس، فماذا عنى، وأنا شابة. واشتركت حينها، وأصبحت إحدى الطالبات هنا، وسوف تدرس لنا كيفية تحريك الماوس وكيف سيبدأ الكمبيوتر فى الحديث والتعليم.

واشتركت أيضًا لأنى أردت تعلم طريقة كتابة اسمى. وعندما علمت أن أناستاسيا، وهى امرأة فى الثمانين، بإمكانها استخدام الكمبيوتر، مثل لى هذا تحديًا لحضور الصفوف لأرى الكمبيوتر وما يوفره من مساعدة".

وتجدر بنا ملاحظة أن نموذج الدور قد يعطى نتائج عكسية أيضًا. وحدث هذا مع حالة ناستا أيضًا. فرغم أنها ألهمت كثيرات فى مجتمعها الرغبة فى تعلم طريقة استخدام الكمبيوتر، فكثيراً من المعجبات بها، رغم استطاعتهن الوصول إلى المعلومات التى على السى دى، فإنهن لم يستطعن تطبيق هذه المعلومات فى زيادة نجاح أنشطتهن التجارية. وفى هذا كن يتبعن نموذجها. ففى وقت إجراء الدراسة، لم يكن لدى ناستا مشروع تجارى قائم، وفى زيارة لمنزلها لم نجد فيها ما تبدو منه علاقة بعالم المشاريع. كانت تعيش فى فقر مدقع كما كانت من قبل. توقفت عند مستوى تفسير المعلومات ونقلها إلى الأخريات، ولم تترجمها أبدًا إلى معرفة تمكنها مع من حولها. ويمكن أن يعزى ذلك جزئيا إلى سنها المتقدمة، وفشلها فى استيعاب الغرض من المشروع. ورغم هذا بالنسبة لنموذج الدور، كانت لهذا نتيجة عكسية، حيث انعكس عجزها على كل مبحوثات ناكاسيكى اللاتى تبعنها.

الخلاصة

بتوفير المعلومات لمنظمات الأعمال من القواعد الشعبية، هدف مشروع السى دى إلى تحسين مشروعاتهن، ومن ثم تمكينهن اقتصاديا. وكشفت الدراسة عن أنه رغم استخدام النساء للمعلومات فى تحسين وتوسيع مشاريعهن، لم تتمكن معظمهن من تحقيق تقدم

واضح، حيث كن ينفقن كثيراً من الأرباح على احتياجات المنزل ومعيشـــة أطفالهن. ورغم هذا كشفت الأرامل عن حالة لاكتشاف الذات، وانتقلن من وضع التبعية إلى وضع المستقلات المتمكنات اقتصاديا. استخدمن المعلومات التى حصلن عليها فى تحقيق تحسينات واضحة فى أنشطتهن التجارية، وحققن أرباحًا تمكنهن من رعاية أسرهن، كما أسهمن أيضًا بشكل إيجابى فى تنمية مجتمعهن.

الهـــوامش

(١) استخدم السى دى نظام متصفح متنقلاً مع تقديم بالرسم ونص ناطق. وحيث تميز السى دى بسهولة الاستخدام والنص الناطق باللغة المحلية (لوجندا)، فم يكن يتطلب سوى حد أدنى من المعرفة بطرق التشغيل. ووفر فرصة للحصول على المعلومات حول ريادة المشاريع بالنسبة للنساء فى المستوى القاعدى الشعبى. وتتضمن الموضوعات التى تمت تغطيتها فيه: استخدام ما لديك لتأسيس مشروع، وجودة المنتج أو الخدمة، العناية بالمستهلك، وكمية الإنتاج أو الخدمة، وبحوث سوق الخدمة أو المنتج، والتسعير والمنتج أو الخدمة، وتخزين المنتج، والتعبئة والتغليف وتشغيل رأس المال.

(٢) فى معظم ثقافات أوغندا، عندما يتوفى الرجل، يكون لأقاربه حق المشاركة فى أملاكه دون حاجة إلى موافقة الأرملة. وفى أسوأ الحالات، تطرد الأرملة بعيداً عن منزل الزوجية الخاص بها، أو يطلبون منها العودة إلى أسرة والديها. ويسمح "قانون الوراثة" للنساء بحصة تبلغ ١٥٪ فقط من ملكية الأسرة فى حالة وفاة زوجها. ونسبة ٨٥٪ الباقية تقسم بين أطفالها ومعالين تحت رعاية زوجها.

(٣) استخدمت الكلمة bodabodas للإشارة إلى الدراجات النارية المستخدمة فى الأغراض التجارية، وحيث لم يكن متاحاً للنساء قيادة دراجة نارية بسبب الثقافة السائدة، فكن يوظفن شاباً لتولى العمل نيابة عنهن.

(٤) الترجمة المباشرة، الجد أو الشخص كبير السن.

المراجــع

Hafkin, N. and N. Taggart (2001) 'Gender, information technology, and developing countries: an analytic study', Academy for Educational Development, available at ict.aed.org/infocenter/gender. htm.

Mageo, M. J. and B. M. Knauft (2002) Power and the Self, Cambridge: Cambridge University Press.

MFPAED (Ministry of Finance,

Planning and Economic Development) (2002) Uganda Participatory Poverty Assessment Process: Second Participatory Poverty Assessment Process Report (UPAP 2): Deepening the Understanding of Poverty.

Nussbaum, C. (2000) Women and Human Development: The Capabilities

Approach, Cambridge: Cambridge University Press.

Sen, A. (1999) 'Women's agency and social change', in Development as Freedom, New York: Anchor Books.

الفصل الرابع عشر

الاستخدام التجارى للتليفون المحمول
أداة تمكين لريفيات أوغندا

جريس بانتيبيا كيوموهيندو

انطلقت ثورة المعلومات فى أوغندا، نتيجة لدخول التليفون المحمول وزيادة استخدامه خلال العقود الماضية، وظهر ذلك بوضوح فى المناطق الريفية خصوصاً. وشاركت النساء فى هذه الثورة بمستوى كثافة مميز للغاية. ولفت الاستخدام التجارى للتليفون المحمول(*) انتباهنا، وخاصة فيما يتعلق بالسيدات اللاتى استفدن من هذه التكنولوجيا الجديدة، فأصبحن عاملات مستقلات لحساب أنفسهن فى هذا النوع من التجارة. ومن هنا، اخترت هؤلاء النساء المبتكرات القادرات على الاستجابة للأوضاع، لتكون المشاركات فى بحثى.

من الطبيعى تماماً، أن تثير مشاركة النساء فى مغامرة تجارية جديدة وفريدة، عديداً من التعقيدات. ورغم هذا، لا ينصب تركيزى على هذه التعقيدات، بل بدلاً من ذلك، على عناصر داخلية وجدت النساء خبرتها داخل أنفسهن، ربما تكون ناتجة عن تمثل صوراً ثقافية مبطنة عن النسائية(**) الأصلية[1]، وما قد يترتب على ذلك من تبنى أنظمة القيم تلك من أجل تمكين النساء والمساواة النوعية.

(*) فى الأصل business mobile payphone. (المترجمة).

(**) فى الأصل womenhood وتعنى الكاتبة بها هنا السمات التى تربط بين من تجمعهن صفة النساء. (المترجمة).

وسعيا إلى معالجة هذه التساؤل، وفى إطار التركيز واسع النطاق على النوع الاجتماعى والتمكين، الموضوع الذى يقوم عليه مشروع (جريس) الأوسع نطاقًا (GRACE)، يعتمد تحليلى على استجابات وخبرات ثمانى سيدات، عشن حياة عادية قبل عملهن فى مجال الاستخدام التجارى للتليفون المحمول. ومن خلال ملاحظة تلك السيدات عن قرب، بدأت فى إدراك أن العمل فى نشاط الاستخدام التجارى للتليفون(*)، بصرف النظر عن مزاياه الهائلة، قد يخلق توترات جديدة وفريدة فى نوعها، خاصة داخل حياة النساء الأسرية. وبدأت الاهتمام بتأثير الأدوار والعلاقات النوعية، المرسخة اجتماعيا وثقافيا، على قدرة المرأة فى تشغيل تجارتها فى خدمة المحمول بشكل فاعل، وتحقيق التمكين.

عندما فكرت فى العمل فى الاستخدام التجارى التليفون المحمول، والأحداث اليومية فى حياة النساء، كلماتهن وردودهن ومفاهيمهن والمعانى المنعكسة لديهن، إزاء حياتهن وخبراتهن المرتبطة بالعمل فى مجال الاستخدام التجارى للتليفون، اختلفت فى ذهنى صياغتى لمفاهيم التمكين والنوع الاجتماعى فيما يتعلق بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وخاصة فى ريف أوغندا. لاحظت أنه رغم تعلق التمكين أساسًا بارتفاع قدرة تحديد خيارات إستراتيجية فى الحياة، نتيجة تزايد فرص الحصول على الموارد والتحكم فيها، فإننا لا نعرف الكثير حول طبيعة الخيارات التى اتخذتها النساء، وكيف تؤثر خياراتهن أو تتأثر بالتفاوت النوعى الراسخ فى مجتمعاتهن المحلية.

وأثار هذا تساؤلاً: هل عمل النساء فى مجال الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، وما صاحبه من اكتساب النساء لفرص تجارية أو فرص عمل، يمكن ترجمته إلى تمكين ومساواة نوعيتين واضحتين، فى وضع تتم فيه إعادة إنتاج التفاوت النوعى وترسيخه. وأثار هذا رغبتى فى معرفة الدرجة التى يفوت التمييز النوعى على النساء مكاسبهن وقدرتهن

(*) فى الأصل telework: وهى يمكن أن تعنى العمل عن بعد بواسطة استخدام أجهزة إلكترونية، ولكن هذا المعنى بعيد عن مجال هذا البحث، والمقصود هنا يتعلق بتحقيق أرباح من بيع خدمات الأجهزة الإلكترونية أو المكالمات على النحو الذى أصبحنا نشاهده كثيراً فى أحيائنا الشعبية (المترجمة).

على إدراك التمكين الحادث، فى السياق الذى توجد فيه حاليا تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى ريف أوغندا، والنظر إلى هذا باعتباره سؤالاً مركزيًا فى الجدل المعاصر الدائر حول تمكين النساء وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

منهج البحث

أجرى هذا البحث فى محافظة هويما، وسط غرب أوغندا. وتقع على بعد ٢٠٠ كيلومتر من كامبالا، عاصمة أوغندا. وتعرف هويما بغلبة الريف فيها، ورغم أن وضع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فيها غير معلوم تمامًا، فإن خدمة شبكات التليفون المحمول تعمل بها بشكل جيد. ونتيجة لهذا، نشأت التجارة فى استخدام التليفون المحمول، وتشتغل النساء بها فى معظم الحالات.

أجريت فى سياق هذه الدراسة الكيفية مقابلات شبه مهيكلة مع ثمانى سيدات تم اختيارهن بصورة عمدية. ونظرًا لعدم الرغبة فى عرقلة معاملاتهن مع زبائنهن، تمت المقابلات الفردية، وأخذت صورة حوار بين الباحثين والنساء، على مراحل متعددة.

وحقق أسلوب إجراء المقابلات على مراحل عددا من المزايا. على سبيل المثال، سمحت الانقطاعات فى المقابلات المهيكلة بأن يحظى الباحثون باحترام المبحوثات وانتباههن الحقيقى، الأمر الذى أدى بدوره، ليس فقط إلى أن تكون الخبرة جديدة على النساء، ولكنها كانت أيضا خبرة ممكنة، إذ أسقطن فيها معنا كل المحظورات المحيطة بتبادل الحديث عن الخبرات الشخصية الحميمة المتعلقة بالنوع الاجتماعى والعمل.

وتشجعت النساء على التعبير عن أنفسهن فى حوار المقابلة الرسمية، وشرحن خبراتهن فى الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، وزال ما قد يطرأ على حديثهن من حواجز، إذ سمحت الحوارات غير الرسمية أثناء الاستراحات التى تخللت المقابلات، للنساء بأن يتدفقن ويعبرن عن أفكارهن وتأملاتهن ومشاعرهن وعواطفهن بحرية. وقصت علينا كل سيدة من النساء الثمانى قصة تخصها، وعلى نهاية المقابلات، لم نصبح فقط صديقات للمبحوثات، بل أيضًا من المقربات اللاتى يثقن فيهن.

ولغرض الدراسة فى هذا الفصل، سعى تحليلنا لنصوص المقابلات إلى تحديد التوترات بين احتياجات النساء أو رغباتهن من العمل، والضغوط الاجتماعية المعيقة التى يواجهنها. وألقت نقطة تركيزنا ضوءا على المعانى التى تنعكس لديهن عن هذا الجمع من القوى، فى علاقته بالمعنى الذى يحمله للتمكين.

النتائج

بصرف النظر عن البداية الشاقة، حققت السيدات الثمانى نجاحًا ماليا مدهشًا من خلال مشاركتهن فى التجارة فى استخدام التليفون المحمول. ونتيجة لارتفاع الدخل، أكدت النساء ليس على فقط على تقديم مساهمات أساسية فى تغطية النفقات الخاصة بالمنزل والمصاريف الشخصية وغيرها من النفقات، ولكن أيضًا ادخرن وأعدن استثمار الأرباح فى نشاطهن التجارى. ويعنى هذا الفصل بالأسلوب الذى جاء به رد فعل السيدات اللاتى تمت مقابلتهن بخصوص هذا النجاح المالى، وخاصة التأثير على سلطتهن ووضعهن داخل المنزل والمجتمع المحلى، ومشاعرهن الداخلية بخصوص تقديرهن لأنفسهن.

الحالة الأولى، قالت زيتونى[٢] إنها منذ بداية مساهماتها المالية الكبيرة فى سد احتياجات أسرتها، وأصبح لتجاراتها فى استخدامات التليفون اعتبارها، توقف زوجها الذى كان يسىء معاملتها، عن تأنيبها والإساءة إليها لفظيا: "شعرت أن زوجى يحترمنى، رغم أنه لا يظهر ذلك بشكل علنى. لقد توقف عن ضربى ولم يعد إلى الصراخ فى وجهى بصوت مرتفع كما كان يفعل من قبل". وفى المجتمع الأوسع، تشعر زيتونى أن وضعها ترقى نتيجة لوضعها المالى الأفضل؛ "ينظر لى أصدقائى وأقاربى باعتبارى امرأة مستقرة ماليا. وأنا سعيدة بأننى أستطيع إدارة حياتى الخاصة".

الحالة الثانية مونيكا، وهى أقدم فى تجارتها، ولكنها الأفقر مقارنة مع باقى السيدات اللاتى تمت مقابلتهن، كانت لها رؤية مختلفة. أكدت بشدة على عدم احترام مساهمة المرأة سواء كانت مالية أم غيرها، إذ إن وضعها وسلطتها داخل كل من المنزل

والمجتمع المحلى لا يمكن أن تتجاوزا عتبة معينة. واجتهدت فى شرح كيف أن السيدة المتزوجة لا تستطيع استغلال نجاحها المالى فى اتخاذ خيارات تؤدى إلى التمكين، دون أن تعرض للخطر زواجها ووضعها داخل المجتمع المحلى. تنظر مونيكا لنفسها باعتبارها سيدة من وضع رفيع سواء داخل المنزل أو المجتمع المحلى، ليس نتيجة مساهماتها المالية المتزايدة فى المنزل، ولكن بسبب استقرار زواجها، الذى يقدرها زوجها أثناءه ويوافق على عملها عن بعد: "أنا أعلم أننى أحمل كثيراً من التقدير فى المجتمع المحلى، وهذا لا علاقة له بمساهمتى فى سد حاجات الأسرة - وهى متواضعة فى كل الأحوال. أنا مقتنعة بما أنا عليه، ما دام زوجى يحترم ما أقوم به".

الحالة الثالثة أوليفر، وتعيش بمفردها، فلم يكن هناك ما يقال عن وضعها داخل المنزل. ورغم هذا، فقد شعرت بشدة أن النساء اللاتى يعملن فى استخدامات التليفون المحمول، بحكم مهنتهن، غير قادرات على تحقيق الاحترام كشخصية قيادية فى مجتمعهن المحلى بصرف النظر عن دخلهن الذى يتحسن.

> "أعلم أنى أكسب مالاً أكثر، وأعيش نسبيا بشكل أكثر راحة. ومع ذلك، أنا متأكدة أن عملى لا يكسبنى احتراماً بأى شكل كان. تجارة استخدام التليفون المحمول ينظر إليها باعتبارها فشلاً فى الحياة. بعض الناس يروننا عاملات بالجنس متنكرات. ورغم هذا أنا مرتاحة لما أقوم به، ما دام أنى أضمن لنفسى قوتى. فلن يملك الوضع والسلطة أن يدفعا للشخص منا إيجار منزله".

الحالة الرابعة سليفيا، لديها شعور أوليفر نفسه. تشعر أنها ليست مرتاحة، وقللت من شأن الحديث عن السلطة والوضع، حيث إنها لم تر نفسها قادرة على الحصول على أى منها سواء حالياً أو فى المستقبل.

الحالة الخامسة فلورنس، قالت إنها منذ بداية نجاحها الحالى فى تجارتها فى استخدام التليفون المحمول، لم يطرأ أى تغيير عليها، سواء فى وضعها أو فى علاقات السلطة فى المنزل. مثل مونيكا، كانت مقتنعة برؤية أن مساهمة الزوجة المالية لا تعنى شيئاً، ولا تتناسب السلطة التى تتمتع بها معها سواء فى المنزل أو فى المجتمع المحلى الأوسع. وذكرت:

"كانت تجارة استخدام المحمول فكرة جيدة، لقد راج بسببها محلنا للبقالة، وزاد مستوى معيشتنا بشكل عام. رغم هذا، موقف زوجي تجاهي لم يتغير. بقي محتفظا لنفسه بالقرارات الأساسية كلها، ويراقب نشاطي في الاستخدام التجاري للتليفون بإلحاح، ويسيطر عليّ إلى حد أنه رفض (السماح) لي بأن يكون لديّ تليفون محمول خاص، رغم أني أستطيع بسهولة شراء واحد".

الحالة السادسة فيونا، شعرت أنها عندما تركت وظيفتها المدفوعة الأجر، والتحقت بالعمل المستقل في الاستخدام التجاري للتليفون المحمول، تدهورت حالتها الاجتماعية. وتؤيد مشاعر أوليفر، إذ أكدت أن السلوك الأخلاقي لبعض صاحبات مشاريع الاستخدام التجاري للتليفون، تترك كثيراً من الملحوظات، الأمر الذي لا يوحي بالخير بالنسبة لمكانتهن ووضعهن على أي مستوى.

الحالة السابعة إيفا، ذكرت بحزن أنها قبل التحاقها بالعمل في مجال الاستخدام التجاري للتليفون، عندما كانت فقيرة ومتزوجة، كان الناس يحترمونها؛ ولكن عندما نجح مشروعها خسرت الزواج وكل ما يصاحبه من احترام. رغم هذا، واصلت العمل وأصبحت أكثر حرية، لم تشعر بحافز لاستغلال مشروع الاستخدام التجاري للتليفون لاتخاذ قررات تؤدي إلى تمكينها. وتقول إيفا متأثرة بضعف معنوياتها بسبب انفصالها عن زوجها، الذي نتج - كما يبدو - عن توترات نشأت عن عملها في مجال الاستخدام التجاري للتليفون:

"أنا حرة، أفعل وأسيطر على كل ما أكسب من تجارتي في استخدام التليفون. ورغم ذلك، فكل هذا لا معنى له دون زوجي. كيف تستطيعين الحديث عن وجودك أو تشعرين بالتمكن عندما تكونين مهجورة؟

هل حرية أن تفعلي ما تريدين تعني أي شيء عندما تعيشين وحيدة؟ يبدأ التمكين مع وجود زوج معك، على الأقل شخص تمارسين سلطتك معه".

الحالة الثامنة ميلين، كانت تتفق في الرأي مع من قلن إن اشتغالها في الاستخدام التجاري للتليفون طور وضعها على كل المستويات. وذكرت أن حصولها

على زوج، الذى ترجعه إلى تحسن أوضاعها المالية، زاد من ثقتها فى نفسها، وأعطاها قوة داخلية باعتبارها امرأة متزوجة. بالاختلاف مع معظم زميلاتها، تشعر ميلين أن الحصول على استقرار مالى، وليس الزواج، هو نقطة البداية للتمكين. ورغم ذلك تعترف، بأن التوترات بين النوعين لا تفضى إلى عمليات عمل ناجحة فى الاستخدام التجارى للتليفون. وذكرت:

"يعرف زوجى قيمة عملى فى الاستخدام التجارى للتليفون، ولا يشتكى من غيابى الطويل عن البيت، وظهورى فى المجال العام. ويعطينى هذا قوة داخلية وثقة، ومرونة تمكننى من مواصلة مثل هذا العمل، على الرغم من أنى مسلمة، والدين الإسلامى لا يتساهل مع مثل هذا العمل، خاصة لسيدة متزوجة. وفى الحقيقة، فعملى فى مواجهة مثل هذه التحديات يجعلنى أشعر أنى قوية".

التليفون المحمول: هل هو أداة تمكين للمرأة وللمساواة النوعية، أم مجرد حصول على عائد اقتصادى؟ ولا سيدة واحدة من بين المشتغلات فى الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، بصرف النظر عن تباينات ظروفهن الاجتماعية الاقتصادية، يمكن وصفها بأنها مستقرة ماليا قبل مساهمتها بالعمل فى مجال التليفون. ورغم هذا معظم النساء كن متزوجات، فإن أكثرهن لم يكن يحصلن من أزواجهن على دعم مناسب سواء من الناحية المالية، أو غيرها. ومثل زوجاتهم، لم يكن الأزواج أقوياء من الناحية المالية، ولا يكادون يستطيعون الاستجابة إلى أدوارهم ومسئولياتهم التقليدية، والتوقعات التقليدية المرتبطة بهم كمعيلين للأسرة.

وعلى هذه الخلفية، تم إنشاء "قرية" التليفون المحمول فى توقيت ملائم للغاية بالنسبة للفقيرت المتعثرات. فعلى الرغم من صعوبات الدخول فى مشروع جديد، بما فى ذلك جمع رأس مال كافٍ لشراء جهاز التليفون، وضمان وجود مكان مناسب لممارسة العمل، والحصول على موافقة الزوج، والافتقار إلى الخبرة التجارية، فإن المشاريع الوليدة ازدهرت. وتحققت أرباح نقدية كبيرة بالمعيار المحلى، فى وقت قياسى، وروت النساء عما طرأ من تحسنات فى مستويات معيشتهن، سواء فيما يتعلق بشخوصهن، أو أسرهن.

وكان العمل فى الاستخدام التجارى للتليفون المحمول من المشاريع الرائجة التى تعجب النساء فى تميزها عن باقى أشكال التجارة الأخرى. ويرجع هذا جزئيا إلى الارباح النقدية المباشرة، وأنها توفر للمشتغلات فى هذا المجال عنوانًا ماديًا وإلكترونيًا، وهذا يترك أثره فى تخفيف عزلتهن الاجتماعية والمادية. وفوق هذا، يتطلب العمل بهذا المجال منهن أن يكن حسنات الملبس ومستعدات لاستقبال الآخرين، وأن يتفاعلن بحرية مع عملائهن المحتملين أو الفعليين.

قدرة النساء على تأسيس مشروع للاستخدام التجارى للتليفون وتشغيله بنجاح، وتحقيق مكاسب مالية والتحكم فيها، أسهمت بصورة أساسية فى تحسين مستوى الرفاهية، سواء لأنفسهن أو عائلاتهن. وعندما تحدث عديد من النساء حول مستقبل مشاريعه فى الاستخدام التجارى للتليفون، تدفقن فى التعبير عن الشعور بالقوة الداخلية، والإحساس القوى بحرية الحركة والقدرة على اتخاذ قرارات مصيرية، بما يعنيه ذلك أنهن فى وضع أفضل بالنسبة للتحكم فى مصيرهن.

"يقول بعض الناس إن هذا النمط من المشاريع التجارية يفشل، والأهم، أننا سوف ننافس أنفسنا، ولا يمكننا الاستمرار فى نشاطاتنا. وبالطبع لا يمكن حدوث هذا، طالما يتزايد الطلب على الاستخدام التجارى للتليفون يوميًا. وسننتشر حتى نكون مراكز للاستخدام التجارى للتليفون. (أوليفر).

وربما نفترض أنه نتيجة لزيادة فرص الحصول على الموارد المالية والتحكم فيها، بفضل انتعاش أنشطتهن التجارية، ستتوفر للنساء إمكانية التغلب على واقع ضعف موقعهن الذى يفرضه النظام الأبوى المهيمن، والتبعية الاجتماعية والاقتصادية التى يعانين منها سواء على مستوى المجال المنزلى، أو مجتمعهن، ولكن النساء يخلقن بعملهن فى الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، فرصًا جديدة يمكنهن استغلالها أساسًا لتمكين أنفسهن، عبر تحدى البنية الاجتماعية التى تضعفهن، وخاصة فى مستوى الأسرة، ولكن يكاد ألا تكون بينهن سيدة واحدة، قامت بمجرد محاولة لاستغلال اتساع فرصها، لتأكيد نفسها كصانعة للقرارات الأساسية داخل أسرتها.

لم تشر ولا واحدة من النساء الثمانى اللاتى قابلناهن إلى أن وضعها الجديد كمساهمة فى تمويل الأسرة، كان حافزًا لها مثلاً للتأثير فى الأدوار والمسئوليات والهويات النوعية، وحتى تصور الأنشطة النوعية الروتينية، أو بداية إحداث تغيير فيها. وحتى مع المتاح من تزايد الفرص والسلطة فى سلوكهن، لم يبد منهن اتخاذ أى تصرف أو سلوك عكس الوضع النوعى القائم حاليًا لهيمنة الرجال على الأسرة، اللهم إلا خلسة فقط.

عندما سئلن حول تأثير نشاطهن التجارى، تضمنت بعض إجابات النساء أن أزواجهن أصبحوا يضربونهن أو يسيئون إليهن لفظيًا بدرجة أقل فى معظم الأحيان، المشاعر أو الافتراضات المتعلقة بالاحترام المتزايد من جانب أزواجهن، وتعمدن إعلان قيمة أقل لأرباحهن أمام أزواجهن، وتجنيب ادخارات سرية، وإعادة استثمار الأرباح فى مشروعات تجارية مثل شراء قطعة أرض، أو عدد من البودا بودا (دراجات بخارية تستخدم عادة فى النقل لمسافات قصيرة)، أو مواش ومتاجر تجزئة، بين جهود أخرى. تحدثت بعض النساء عن مساعدة أقارب لهن، وأنهن أصبحن قادرات الآن على استخدام وسائل منع الحمل سرًا، التى يصعب حتى الآن الحصول عليها بسبب تكلفتها المالية (حتى ينظمن قدرتهن على الحركة).

وبالنسبة لقليل من النساء اللاتى اقترين من التمتع تماما بالتأثير المميز والمحرر لعلمهن فى مجال الاستخدام التجارى التليفون المحمول، مثل التخلص من العمل المنزلى الشاق، والبقاء فى مقر عملهن لفترات طويلة، حتى المساء، إرتدائهن ملابس أكثر أناقة، والتفاعل بحرية مع الزبائن الحاليين أو المحتملين، والتحكم فى أرباحهن، والأهم من كل ذلك أن العواقب تميل لأن تكون وخيمة إذا حاولن أن يصبحن صاحبات قرار رئيسى فى المنزل. ونتيجة للتهديد (الحقيقى أو المتخيل)، بأن تضعف باستمرار هويات الأزواج كرؤساء للأسرة بحكم الأمر الواقع، ولا تعود لسابق عهدها، بسبب زيادة الفرص أمام زوجاتهن. تتزايد التوترات بين الأزواج والزوجات. ولا يستبعد أن يترتب ذلك عنفا جسديا ونفسى فى كثير من الأحيان. بل وأصحبت حالات الانفصال والطلاق التى وقعت نتيجة لمنازعات لم تجد لها حلاً، نشأت عن اشتغال الزوجات فى الاستخدام التجارى التليفون، وأصبح هذا أمرًا مألوفًا فى حالة النساء اللاتى اتخذن هذه السبيل.

النسـاء التى مـررن بعنــف مرتبط بالنوع الاجـتمـاعى أو فـشـل الزواج، بصـرف النظر عن الإحسـاس بالمراة والإحباط، ينظرن إلى وضعـهن باعتبـاره تكلفة لا يمكن تجنبها للفرصة التى أتيحت لهن من عملهن فى مجال الاستخدام التجارى للتليفون. واختـارت كثيرات مواصلة نشاطهن التجارى كميكانيزم للتأقلم سـواء من الناحيـة الاقتصادية أو النفسية. ونتيجة لحالتهن الزوجية الجديدة كعازبات، ذكرن أنهن أصبحن أقل حصاراً بالالتزامات الأسرية ومن ثم قادرات على تشغيل مشروعهن بحرية، بما يترتب عليه كسب مزيد من المال فيما بعد:

"يتساوى إن ضحيت بزواجك ونجحت فى عملك فى الاستخدام التجارى للتليفون، أو أعطيت الأولوية للزواج، ويتساوى الاستمرار فى مستوى نجاح متوسط أو الانهيار التام" (أوليفر).

ورددت إيف وجهة نظر أوليفر عندما ذكرت:

"غياب زوجي الطويل عن البيت، قبل انفصاله عنى، أعطى عملى، الذى تدهور نتيجة لعدم استقرارى الأسرى، دفعة كان فى أشد الحاجة إليها. أمضيت وقتا أطول فى كشك التليفون، الذى استعاد زبائنى القدامى، بالإضافة إلى جذب أخرين جدد؛ وازدهر مشروعى الذى أصبح حبل النجاة لى الآن".

شعرن أن حصار الالتزامات الأسرية لهن أقل، ومن ثم أصبحن قادرات على التعامل مع نشاطهن التجارى بحرية، الأمر الذى تترتب عليه فيما بعد زيادة ما يحصلن عليه من مال. ورغم هذا اعترفت تلك النساء، أن ذلك كان على حساب شعورهن بمكانتهن الاجتماعية سواء فى المنزل أو فى مجتمعهن على نطاق أوسع. وكان التفكير السائد لدى النساء جميعهن، أن المكانة الاجتماعية تأتى من الزواج، أيا كان مدى استقرار الزواج، كما أوضحت ذلك إيفا ومونيكا وفلورنس.

تحليل النتائج

ما زالت الرؤى متضاربة حتى اليوم حول تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وتمكين النساء. فمع انتشار تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، خصوصًا فى الأماكن الريفية، زادت التخوفات من استمرار وضع تهميش النساء رغم هذا التطور، وإن اتصل بمنطقة يمكن للنساء المشاركة فيها بفاعلية، إذا لم تعالج قضية الأدوار النوعية الراسخة اجتماعيا وثقافيا، إذ إنها تلعب قاسما مشتركًا فى تشكيل قدرة النساء والرجال على المشاركة على قدم المساواة (Sharma 2001).

ولاحظ باحثون آخرون أيضًا، أن النساء إذا تمكن من استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى أغراضهن الخاصة، يكتسبن معرفة متزايدة واعتزازًا بأنفسهن: ويبدو هذا صحيحًا فى سياقات اجتماعية وثقافية مختلفة على مستوى العالم. وتتضمن عملية التمكين احتمالات زعزعة العلاقات النوعية القائمة بصورة ما (Hafkin 2000; Gurumurthy 2004). ووفقا لهافكين، ستستفيد الأفريقيات من مزايا هذه الوسيلة، وستسحبها على السياق الاقتصادى والاجتماعى والثقافى، وبهذا يمكّن أنفسهن. ورغم ذلك ذكرت أن التكنولوجيا الجديدة ليست محايدة بالنسبة للنوع الاجتماعى، وأن النساء إذا لم يقبضن على الفرص، ستتغلب القوى المجتمعية، وسيتركهن هذا التطور فى وضع أكثر سوءا من ذى قبل.

وهكذا من الواضح، أن تأثير تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات على تمكين النساء يتطلب اتفاقًا واسعًا على فهم ترجمة معنى التمكين، التى تتباين فى مختلف السياقات. وعلى سبيل المثال، فوفقا لمنظمة (منتدى المرأة) Kvinnoforum السويدية لا توجد للتمكين تعريفات محددة؛ حيث التركيز الذى ينبغى توجيهه للتمكين لا يأتى من أى شخص آخر، بل يبدأ من الداخل (cited in Alsopa and Heinston 2005: 41). وفى هويما، المجتمع الذى يهيمن عليه الرجال، لم تظهر مفاهيم تمكين المرأة والمساواة النوعية إلا أخيرًا، وما زالت غير محددة بوضوح. وترتب على هذا غياب الاتفاق الواسع بين المشتغلات فى مجال الاستخدام التجارى للتليفون اللاتى أجريت معهن المقابلات حول

مفهوم التمكين. فالبنسبة لنساء مثل زيتونى، وأوليفر، وفيونا، وسيلفيا، ظهرت آثار محررة فى حد ذاتها عن مشروع الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، فى اكتسابهن قوة اقتصادية، واستقلالية، وفرصة نادرة لكسر القيود المفروضة عليهن بموجب قواعد السلوك السائدة فى المجتمع. وبصرف النظر عن التوتر علاقة النوع، والقطيعة التى تلت ذلك من أزواجهن، التى رأتها بعض النساء نتيجة لعملهن فى مشروع التليفون المحمول، إلا أنهن بقين حرات الحركة، وواصلن العمل ضد كل الصعاب.

زيتونى على سبيل المثال، لم تشعر فقط بالتحرر الاقتصادى، ولكنها تتمتع بتمكن يرجع لاحترامها المتزايد فى المجتمع، الأهم لقدرتها على إدارة حياتها الخاصة. أوليفر وفيونا وسلفيا، بصرف النظر عن التباين فى حالاتهن الزواجية، اشتركن فى الشعور نفسه (التمكن)، بمعنى أنهن لم يشق عليهن اكتساب السلطة أو المكانة، الأمر الذى يرتبط فى مجتمعهن بالنساء اللاتى يعشن علاقات زوجية مستقرة. ولم تشق عليهن القواعد المتوقعة للسلوك، مثل أن يكن زوجات محترمات، ولا يغامرن بالخروج للعمل على النحو الذى يحترمه المجتمع، الأساس الذى تأخذ منه نظيراتهن من نساء المجتمع مكانتهن الاجتماعية. ما كان يشق على هؤلاء النساء هو الحصول اقتصاديا على قوتهن، وليس المكانة الاجتماعية، التى لن تأتى لهن بالطعام، ولن تدفع عنهن الإيجار. وكانت حالة ميلانى لافتة للنظر، إذ أرجعت زواجها إلى تحسن أحوالها المالية. وربطت التمكين مع واقع أن زوجها داعم لها، وأنها قادرة على "العمل بخلاف" التوقعات الاجتماعية والدينية، فيما يتعلق بسلوكها كامرأة متزوجة.

وبالنسبة لتلك النساء، كن ينظرن لمعنى الحرية من العوائق والبنى المفروضة عليهن من الأبوية السائدة، باعتباره وضع تمكين. وظلت الطريقة التى يستقبلهن بها المجتمع، وخاصة من وجهة النظر الأخلاقية أو الدينية، لا تعنيهن طالما يواصلن تشغيل مشروعهن للاستخدام التجارى لخدمات التليفون، وحيث إنه فى النهاية مثمر من الناحية الاقتصادية.

ورغم هذا، فبالنسبة لأخريات من صاحبات مشاريع الاستخدام التجارى للتليفون، لم يكن التمكين مرتبطًا بتغيير ميزان السلطة فى مجال الأسرة. كانت وجهة نظر مونيكا وفلورانس وإيفا، أن الاستخدام التجارى لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات الحديثة (التليفون المحمول) والمكاسب الاقتصادية الناتجة عنه لم يكن لها تأثير واضح على العلاقات النوعية الأسرية. معنى التمكين لديهن، مرتبط بشدة مع وضعهن الاجتماعى، الذى يترتب على الزواج. وقد ينظر فعليًا إلى النجاح فى التجارة من دون الزواج المستقر، فى سياق القيم الاجتماعية السائدة، على أنه مصدر للاتهام.

هذه الفئة من النساء، قبل المشاركة فى مشاريع الاستخدام التجارى للتليفون، كن واعيات بهذا التفكير السائد فى المجتمع. وكن ملمات بالتكلفة الاجتماعية للمغامرة بالعمل خارج البيئة المنزلية، خاصة كمشغلات لمشروع استخدام التليفون تجاريًا على جانب الطريق، إذ لا ينظر إليه كمشروع له تقديره بأى شكل، وخاصة للنساء، حتى لو كن يشتغلن لحساب أنفسهن. وبعبارة أخرى، تعلم النساء أنه بصرف النظر عن كسب معظم المال الضرورى من خلال مشروع الاستخدام التجارى للتليفون، إلا أنهن حتما لن يجنين من ذلك وضعًا اجتماعيًا، طالما ظل هناك عدم توافق بين طبيعة عملهن والتفكير الراسخ فى المجتمع حول فضيلة المرأة المدجنة[٣]. وأصبح أمامهن خيار منطقى، وإن كان صعبًا، بين الفقر المدقع مع منزلة كريمة، والوضع المالى الجيد بلا فضيلة. واخترن جميعا، فيما عدا مونيكا، الاختيار الثانى بوضوح، وواصلن تجارتهن بقوة.

ومع ذلك، كانت نساء هذه الفئة من المشتغلات فى مجال الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، حريصات إلى حد بعيد على أن ينظر إليهن على أنهن يعملن فى الإطار الثقافى القائم. على سبيل المثال، سعين جميعهن إلى موافقة الزوج أو تعاونه قبل الارتباط بالمشروع التجارى. ويمكن أن ينظر إلى ذلك باعتباره إستراتيجية، على الأقل على مستوى التفاعل الشخصى، لإظهار أنهن لسن متمردات ضد سلطة أزواجهن خاصة، أو ضد التفكير القائم على فضيلة المرأة المدجنة عامة، الذى لا يتسامح مع مشاركتهن فى مثل هذا العمل. وممانعة هؤلاء النساء فى استغلال نجاح مشروعهن -

لإثبات ذاتهن داخل بيوتهن على الأقل، وتحدى موازين القوى القائمة – يمكن النظر إليه بالمثل كمحاولة لأن يكون أداؤهن كالنساء الصالحات ضمن الإطار الاجتماعى الثقافى السائد. وفى الوقت نفسه، بالنسبة لميلانى، فمع رؤيتها سبب زواجها فى نجاح مشروعها التجارى، وقوتها الداخلية فى "العمل بخلاف" عقيدتها الإسلامية، مع دعم زوجها لها، فقد خلقت داخل منزلها وضعًا يختلف بوضوح، يرتكز على طابع للعلاقات النوعية مختلف عما لدى النساء الأخريات.

مستخدمات التليفون تجاريا اللاتى ينشأ معنى المكانة الاجتماعية بالنسبة لهن من الزواج، قلن بوضوح إنهن مدركات لحدودهن، بصرف النظر عن استطاعتهن تأسيس مشروع تجارى ناجح لاستخدام التليفون وتشغيله، والإمكانات التى يحملها ذلك بخصوص اتساع الخيارات أمامهن. وإذا ما تجاوزن "الحدود"– ويقصدن بذلك استغلال الخيارات المتزايدة لإعادة تحديد أوضاعهن، وتحدى موازين القوى القائمة فى علاقات النوع – فهذا سيضع عليهن تكاليف اجتماعية مهولة. ولهذا لم يكن اتخاذهن قرار عدم استغلال فرصهن الجديدة لتحويل علاقات النوع القائمة وتعزيز المساواة النوعية، يعنى أنهن يخترن تقليل قيمة أنفسهن بإدامة وضعهن البائس كضحايا لغياب المساواة النوعية الحالى. ويمكن النظر لسلوك هذه الفئة من النساء، كمحاولة منطقية للعمل بنجاح فى سياق تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات السائد، وفى الوقت نفسه الحفاظ على زواجهن، الذى يحصلن من خلاله على المكانة والاحترام كنساء. غنى عن القول، إن ما تفعله هذه النساء هو تجنب تكلفة اجتماعية ستنشأ حتما إذا سعت ريفيات أوغندا إلى تمكين أنفسهن، بدلاً من تحملها.

بصرف النظر عن الحرص على أن تكون التصرفات داخل حدود أفكار فضيلة المرأة المدجنة، وعلى إدامة زواجهن والمكانة الاجتماعية المرتبطة به، إلا أن الآثار الكلية الناتجة عن الاختيارات الجديدة لمشاريع التليفون المحمول لتلك النساء، من خلال الإبقاء عليها غير مستغلة، تعمل على دفع عدم المساواة فى علاقات النوع القائمة حتى الآن، إلى موقع الصدارة فى المجتمع بصورة صارخة. ورغم هذا يمكن النظر إلى هؤلاء باعتبارهن

يسعين إلى التمكين، الذى يعنى بالنسبة لهن العمل واكتساب الاستقلال الاقتصادى، بينما فى الوقت نفسه كسبن احترام أزواجهن وأسرهن والمجتمع فى سياق تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات القائم فى سياق ريف أوغندا.

استنتاجات

أوضحت الدراسة أن فهم آثار استخدام أشكال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات مثل التليفون المحمول على تمكين المرأة يتطلب نظرة عميقة إلى تفسير معنى التمكين، الذى قد يتباين بين أفراد فى سياقات متشابهة. يفهم التمكين على نطاق واسع باعتباره قدرة الفرد على صناعة خيارات إستراتيجية فى حياته فى سياق لم يكن متاحًا فيه من قبل الحصول على هذه القدرة. وبعبارة أخرى، ينظر إلى القدرة على الاختيار، باعتبارها شيئًا أساسيًا فى مفهوم السلطة. وقبل التحاق النساء اللاتى أجريت معهن المقابلات بمشاريع الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، كن فى حاجة شديدة للنقود، وهو وضع لا يحقق التمكين فى الأغلب. بمعنى أنه يحد من فرص وصولهن إلى الموارد والتحكم فيها، وقدرة الاعتراض على توازنات القوى النوعية القائمة فى أسرهن والتحكم فى مصير حياتهن.

وسيكون الافتراض المنطقى أن تحقيق النساء لمكاسب اقتصادية ضخمة من أعمال التليفونات الخاصة بهن، سيقضى على العوامل التى تحول دون تمكينهن، ويعبد الطريق إلى تمكينهن على النحو المفهوم بالنسبة لنا. ورغم ذلك، فهذا ليس صحيحًا بالضرورة، بمعنى أن التمكين لدى النساء يتحدد أو يصاغ من خلال عوامل متعددة، تشمل ظروفهن الفردية وواقع كل منهن، والحاجات والطموحات والسياق الاجتماعى الذى يعملن فيه.

ونتيجة لنجاح مشاريعهن، وجدت النساء أنفسهن فى أوضاع اجتماعية مختلفة لم يتوقعنها حتى تلك اللحظة. غالبية الأزواج، بمن فيهم الذين وافقوا بشكل مباشر أو ضمنى على عمل زوجاتهم بالتجارة، لم يستطيعوا التماشى مع واقع نجاحهن. ولم يرحب هؤلاء الرجال بقدرة النساء على توليد دخل والتحكم فيه، وخروجهن المادى

والاجتماعى الذى تمتعن به، وغيابهن الطويل عن المنزل. ونشأت فى علاقات النوع توترات حتمية، وصلت بالنسبة لبعض النساء إلى مستويات الأزمة. والطريقة التى استطاعت النساء أن تتعامل من خلالها مع حالاتهن الخاصة، أو حاولن، حددت معنى التمكين بالنسبة لهن. وفى حين تشمل ساحة القتال بالنسبة لأكثر النساء البيئة المنزلية والاجتماعية، شعرت كل من مونيكا وميلانى بالتأييد الكامل عبر علاقتهما مع زوجيهما. الفرق بين هاتين السيدتين، أن مونيكا استوعبت التوقعات الاجتماعية المتعلقة بسلوكها كسيدة متزوجة ووضعت علاقتها مع زوجها فى إطار تلك العوامل المحددة. أما ميلانى من ناحية أخرى، فوجدت فى علاقتها بزوجها القوة لاتخاذ موقف ضد تلك التوقعات الاجتماعية.

وتعاملت السيدات المنفصلات عن أزواجهن جيداً دون دعم من زوج، أو سيطرن وواصلن بمرونة تشغيل مشاريعهن التجارية بنجاح، ونظرن إلى أنفسهن على أنهن فى وضع تمكين. والنساء اللاتى حررن أنفسهن من معوقات القواعد المجتمعية القائمة للسلوك، واصلن ضد جميع الموانع التى تعوق تشغيل مشاريعهن التجارية فى مواجهة مع المواقف المجتمعية السلبية، ونظرن إلى أنفسهن أيضاً فى موقف تمكين قوى. ومنظمات الأعمال اللاتى لم يخترن تعريض زواجهن للخطر بأن تنازلن عن الاستفادة من المزايا الاقتصادية التى حصلن أخيراً عليها فى تحديد أهدافهن، أو الدخول فى مساومة أو مفاوضة من أجل سيطرة متزايدة على موارد الأسرة الرئيسية، أو معارضة وضع غياب المساواة النوعية القائم، بما يتضمنه ذلك من سلطة صناعة القرار، شعرن أيضاً بإحساس قوى بأن التمكين يأتى من مكانتهن الاجتماعية الجيدة باعتبارهن سيدات متزوجات بصرف النظر عن العمل عن بعد، الذى لا يتلاءم مع أفكار فضيلة المرأة المدجنة.

وبينما لا شك فى أن صاحبات مشاريع التليفون المحمول عرفن الشعور بالتمكين، إلا أن ذلك كان على مستوى فردى، ولم يؤد بالضرورة إلى تحول فى البنى الاجتماعية الأبوية المقيدة للنساء، وفى المساواة النوعية، الأمر الذى بقى دون مساس فى تلك المجتمعات المحلية. ويتعارض هذا بالتأكيد مع فهمى لمعنى التمكين، مما يجعلنى أشعر بحاجة إلى بحث شامل حول مدى استمرار التمكين الذى عرفته صاحبات مشاريع التليفون.

الهــوامش

(١) المرأة الأصيلة يجب أن تتزوج، وتتوفر على خدمة زوجها، بما يتضمن الخدمة الجنسية، وأن تصبح أمًا، فتأتى بالأطفال وترعاهم. وعليها تلبية واجبات خاصة داخل الأسرة المعيشية، إذ تعنى بإطعام الأسرة وتقوم بأعمال الرعاية الضرورية الأخرى. وينبغى أن تكون طيعة لزوجها وحريصة على رغباته، وأيضا أقاربها الذكور والرجال الآخرين فى مجتمعها. ولا تكون صانعة القرارات فى الأسرة. من أجل مزيد من التفاصيل انظر ((Kyomuhendo Bantebya and Keniston McIntosh (2006: 79)).

(٢) الأسماء المستخدمة هى الأسماء الحقيقية للمشاركات فى البحث.

(٣) فيما يتعلق بنموذج الفضيلة - المنزلية، انظر (Kyomuhendo Bantebya and Keniston McIntosh (2006: 65-85)).

المراجـــع

Alsopa, R. and N. Heinston (eds) (2005) 'Measuring empowerment in practice; structuring analysis and framing indicators', World Bank Policy Working Paper 3510.

Gurumurthy, A. (2004) Gender and ICTs Overview Report, Bridge Institute of Development Studies.

Hafkin, N. (2000) 'Convergence of concepts; gender and ICTs in Africa', in E. M. Rathgeber and

E. O. Adera (eds), Gender and the Information Revolution in Africa, Ottawa: IDRC.

— (2004) 'Globalization and the economic empowerment of women; defining and building a gender responsive information society in the ESCAP region', UNESCAP.

Kyomuhendo-Bantebya, G. and M. Keniston McIntosh (2006) Women, Work and Domestic Virtue in Uganda (1900–2003), Oxford/ Kampala: James Currey/ Fountain Publishers.

Sharma, C. (2001) 'Using ICTs to create opportunities for marginal- ized women and men; the private sector and community working together', Paper presented at the World Bank, Washington, DC.

(الباب الرابع)

خلق واقع جديد

الفصل الخامس عشر

مهنيات كينيات تمكن من النجاح
فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

أوكواش أباجى؛
أوليف سيفنا؛ سالومى أوور أومامو

هدفت الدراسة التى يعتمد عليها هذا الفصل، إلى بحث كيفية وصول المهنيات إلى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ومدى تخصصهن فيه. وقد أتيح للباحثين والمبحوثات مناقشة قضية النوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى كينيا، من خلال استخدام منهج المقابلات ذات النهاية المفتوحة والتفاعلية والمعمقة. واستخدمت حلقات المناقشة الجماعية المركزة، واللقاءات المعمقة للتوصل إلى "الآراء الشخصية" للمبحوثات، وخبراتهن وتفسيرهن الخاص لتلك الخبرات. واستكمل كل هذا باستعراض الأدبيات حول الموضوع.

وكانت المقدمة التى تأسست عليها الدراسة، أن أشكال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات أصبحت قوة فى تحول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على مستوى العالم (Hudson 2001; Thioune 2003: 1). ولكن حتى مع هذه الإمكانية، ظهرت قضية الإدماج والاستبعاد الاجتماعى، كبعد يتضمن مجموعة قضايا مهمة، وبما أننا

ماضون فى القرن الحادى والعشرين، تحتاج هذه القضايا إلى مزيد من البحث والجدل. وبشكل خاص، يوجد احتياج للتدخلات العملية، وسيلقى هذا مزيداً من الضوء على الارتباط بين استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ومفهوم التنمية البشرية عموما، وتمكين النساء خصوصاً (UNDP 2002; Rathgeber 2000; Adeya 2001). ونعد الشيء الأساسى بالنسبة لهذا الفصل والبحث، هو التوصل لفهم أوضح لعلاقة هذه التكنولوجيا مع تمكين النساء.

تعتمد الدراسة على مهنيات تم اختيارهن بطريقة عمدية، يعملن بمهن مرتبطة بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، إما مالكات، أو مديرات تنفيذيات، أو فنيات، أو موظفات فى منظمات وشركات مختلفة فى نيروبى، كينيا. ويشير الجدول ١٥/١ إلى الخلفية التعليمية والتدريب والموقع الحالى لمبحوثاتنا.

وكما يشير الجدول ١٥/١، حصلت مبحوثاتنا على تعليم وتدريب جيدين، وشغلن مراكز رفيعة فى منظماتهن أو مؤسساتهن. وبالنسبة للتعليم حصلت ثمانٍ منهن على درجة البكالوريوس، وأربع يحملن دبلومات برامج تعليمية حول تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، تتضمن علوم الكمبيوتر، وأنظمة المعلومات، وتكنولوجيا المعلومات، وتصميم المواقع على الإنترنت. ودرسن جميعا فيما عدا اثنتين فى جامعات كينية (جامعة موى وجامعة جومو كينياتا للزراعة والتكنوولجيا) وجامعة كينيا الوطنية للتكنولوجيا المتعددة، وتحمل إحداهن بكالوريوس هندسة الكمبيوتر من جامعة أمريكية، حيث درست وعملت لبعض الوقت فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وكانت دبلومات الدراسات العليا التى حصلت عليها المهنيات الأربع من جامعة نيروبى فى مجال التسويق وإدارة الأعمال بوجه عام.

(جدول ١/١٥) المعلومات الأساسية للمبحوثات

م	المعلومات الأساسية عن التعليم	التدريب المهنى	المنصب الحالى
١	بكالوريوس الآداب فى علم الاجتماع.	دورات فى التسويق.	مدير إدارى.
٢	مؤهل فى علوم الكمبيوتر – مجال التسويق.	دراسات فى حوكمة الشركات، مؤشر الجماعية، خدمة المستهلك، دورات فى التسويق.	مدير تنفيذى.
٣	درجة أنظمة إدارة المعلومات.	برمجة الحاسوب، إدارة، تحليل وتصميم النظم، جافا، مدير حزم الحاسوب.	شريك إقليمى.
٤	درجة علوم المعلومات (شعبة تكنولوجيا المعلومات).	حزم الحاسوب.	مدير أنظمة.
٥	بكالوريوس التجارة (شعبة علوم إدارية).	إدارة الأنظمة وقواعد البيانات، المحاسبة.	مدير مساعد.
٦	بكالوريوس تجارة، ودبلوم فى دراسات الحاسوب.	حزم الحاسوب.	مدير مساعد.
٧	درجة بكالوريوس العلوم.	تكوين الشبكات، إدارة الأنظمة، وتكنولوجيا المعلومات.	مدير أنظمة.
٨	دبلوم فى أنظمة المعلومات.	سكرتارية.	موظف دعم تكنولوجيا المعلومات.
٩	درجة بكالوريوس تجارة (قسم محاسبة).	الروابط الإلكترونية – مايكروسوفت أوفيس – قواعد البصريات – شهادة برامج دورات فى المحاسبة.	مساعد دعم التطبيقات.
١٠	درجة التسويق – دراسات التكنولوجيا فى الإدارة.	حزم الحاسوب والبرمجة.	مدير إدارة.
١١	دبلوم فى تكنولوجيا المعلومات.	برمجة الحاسوب وإدارة الأنظمة.	موظف مساعد/ فنى.
١٢	دبلوم تصميم المواقع.	علوم الحاسوب والبرمجة.	مصمم ومطور برامج.

وهكذا، تشغل تلك المهنيات مناصب فنية وإدارية رفيعة المستوى فى منظماتهن. بعضهن تحتل مواقع فى مجالس إدارة منظمات وطنية ودولية مختلفة، على سبيل المثال هيئة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة (Internet Corporation of Assigned Names and Numbers - ICANN)، وهى هيئة تعمل على صياغة سياسات الإنترنت، ومعهد المدراء بكينيا ((Institute of Directors of Kenya (IODK)).

الفجوة التعليمية بين النوعين فى كينيا

لا أدل من الرسائل الواضحة التى تضمنتها إحصائيات التعليم المتاحة عن الفترة التى تلت الاستقلال فى كينيا عام ١٩٦٣، بالنسبة للملتزمين بقضايا المساواة بين النوعين فى التنمية عمومًا، وفى التعليم خصوصًا. فقد استمرت فجوة التعليم متواصلة وظاهرة فى قطاعات التعليم الفرعية (Chege and Sifuna 2006; Abagi 1997; Abdi and Cleghorn 2005; UNESCO 2006). وفى العقد الأخير، رغم أن نسبة الالتحاق الصافية (NER) فى التعليم الابتدائى كانت ٥١٪ للأولاد، و٤٩٪ للبنات، فإن الإحصاءات الإقليمية تظهر التفاوت بين النوعين فى كل محافظة من المحافظات الثمانى على حدة. على سبيل المثال، فى المحافظة الشمالية الشرقية فى الفترة ١٩٩٠ و ٢٠٠١ كانت النسبة ١٦,٥٪ للأولاد، و٩,٨٪ للبنات. وفى محافظة نيروبى، كانت النسبة ٤٣,٣٪ للأولاد، و ٤٢,٢٪ للبنات.

وفى الفترة نفسها، بلغت النسبة الصافية للالتحاق بالمدارس فى التعليم الثانوى ٥٢٪ للأولاد و٤٧٪ للبنات. وقدر أن الملتحقين بالتعليم الثانوى يقابل كل ١٠٠بنت ١١٨ ولدًا. وتتسع الفجوات النوعية أكثر فى المحافظات؛ الشمالية الشرقية، وريفت فاللى، وكوست. حيث تأثير الفقر أكبر والعوامل الثقافية الدينية ضد إلحاق البنات بالمدارس تعمل بصورة أوضح. على سبيل المثال، حتى بعد إعلان مجانية التعليم الابتدائى عام ٢٠٠٣، بقيت النسبة الإجمالية للالتحاق بالتعليم الابتدائى فى المحافظة الشمالية الشرقية ٣١٪ للأولاد،

و١٦،٩٪ للبنات. كما أن حضـــور الفتيــات التعليم العـــالى فى كينيا أقــل أيضًا. فمنذ ١٩٨١، كانت نسبة الإناث بالتعليم الجامعى ٣٠٪ فقط فى الثمانى جامعات العامة فى كينيا.

ويرجع عدم التوازن فى فرص الحصول على التعليم فى كينيا إلى العوامل الثقافية ونماذج التنشئة الاجتماعية فى المجتمعات المحلية المختلفة. وبين المجموعات المختلفة، وخاصة المناطق الريفية، يعيش فيها ٨٠٪ من السكان، ما زال ينظر إلى الرجال باعتبارهم مالكى الموارد والمتحكمين فيها، وأنهم الذين يجلبون الموارد التى تعيش عليها الأسرة، بينما ينظر إلى النساء باعتبارهن ربات منزل (زوجات ومقدمات للرعاية) ومعتمدات على الرجال. وبوجه عام، لا تنظر أسر كثيرة فى أجزاء كثيرة من الريف الكينى، إلى تعليم البنات مقارنة بالأولاد، على أنه أمر مهم. وينتج عن مثل تلك الآراء تمييز كثيف فى برامج التنشئة الاجتماعية واختلاف فى أنماط السلوك لدى كل من الذكور والإناث فى البيت والمؤسسات التعليمية. فبينما ترتبط سمات مثل الاستقلال والجرأة والقدرة على المنافسة بالذكور ويختصون بها، تكون سمات التبعية والسلبية والإذعان من نصيب الإناث.

ويعد النظر إلى النوع الاجتماعى كمبدأ ناظم، شيئا جوهريا فى فهم أساليب تنشئتنا الاجتماعية وتربيتنا، وكيفية التفاعلات بين كل منا والآخر، والطرق التى تتشكل على أساسها وتنظم حياتنا العامة والخاصة عمومًا. ونتجت عن فجوة تعليمية كبيرة بين النوعين هذا فى كينيا، وخاصة فى مستويات التعليم الثانوى والجامعى.

ويتمثل الأمر المحورى فى نجاح النساء فى أى مجال يهيمن عليه الذكور، بما فيها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، فى مدى معالجتهن لهذا "التنبؤ المبنى على المضمون الاجتماعى للنوعين" (gendered prophecy)، ومدى انتباههن إلى أنه الشىء الذى يضع شروط علاقتهن بالمجتمع.

التنشئة الاجتماعية وراء القولبة النمطية للنوع الاجتماعى في مهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

أوضحت دراستنا أن تمثيل النساء أقل فى مهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، فى حالة كان لهن تمثيل، وأساس هذا يكمن فى القولبة النمطية للأدوار (Abagi et al. 2006). ورغم هذا أوضحت المبحوثات فى دراستنا، أنهن تمكن من تحقيق النجاح فى مهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات نتيجة لعاملين مرتبطين معًا.

الأول، البيئة الاجتماعية التى تربت فيه مبحوثاتنا ونشأن اجتماعيًا لا تقيدها قواعد التمييز النوعية. وكان آباء المبحوثات مهنيين من الطبقة الوسطى. لم يكن آباؤهن ملتزمين بالتنميط الاجتماعى على أساس النوع، بالنسبة لتعليم بناتهم. وقد تلقت المبحوثات من آبائهن والأقارب المحيطين (التشجيع، وحرية اختيار المهنة، ونصائح مناسبة، وتوفير الدعم المالى اللازم لحصولهن على تعليم أعلى، وتدريبًا ومتابعة). ولعب هذا دورًا كبيرًا فى تعليمهن، وتدريبهن وتأهلهن لمهنهن. مثل الآباء والمراقبون عاملاً مهمًا وراء نجاح تلك المهنيات المشتغلات بمهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وتتضمن الأسباب الأخرى لنجاحهن واقع أنهن جميعًا تربين على أيدى آباء من الطبقة الوسطى. عمل الآباء كمدرسين وموظفين إداريين ومديرين بالقطاع العام والخاص على السواء، وفى مواقع حضرية. ومن بين اثنتى عشرة امرأة، اثنتان فقط عمل والد أو قريب لهما فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ولم تعمل والدة أو قريبة أيهن فى هذا القطاع.

توجهات الوالدين الإيجابية تجاه بناتهن، مكنت المبحوثات من النمو محتفظات بفرديتهن مع "ثقة فى النفس ورؤية للحياة تتجاوز مجرد الزواج وتقديم الرعاية والخدمات المساعدة فى البيت، أو المجتمع على أكثر تقدير (respondent, ICT CEO). ووجدنا أن هؤلاء النساء متمكنات منذ عمر مبكر بسبب توجهات الوالدين ناحيتهن. وهكذا، شجع الوالدان بناتهم على العمل الجاد والتفوق الدراسى، رغم عدم دفعهن

تجاه أى فرع علمى أكاديمى محدد أو مهنة بعينها. كانوا آباء وأمهات "ليبراليين"، وفروا لأبنائهم فرص التعرف على عديد من الأشياء، ووفروا لهم بيئة ممكنة، حيث مثل التعليم والتطور المهنى قيمة سامية، كما دعموا تطور ومواصلة اهتمامات البنات الخاصة.

كانت المبحوثات واعيات جداً بالدور الذى لعبه الوالدان فى نجاحهن، وتشير إحدى المبحوثات إلى ذلك فيما يلى:

> "كان أبى وأمى واعيين بقضية النوع الاجتماعى فى الممارسة العملية. وفى تنشئتنا الاجتماعية داخل الأسرة، كانا ينظران إلينا باعتبارنا أبناءهما، وليس صبيانهما وبناتهما. ولم يميزا ضد البنات. وكانت رؤيتهما أن الأبناء جميعًا لا بد من تلقيهم نفس المعاملة، ومن ثم تلقينا كبنات الدعم الكامل لتحقيق إمكاناتنا، مثلنا مثل الصبيان تماماً. وقد وجدت تشجيعا طوال مسارى. مثلا لى نموذج الدور الذى أرغب فى اتباعه. وأدين لهما بكثير من النجاح فى حياتى". (Internet support provider CEO 1, 2005).

وقالت مشاركة أخرى ما يلى:

> "لم يكن أبى أنانيًا، بمعنى أنه لم يقدم إطلاقًا على اتخاذ قرار نيابة عنى. كان اتخاذ قراراتى أمرًا خاصًا بى، وكان التعامل مع ما يترتب عليها، أمرًا خاصًا بى أيضا. وكان هذا واضحًا جداً. ... وأظن أن بداية تحقيقى لذاتى، كان تداولى مع نفسى فى اتخاذ قراراتى الخاصة، وتحديد ما أجده الأفضل بالنسبة لى. وأظن أن هذا يعد أكثر الأشياء التى مثلت لى نجاحًا فى حياتى. (Internet support provider CEO 2, 2005).

ورأت المبحوثات دعم الوالدين ومواقفهما الإيجابية وفرصة التعرف ومنافذ الوصول إلى عالم الدراسة والعمل، على أنها عوامل تطور ثقتهن بأنفسهن، وجعلتهن يسعين باستقلالية إلى المعلومات المفيدة، وفتح أبواب العمل المهنى. واعتبرن طبيعة تنشئتهن الخاصة، أساسًا فى تحقيق ذاتهن، وشعورهن بالتمكين.

وكان الحافز الذاتى لدى المبحوثات، العامل الثانى المؤدى إلى اشتغال المبحوثات بمهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ونجاحهن فيها. فقد لعب الحافز الذاتى، وتركيز المبحوثات أثناء التدريب والعمل، دورا كبيراً فى مساعدتهن على المغامرة فى مجال عمل يهمين عليه الرجال.

واتضح الحافز الذاتى لبعض المبحوثات أثناء حديثهن عن التحديات التى قابلتهن كنساء فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات:

> "أسمع الناس تتحدث عن السقوف، وفى حديثهم عنها يقولون إنهم يرون هناك ما يمنع عن الحركة. ولكن ما أعتقده يختلف عن ذلك. أعتقد أنك إذا وجدت ما يمنع حركتك، عليك اتخاذ قرار، إما تحطيمه أو تجنبه. وواقعيا، إذا لم تستطع تحطيمه، فلن يمكنك القفز من فوقه، ولذلك عليك إما أن تحطمه، أو تبتعد عنه وتخلق لنفسك مساراً آخر. (Internet support provider CEO 2, 2005)"

> "عاهدت نفسى على النجاح فى الحياة، وأن أحقق ما يكون فى صالحى ويرضينى. ويوضح هذا سبب حصولى على دورات تدريبية كثيرة فى بلدان مختلفة فى أوربا وأمريكا الشمالية قبل الاستقرار هنا فى كينيا لإدارة شركة تقديم خدمات الإترنت. أشعر بإحساس جيد تجاه ذلك، وأنى أمثل نموذجاً للدور بالنسبة لكينيات كثيرات، المهتمات بالاشتغال بمهنة فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. أبى وأمى وأصدقائى لا ينكرون منى ما أقوم به حتى الآن فيما يتعلق بمهنتى".
>
> (Internet support provider CEO 1, 2005).

ومن خلال المناقشات الجماعية المركزة، كشفت المبحوثات عن عدد من العوامل والسمات المرتبطة عندهن بنجاحهن فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وحول شعورهن بالتمكن. ومع ما ذكرنا سابقًا حول فهم التمكين على أساس فردى، كانت مبحوثاتنا قادرات على تغيير تفكيرهن، وممارساتهن ووجهات نظرهن حول دور النساء فى المجتمع عموما، وفيما يتعلق بالمشاركة فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات خصوصاً. كن قادرات على "تحطيم" القوالب النمطية النوعية بخصوص أدوار النساء والرجال فى المجتمع. وهكذا غامرن فى مهن يهيمن عليها الرجال. وربطن نجاحهن

فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وشعورهن بالتمكين، مع المبادئ والأساسيات المرشدة التى استخدمنها فى عملهن:

- أن تكون لديك رؤية وحلم بخصوص المهنة.
- تركزين اهتمامك واتبعى حلمك.
- تحصلين المهارات الصحيحة.
- أن تكون لديك ثقة بالنفس.
- التعهد لنفسك بالعمل والنجاح.
- الاستقتال فى مجال المهنة باعتباره حقًا لك.
- أن تكونى ديناميكية.
- العمل بجد.
- تحمل المخاطرة.
- عدم النظر إلى النوع الاجتماعى باعتباره عائقا، بل باعتباره فرصة.
- البحث بصور مستمرة عن مزيد من المعرفة والمهارات.
- عدم التورط فى التفكير بالزواج على حساب بناء نفسك مهنيا.
- التوجه إلى ما تودين تحقيقه فى المهنة، دون أن تكونى ممتلئة بالقولبة النمطية للنوع الاجتماعى (مثلا مواجهة القولبة النمطية النوعية القائمة، والتمييز فى المجتمع عموماً، وبيئة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات خصوصا).

وأشارت مبحوثاتنا بثقة إلى أنهن قادرات على اتخاذ قرارات واعية فى مجال عملهن ومكان العمل، لأنهن يمتلكن الشخصيات التى وصفناها سابقا (يشعرن بالتمكين). يعتقدن أنهن كمهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات يستخدمن المعرفة والمهارات والخبرة فى تلبية مهماتهن بكفاءة وفاعلية.

ووفقا لبحوثاتنا، تؤدى التنمية إلى أفراد متمكنين (وهم فى حالتنا متمكنات) لأنها تبنى ثقتهن فى أنفسهن مع الوقت، ولأنهن يصبحن على دراية ومعرفة بالمجتمع. ووفقا لهن، يعنى التمكين "أن يصبح الشخص قادراً على اتخاذ قرارات واعية فى الحياة، وتهيئة موقع إستراتيجى لنفسه، ليحصل على المعرفة والمهارات، ويكون مستجيبا لتطبيق ما تعلمه فى البيت والمدرسة والمجتمع وفى عالم العمل" (Internet support provider CEO 1, 2005). ويشكل هذا "الحالة التى تكون فيها الفتيات والنساء قادرات على مواجهة القولبة النمطية والتمييز القائمين على النوع الاجتماعى، ويسعين إلى أى مجال مهنى يخترنه دون إجبار من آبائهن أو أصدقائهن أو الحكومة أو بيئة العمل، (Internet support provider CEO 2, 2005). يرتبط التمكين بالحصول على الحق فى المعرفة والمهارات، ويوفر توجهات لتعزيز فرصة المرأة فى التفوق بالمهن التى اختارتها وأن تبدأ حياة صحية ومريحة، أن يكون باستطاعتها الحصول على الحاجات والخدمات الأساسية اللازمة للحياة، بما فيها الغذاء والمأوى والتعليم والرعاية الصحية والملبس. ويتصل أيضا بقدرتها على مجابهة كل أنواع التمييز، بما فيه القائم على الجنس أو النوع الاجتماعى.

القولبة التنميطية فى مهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

أشار كثير من الدراسات حول دول أفريقيا جنوب الصحراء، إلى أن النساء أقل تمثيلاً فى التعليم الرسمى وحتى فى الكتب الدراسية، وتفرض عليهن القولبة النمطية، وخاصة فى مناهج الرياضيات والعلوم والهندسة (Obura 1991; KNEC 2003, 2004, 2005; Abagi 2005). وتشير دراستنا حول المهنيات فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، إلى أن القولبة النمطية لا تجعل النساء يترددن فى دخول قطاعاتها الفرعية فقط، بل إنه حتى الحاصلة على تدريب وتوصلت للاشتغال بها، تجد نفسها محاطة بنظرة مشبعة بالقولبة النمطية أو تخضع للتمييز ضدها. ويترتب على ذلك أن تجد بعض النساء أنفسهن، بصرف النظر عن معرفتهن بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، والتدريب الذى تلقينه، فى وظائف خدمية تتصل بكونها "أنثى". على سبيل المثال، ينتهى الأمر بالأخصائيات

المدربات، إلى العمل فى العلاقات العامة أو التسويق بإحدى شركات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، بدلا من عملهن فى مجال تقديم الدعم التقنى.

وقالت مبحوثاتنا إنهن يعرفن شابات لامعات حاصلات على درجات علمية فى علوم الحاسوب أو تكنولوجيا المعلومات، تخلين عن العمل التقنى أو كمصممات برامج فى شركات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ليعملن مجرد موظفات علاقات عامة أو سكرتيرات فى بعض الشركات الخاصة فى نيروبى. لقد "غبن تماما فى البيئة التى يهيمن عليها الرجال، وخسرن معرفتهن ومهاراتهن فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لأنهن يؤدين أشياء غير متصلة بها (respondents, 2005). رأت المتخصصات فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات اللاتى أجرينا المقابلات معهن، أن ضغط الرأى العام على النساء حتى يظهرن فى ثياب حسنة، مرحبات ومبتسمات طوال الوقت، يتجه إلى إثناء الشابات المتخصصات فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، عن مهنتهن والتطور فيها. وينظر إلى ارتداء ثياب واقية وحمل مفكات ومفاتيح، على أنها أشياء للرجال، وعلى النساء الابتعاد عنها.

وحاليا، هناك عدد متزايد من الكليات فى مدن كينية تقدم البرامج التدريبية فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وذكرت مبحوثاتنا أنه رغم ذلك، تميل معظم النساء إلى الالتحاق بالبرامج التدريبية الخاصة بوظائف السكرتيرية وخدمة المستهلك، مثل معالجة الكلمات وإدارة المكتب. ومن ناحية أخرى، سيقوم معظم الرجال بالأعمال التقنية فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، بعيدًا عن برامج معالجة الكلمات، مثل صيانة الكمبيوتر، وتصميم المواقع، وتطوير البرامج إلى جانب غيرها من الأعمال. وينتسب للرجال للأبعاد الفنية لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، بينما تفضل معظم النساء الميادين "الناعمة"، إذ يجدن معظم صديقاتهن وأقاربهن يعملن فيها. وتوضح المهنيات فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، أن هذه الخبرة النوعية تنشأ من وجهات نظر مجتمعية ترى المفترض فى العلوم والرياضيات والتكنولوجيا، أنها عوالم يهيمن الرجال عليها. ونتيجة لذلك، يتوقون سوء أداء الفتيات فى المواد الرياضية والعلوم، ومن ثم سيبعدهن الخجل عن المهن المرتبطة بالتكنولوجيا.

وجهات النظر والمواقف المتحيزة نوعيًا، تنقل للنساء الداخلات فى قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وينظر إليهن عمومًا باعتبارهن فى التخصص "الخطأ".

"العقبة التى كنت أواجهها أنى سيدة، ويعتقد الناس أن الرجال هم الذين يقومون بهذه الأشياء. لقد شاهدنى أحد الأشخاص أحمل حقيبة المفكات، فبدأ التندر حول ما يمكننى أن أفعله بها. مثلما وأنت تحاولين فتح آلة، فتجدين من يتساءل هل سيقدر لهذه الآلة بالفعل أن تعمل فى نهاية الأمر" (Informant 4, 2005).

دعينى أذكر لك شيئا... فكما قد تعلمين، لا يثق معظم الناس فى النساء المشتغلات بالمجالات التقنية إطلاقا. فهل يمكن أن نرى عملاء أو عميلات، حينما تكون لديهم مشكلة فى مكان ما، يطلبون منى التوجه إلى حيث المشكلة لإصلاحها! عندما تكونين موجودة، يكون الانطباع العام، أنه طالما القادم لمعالجة المشكلة سيدة، فغير مرجح أن تحل! وحتى إنه فى بعض الحالات، تكون لدى العميل أو العميلة جرأة كافية لتوجيه السؤال، ماذا تعرفين حول هذه المشكلة؟" (Informant 9, 2005).

ذكرت مبحوثاتنا أثناء مناقشاتنا معهن أن بعض مالكى شركات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ومديرى مشروعاتها، وهم من الرجال، متحيزون ضد النساء أيضًا، إذ يرونهن "دخيلات" على القطاع. وتنشأ العراقيل أمام دخول النساء إلى المجال فى بدايته، عند مقابلة اختيار المتقدمين، والتى يكون الموكل له الحسم فيها رجلاً فى معظم المنظمات. وذكرت بعض مبحوثاتنا أن هناك كثير من الرجال المتعصبين لجنسهم داخل المنظمات، لا يخفون مشاعرهم منذ اللحظة التى تدعى فيها امرأة لإجراء مقابلة للتوظف أو الترقية فى وظيفة بمجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، واثناء إجراء المقابلات معهن، يظهر ميل لتوجيه أسئلة مرتبطة بحياتهن الأسرية، مثل "هل ستحصلين على إجازة رعاية طفل، ومتى سيكون ذلك، كيف سيعمل قسم تكنولوجيا المعلومات أثناء غيابك؟ وهناك أيضا أسئلة مرتبطة بالخروج من الخدمة بسبب ارتباطات خاصة بأفراد آخرين من الأسرة، مثل: "ماذا سيحدث لعملك إذا مرض طفلك؟"، "هل سيسمح لك زوجك بالعمل لساعة متأخرة، أو بالسفر؟"، ولا توجه مثل هذه الأسئلة عمومًا للرجال.

وتميل الأسئلة التى توجه إليهم لأن تكون مركزة على مهاراتهم الفنية وخبرتهم فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات المتصلة بالوظيفة التى يتم الحديث بخصوصها.

وأثار عدد لا بأس به من المشاركات فى الدراسة موضوع التمييز على أساس النوع الاجتماعى فى صعود المهنيات الوظيفى بمجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وذكرن أن الحصول على ترقية يصعب على النساء، أكثر من الرجال. ويرجع هذا إلى مدى بعيد إلى هيمنة الرجال على القطاع. وتشغل النساء الموجودات بأعداد قليلة، وظائف ليست فنية (خدمات مساعدة). وإلى جانب هذا، فهناك بعض الرؤساء يكادون لا يحترمون النساء، ويضع هذا صعوبة أمام ترقيتهن.

وأشارت مبحوثاتنا إلى أن النساء يجدن بيئة اجتماعية ثقافية متسمة بالتمييز ومهيمنا عليها من الذكور، ولذلك إذا لم تعتمد المرأة على نفسها فى اكتساب الثقة والكفاءة، وإذا قصرت الأمر على المطالبة بحقوقها فقط، فحتى لو كانت حاصلة على درجة ماجستير فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ستبقى تعانى من الاستبعاد فى القطاع، أو تتعرض لتثبيط عزيمتها حتى تبحث لنفسها عن مهنة أخرى يعتبرها المجتمع تقليديًا خاصة بالنساء. ولهذا يجب أن تركز المرأة انتباهها على مواجهة التمييز.

> "إذا لم تركز (المرأة) انتباهها بشدة، ولم تكن لديها ثقة فيما (ترغب أن) تفعله، وإلى أين ترغب أن تتوجه، ستستسلم حتما لضغوط لم تكن لازمة، بوازع من الرجال. فى حالتى، كنت أعلم ما أريد فى الحياة، وتوجهت لتحقيقه. واجهت كثيراً من العقبات كواحدة من أفراد المهنة، وليس فقط كامرأة. ولكنى لم أكن أسمح لقضايا نساء أو رجال المستندة على القولبة النمطية للمجتمع، أن تحبطنى أو تصرفنى عن العمل. وكانت فى معظم الحالات مجرد غطرسة رجال، (Internet service provider CEO, 2005)".

مناقشة الآثار الناتجة عن خبرات المهنيات فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

العجيب أنه بينما تتزايد وتيرة نمو تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بسرعة شديدة فى كل القطاع، ويرتفع الوعى بدور قطاعاتها الفرعية فى تنمية الدولة، إلا أن النساء لم يجدن أمامهن فرصًا تشجعهن على الالتحاق بالمهن فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وسيستمر تهميشهن عن التنمية فى كينيا، وستتأثر مشاركتهن النشيطة فى قطاعات مختلفة من الاقتصاد بصورة سلبية.

فى كل المجتمعات المحلية فى كينيا، ما زال منتشرًا بين الناس، أنه عندما يأتى ذكر أى شىء إلكترونى أو فنى، يفهم أنه شىء خاص بالرجال. هذا النمط من التفكير لا ينتشر فقط فى المجال العام مثل أماكن العمل، ولكن أيضا يسود فى المجال الخاص، فى منازل الناس التى يعيشون بها، حيث على سبيل المثال، عندما تطفح البالوعة، أو تكون هناك ضرورة لتغيير بطاريات الراديو، يتم استدعاء أحد الذكور (رجل أو شاب) وليس إحدى النساء، ليأتى ويصلح العطب. هناك افتراض أن المهام الفنية، بما فيها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، يجب أن يؤديها رجل. ويربى المجتمع، والوالدان، النساء على أن يبقين بعيدات عن مثل هذه المهام. وينظر إلى من يجرؤن على المغامرة بالدخول فى ذلك الشأن، كما ينظر إلى "أشخاص غريبين" يمضون عكس الثقافة والممارسات القائمة.

أشارت دراستنا إلى أن فرص وصول النساء إلى التخصص فى المجال المهنى لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وتقدمهن فى هذا القطاع، يرجع إلى دعم الآباء والأمهات وتبنيهم موقفًا ضد القولبة النمطية النوعية بالنسبة للدوافع الشخصية لبناتهم، ومدى "استخفاف" النساء أنفسهن أو تجاهلهن لوجهات النظر والمواقف المنحازة نوعيًا الراسخة فى المجتمعات المحلية الكينية. وهناك عامل محدد فى تعزيز فرص وصول النساء إلى المهن المرتبطة بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات واختيارهن لها،

وهو مدى تغيير الفتيات أو النساء والصبية أو الرجال لوجهات نظرهم ومعرفتهم حول العالم والمهن، حتى تتم مواجهة "القواعد" الظاهرة التى تتشكل عبر هيمنة الذكور. وسيظل تطور النساء فى التخصص المهنى لقطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات صعبًا، إذا لم تفكك أنظمة وممارسات القيم الأبوية فى المجتمعات الكينية بأسلوب منهجى قابل للدوام.

كانت مبحوثات دراساتنا جريئات وملتزمات وقادرات على تركيز اهتمامهن، وعزمن على التفوق فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وبرغم أنهن يغامرن فى ميدان يهيمن عليه الرجال، والتحديات التى واجهنها داخل القطاع وخارجه كنساء، فإن روحهن أو عزمهن على النجاح لم يخفت. ويرجع هذا إلى أنهن نشأن اجتماعيًا على عدم إيلاء أهمية للقولبة النمطية المرتبطة النوعية، التى تؤيد التمييز ضد النساء. إلى جانب هذا، اتخذت هذه المهنيات موقفًا يظهرن فيه عمليا أنه لا يوجد قطاع أو تخصص فى كينيا مقصور على الر جال فقط، الاعتقاد الذى يفضل كثيرون تبنيه، وخاصة الرجال.

وفى بلد ملىء بالتوقعات ووجهات النظر حول النوع الاجتماعى، تسعى مبحوثاتنا لتمثيل نموذج للنوع بالنسبة للفتيات والشابات اللاتى ما زلن يصارعن ولم يقررن بعد نوع المهنة التى عليهن البحث عنها. وتمثلت الرسالة التى بعث بها إلى الفتيات والشابات، أن المرء عليه تقرير ماذا يريد أو تريد أن تعمل، وما المهنة الأفضل له فى المستقبل. وبعيدًا عن تنشئتهن الاجتماعية الإيجابية، قالت المبحوثات إن الفتيات فى حاجة إلى تركيز انتباههن، وأن يكن صبورات بالنسبة لما يرغبن فى القيام به. ومع وجود اتجاه عام لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى القطاعات التنموية المتنوعة بالبلاد، أن الشاب – فتاة أو فتى– إذا التزم بالتفوق فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، لا يمكن أن يمنعه شىء عن تحقيق ذلك.

بناء على ما ناقشناه ولاحظناه من المهنيات المتخصصات فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، يبدو واضحًا أن الفتيات تجب تنشئتهن فى عمر مبكر، من أفراد أسرهن والمؤسسات السياسية على أن يكن مسئولات عن مصيرهن من خلال تحدى الفجوات النوعية والقولبة النمطية النوعية القائمة. إنها عملية تمكين، من شأنها أن تؤدى فى التحليل النهائى إلى فتيات لديهن المعلومات والشجاعة ومستعدات للمغامرة فى مهنة قمن باختيارها بأنفسهن بناء على اهتمام شخصى، أو استجابة إلى توجيه أو نموذج للدور أمامهن.

وفى الواقع، تنشئة الشباب اجتماعيا (سواء الفتيان أو الفتيات) من أجل تحدى الأنماط الاجتماعية والتحيزات القائمة، تعد من الأمور المهمة فى كسر القولبة النمطية الحالية فى المهن وأماكن العمل فى كينيا. عبرت مبحوثاتنا الرئيسيات عن الانعكاسات التى لديهن حول خبراتهن الخاصة، واتفقن جميعًا على أن الأسس التى وضعها آباؤهن وأمهاتهن، والتعرف على بيئات اجتماعية تجعلهن واثقات وقادرات على النجاح فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ورغم هذا كانت دوافعهن الخاصة المحركة إلى النجاح فى هذا القطاع الذى يهيمن عليه الذكور. رأين أنفسهن كمهنيات، باستطاعتهن المنافسة مع نظرائهن من المهنيين الآخرين – سواء كانوا رجالاً أم نساءً – فى أى موقع على مستوى العالم. وكان ما تمتلكه تلك النساء من ثقة واعتزاز ورؤية، سببًا فى أن يصبحن كفئًا للعمل فى إدارة شركات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات أو العمل فيها.

وهذه النتائج التى ذكرناها، لها انعكاساتها على الموقع الذى يجب تكريسه بخصوص "التعليم من أجل التنمية" فى كينيا. وتعنى خبرة مبحوثاتنا، أن جميع الأشخاص (رجالاً + ونساءً) إذا لقوا فى سن مبكرة الحالة، والفرص التى توفرت للمبحوثات فى الدراسة – والدًا ووالدة مراعين للبعد النوعى، وتنشئة سياسية تتحدى القولبة النمطية النوعية، والنشأة فى وفرة مالية، وحرية التفوق فى المجالات التى يقع اختيارهم عليها – سيصبح كل من الرجال والنساء قادرين على التفوق فى جميع قطاعات الاقتصاد، بما فيها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

تبدأ التنشئة الاجتماعية والتعليم من أجل التنمية من إعادة صياغة وتحديد مفهوم التنمية، حتى يركز على تمكين البشر، النساء والرجال. إنها عملية خلق بيئة تتيح فرص التمكين من أجل تعزيز مشاركة النساء فى كل قطاعات المجتمع، بما فيها التخصص فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات (Anyango and Abagi 2005; Makgoba 1999; Ayittey1991; Nyerere 1962; Oruko 1981). في هذا الاتجاه، ومن سن مبكرة، يحتاج الفتيات والفتيان إلى تنشئتهم اجتماعيًا وتمكينهم من أجل مواجهة الخرافات المرتبطة بالنوع الاجتماعى، والمفاهيم والقولبة النمطية الراسخة حاليًا فى الأسرة، وفى نظام التعليم، وفى أماكن العمل ودور العبادة.

الخلاصة

كرسنا هذا الفصل لدراسة المهنيات فى كينيا اللاتى غامرن بالدخول فى قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصال الآخذ فى النمو السريع. وبناء على خبراتهن، يمكن أن تصبح تلك النساء نماذج بالنسبة للفتيات الصغيرات والشابات الكينيات، حيث يحتجن إلى خلق مجال مهنى لهن، وأن يكن فاعلات فى مكان عملهن. وأشرن إلى ضرورة أن تكون هناك مواجهة مع الأنماط الاجتماعية النوعية، والتحيزات على أساس النوع، والتنشئة الاجتماعية المرتبطة بأدوار الجنسين، والتمييز ضد النساء عمومًا، ينبغى تفكيك كل هذا إذا أردنا تشجيع المساواة فى مكان العمل.

ينبغى أن تضع الحكومة الكينية، والوزارات المعنية مثل التعليم ، والنوع الاجتماعى، والشباب، والتخطيط، والمالية، والإعلام، السياسات أطر العمل القانونية التى تؤدى إلى تمكين الفتيات الصغيرات من سن مبكرة لتغيير قناعاتهن حول المجالات المهنية والتوظيف. وبدون ذلك، لن يكون هناك إلا عدد قليل من النساء فقط فى وضع يسمح لهن، اعتمادا على أسرهن وحافزهن الشخصى وتصميمهن، بمعارضة التمييز على أساس النوع الاجتماعى، والمشاركة فى كل القطاعات الموجهة إلى تنمية البلاد.

باختصار شديد، هناك ضرورة أن تستهدف بيئة للسياسات واعية بالنوع الاجتماعى، والقضاء على التمييز النوعى ضد الكينيات. يجب أن تطور بشكل محدد سياسات معنية وأطر قانونية (وأن يتم إعمالها)، لتستهدف ما يلى:

– تعزيز مشاركة الفتيات فى التعليم بجميع مستوياته، وهذا يقلل (يقضى على) الفجوة النوعية فى التعليم فيما يتعلق بفرص الوصول، والإنجاز والانتقال من مستوى إلى الآخر.

– تمكين الفتيات والنساء من تحصيل معرفة مناسبة، ومهارات حيوية تساعدهن على اتخاذ قرارات واعية حول تعليمهن والمجالات المهنية التى سيلتحقن بها.

– التأكد من أن سياسات أماكن العمل وبيئة العمل عموما لا تميز بشكل غير مباشر أو مباشر ضد النساء عن طريق تثبيت القولبة التنميطية النوعية.

– رفع الوعى فى المؤسسات التعليمية والاجتماعية والسياسية القائمة بضرورة عملية تتعلم من خلالها الفتيات والنساء تولى مسئولية تحديد مصيرهن من خلال مواجهة الفجوات النوعية والقولبة النوعية النمطية القائمة.

– تعزيز فرص الوصول للمساواة فى تخصيص واستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لتنمية الأشخاص والبلاد.

المراجع

AAUW (2000) 'Tech-savvy: educating girls in the new computer age', Washington, DC: American Association of University Women, www.aauw.org/research/tech_savvy.cfm.

Cameron, J. (1996) The Vein of the Gold, a Journey to Your Creative Heart, New York: Putnam.

Camp, T. (1997) 'The incredible shrinking pipeline', Communica- tions of the ACM, 40(10): 103–10, www.mines.edu/fs_home/tcamp/new-study/new-study.html.

Cohoon, J. M. (2001) 'Toward improving female retention in the Computer Science major', Communications of the ACM, 44(5): 108–14.

Crombie, G., T. Abarbanel and C. Anderson (2001) 'Getting girls into tech classes', Education Digest, 66(5): 42–8.

Crump, B. J. (2001) 'Equity in the tertiary programming learning environment', Proceedings of the Australian Association for Research in Education Conference (AARE 2001), Fremantle, Australia, www.aare.edu.au/01pap/cru01022. html, accessed July 2003.

Department of Economic and Social Affairs (2006) 'Enhancing women's global leadership through information technology', Parallel event at the 50th session of CSW.

Mbarika, V., F. Cobb Payton, L. Kvasny and A. Amadi (2007) 'IT education and workforce participation: a new era for women in Kenya', The Information Society, 23(1).

Moustakas, C. (1990) Heuristic Research: Design, Methodology and Applications, Newbury Park/ London/New Delhi: Sage.

Nobel, C. (2007) 'Back to school: getting girls into IT', InfoWorld, 29 January, www.infoworld.com/ article/07/01/29/05FEwomen techteen_1.html.

Springer, L., M. L. Stanne and S. Donovan (1999) 'Effects of small-group learning on undergraduates in science, mathematics, engineering and technology: a meta-analysis', Review of Educational Research,69 (1): 21–51.

Teague, J. (2002) 'Women in comput- ing: what brings them to it, what keeps them in it?', SIGCSE Bul- letin, 34(2): 147–58.

الفصل السادس عشر

بحوث حول خبرات التوجيه لدى المهنيات
في مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بكينيا
النظر في المرآة

سالومى أوور أومامو

قضيتان لافتتان للنظر، تتم إثارتهما ومناقشتهما بشكل مستمر فى البحوث والمقالات حول انخفاض مشاركة النساء فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات؛ هما التوجيه والطريقة التى يصور بها خبير تكنولوجيا المعلومات. فيما سبق، لم يكن أمام الفتيات كثير من خبيرات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات حتى يتطلعن إليهن أو يثرن لديهن رغبة أن يصبحن مثلهن. وإذا نظرت الفتيات إلى ميدان ووجدنه مهيمنا عليه من قبل الذكور، فلن يكون جذابا لهن على أقل تقدير. ورغم نجاح مبادرات متنوعة وجهت إلى التعليم فى السنوات القليلة الماضية، لا شك فى أن قلة عدد النساء فى مجال التكنولوجيا يبدأ من أرض الواقع، حيث القولبة التنميطية تجرى حول النوع الاجتماعى على قدم وساق. وبالمثل، يعتقد كثير من قادة الصناعة وخبرائها أن الحل طويل الأجل لعدم التوازن النوعى فى تكنولوجيا المعلومات يكمن فى توجه المتخصصات فى التكنولوجيا إلى المدارس، الثانوية أو حتى الابتدائية، لتوجيه الفتيات الصغيرات، اللاتى يضجرن فى أغلب الأحوال من الرياضيات والعلوم فى سن مبكرة (Nobel 2007).

يعتبر التعليم والتدريب وتطوير المهارات مسألة حاسمة للراغبات فى تعزيز إمكاناتهن المهنية باستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، سواء من داخل أم خارج قطاع المعلومات والتكنولوجيا. ينبغى توسيع نطاق الممارسات التعليمية (التعلم خلال التدريب بدءا من الفصول الدراسية، إلى أماكن العمل، إلى المكاتب المزودة بتكنولوجيا عالية وأشكال أخرى من التعلم عبر التذكر والأنشطة) بين الفتيات (والنساء)، والحرص على مراعاة البعد النوعي (تدريب يخصص للنساء، دعم للمستخدمات الحاليات، والتوجيه فى المجتمعات التى تعيش فيها النساء) وتقديمها فى مستويات عميقة فى التخصص، على أساس أن النساء لا يتوقفن عند مستوى الاستخدام فقط، ولكنهن أخصائيات ومصممات برامج، وصانعات سياسات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ومشاركات فى حملات دفاعية.

خرجت دراسة حديثة عن كينيا بنتائج تشير إلى أن النساء شديدات التفاؤل، ومقتنعات أن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تمثل لهن آليات عملية للتوصل إلى مداخل لسوق العمل (Mbarika et al. 2007). ورغم هذا عكست الدراسة وجود عوائق هيكلية مهمة، مثل السياسات العامة العاجزة عن تيسير تطوير قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، والتمييز النوعى الذى يمارسه أصحاب العمل، والتدريب الذى لا يوفر لهن سوى مهارات فنية لا تكفى لتمكنهن من الأداء الكفء فى أماكن العمل. وتأكدت هذه النتائج إلى حد كبير من خلال دراسات مشابهة أجريت على بلدان أخرى (AAUW 2000).

تعمل العوامل الآتية على الحد من تقدم النساء فى المهن المرتبطة بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات:

- الافتقار إلى نماذج الدور والإرشاد المهنى، لا يوجد سوى عدد قليل من المحاضرات والمعلمات، ومن الحاصلات على منح دراسية، واللاتى حققن نجاحًا بارزًا فى هذه المهنة، والانطباعات المهنية المحملة بالتنميط الاجتماعى، ونقص المعلومات حول العمل فى المجال المهنى للكمبيوتر (Camp 1997; Cohoon 2001; Crombie et al. 2001; Teague 2002).

– الدعم المؤسسى غير الكافى، النقص فى البرامج الاجتماعية التى تمكن النساء من تعلم لغة الكمبيوتر ومساعدتهن على الشعور بالراحة فى التعامل معه؛ نقص التشجيع والتوجيه من جانب المحاضرين؛ نقص الدعم المؤسسى للتعليم الذى يراعى البعد النوعى (Cohoon 2001; Crump 2001).

– عدم وجود كثير من المجموعات الداعمة من الزميلات، نقص التفاعلات، وشبكات الدعم، ما بين الطالبات وبعضهن بعض (Springer et al. 1999).

ومن هنا تنشأ حاجة لفتح ميدان تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات أمام النساء، والقضاء على عدم المساواة النوعية التى تترك للنساء المهن النمطية، وهذا من خلال بناء القدرات وتوفير الفرص للفتيات والنساء.

وللأسباب التى ذكرناها، تحاول منظمات غير حكومية كثيرة ووكالات للتنمية تشجيع استخدام أسلوب التوجيه، حتى تستطيع الفتيات التعرف والتواصل مع نساء، لهن الأحلام والطموحات نفسها، ونجحن بالفعل فى هذا المجال. ونشر مزيد من الوعى حول طبيعة مجال العمل فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، حتى تتعرف الفتيات على حقيقة أن خبراء تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ليسوا ذكوراً بالضرورة (AAUW 2000).

النساء تقدم وتتلقى التوجيه فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

ينطلق هذا الفصل من البحث فى كيفية توصل النساء إلى الاشتغال بمهن فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وكيف تأهلن للتخصص فيها، وكيف تمكن من التعرف على فضائل المهنة[٢]. وظهرت لنا مسألة مهمة؛ دور التوجيه فى حياة اثنتى عشرة سيدة تمت مقابلتهن يعملن فى مهن مرتبطة بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى نيروبى. بينما تبادلت المبحوثات الحديث حول استفادتهن مما تلقينه من توجيه،

بدأن بصورة عفوية فى ذكر ما كسبنه من توجيههن للأخريات. وبناء على ذلك، رغم أن المقالات الأخرى حول التوجيه لم تتضمن، فى حدود علمى، ما اكتسبته الموجهات أنفسهن من هذه العملية، قررت أن أضمن هذا البعد فيما يتعلق بمبحوثاتى وفيما يتعلق بنفسى أيضا.

لقد انعكست خبراتهن وأفكارهن حول دور التوجيه، والتعليم والدعم فيما يتعلق بمهنهن فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، على خبراتى الخاصة فى كونى تلقيت توجيها، وقمت بتوجيه الأخريات، باعتبارى باحثة أستخدم أسلوب البحث الكيفى الانعكاسى، فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وهكذا يستكشف هذا البحث ما يعنيه تلقى التوجيه وتوجيه الآخرين، وعلاقة هذا المعنى بالمسارات المهنية التى نتبعها، والحواجز التى تخطيناها.

ومن الخبرات التى سنذكرها فيما يلى، كان التوجيه بالنسبة للمبحوثات وبالنسبة لى، علاقة يعطى من خلالها الموجه دعمًا شخصيًا ومهنيًا، ويستفيد بدوره من توجيه الآخرين وتلقى التوجيه منهم. ويأتى هذا الدعم من الدروس والشروح والملاحظات، والصدى المرتد والاستشارات التى تتيسر من خلال الكتب والتفاعل عبر شبكة الإنترنت وفى اللقاءات وجهًا لوجه، التى يقوم الموجه بتوفيرها كلها. ويكون الموجه بالنسبة لهؤلاء الموجهين والموجهات نموذجًا للدور، وناصحًا، ومرشدًا ومستشارًا.

خبرات تلقى التوجيه لدى المهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

من خلال خبر ات التوجيه، والتعليم والدعم تصبح النساء قادرات على ما يلى:

- تطوير مهارات فنية ومهنية والتقدم فى المعرفة والفهم.

"أعتبر مديرى موجهًا ممتازًا بالنسبة لى. ينصحنى حول مسائل متنوعة، بما فى ذلك إعلامى بالبرامج التدريبية التى ينبغى أن أحصل عليها، وهكذا يمكننى التقدم فى مهنتى.

على سبيل المثال قال لى، تعرفين كما يتضح لك أنك إذا ركزتِ على هذا لن تتقدمى كثيرا، لذلك لماذا لا تحاولى فى هذا. ولذلك يعطينى دائما معلومات من منظور المدير، وعلى نحو أصبحت معه مهيأة لتحقيق تقدم" (Systems administrator, 2005).

- تطوير الدافع الذاتى والثقة بالنفس والاعتماد عليها، الاعتراض على الافتراضات التمييزية وحاسة الوصول لاختيار.

"كانت أمى بالنسبة لى نموذجا للدور، وكانت قوية جداً. وعندما أتحدث عن القوة لا أعنيها فى السياق الذى يفهمه معظم الناس. أتحدث عن القوة فى سياق الإمكانات والقدرة على النجاة من المواقف. تساعدنى ملاحظة قوتها، بما تعنيه ألا أتعامل مع أى شىء أواجهه باعتباره أمراً مسلما به؛ و ألا أتعامل أيضًا مع التحدى باعتباره ضائقة. ولكن أتعامل معه باعتباره شيئا قمت بإخضاعه للتحليل، وتحديد ماهيته، ثم خرجت بمهمة محددة للتغلب عليه وتخطيه (ISP manager, 2005).

- اكتساب فهم أكبر للخيارات المهنية.

"ذهبت للحصول على دورات دراسية فى الكمبيوتر، وبدأت فى فصل المبتدئين. وأصبح أستاذ الفصل موجهًا لى، وإذ استمتعت بالبرنامج الدراسى، سألته إلى أى مجال مهنى تؤدى هذه الدورة. أجلسنى وأخبرنى أنى أستطيع العمل كمحلل للأنظمة. وأعطانى كل مجموعة المهن التى أستطيع ان أختارها، وشرح لى تمامًا إلى أى مسار مهنى يمكن أن تؤدى كل واحدة منها، وكان ذلك مشوقًا بالنسبة لى. ولذلك أعلنت من تلك النقطة أن الموضوع الرئيسى الذى سأدرسه هو أنظمة الإدارة والمعلومات (IT company manager, 2005).

إلى هذا النادى أنتمى. رئيس النادى، كان موجهًا إلى كثيرات من نساء النادى، إذ أتى إلينا وشجعنا على التوجه إلى تعلم تكنولوجيا المعلومات. تحدث إلينا ونظم دورة تدريبية على الإدارة لعضوات النادى. (IT support officer, 2005)

- تلقى أصداء مفيدة واكتساب وجهات النظر المختلفة.

"كان لدىّ عديد من الموجهين، ولكن أهمهم كان مدير أفريكا سنترال. ما أعجبنى فيما قدمه لى فعليًا، أنه بصرف النظر عما أريد فعله، كان قادرًا على تصنيفى من خلال ما لدى من مشكلات. كان يصغى بالفعل لمشكلاتى. عندما أخبرته أنى لا أستطيع الذهاب إلى زامبيا، فقط لأن لدى أطفالاً هنا وزوجى مشغول فى تجارته، تقبل ذلك جدا، وحاول نصحى أنى يتأكد وجودى على قوة المكتب الأوغندى، الذى يقع أقرب، أو شيئا من هذا القبيل (Systems administrator, 2005).

- اكتساب أنظمة داعمة

"عمرى الآن خمسون عامًا، ومن هنا سألت نفسى عندما كنت فى الثامنة والأربعين، من سيريد تشغيل سكرتيرة كبيرة السن؟ ولذلك عدت إلى التعليم. وحينها كان ابنى أيضًا بالمرحلة الأولى لتكنولوجيا المعلومات فى الجامعة الأمريكية الدولية، وهكذا عملنا معا، وكان يساعدنى أيضًا عندما كنت أقوم بأداء واجباتى. وعلى هذا النحو كان يدعمنى (ICT support person, 2005).

تمثلت مصادر التوجيه والتعليم والدعم فى أفراد الأسرة والمدرسين والأصدقاء وأندية تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والمنظمات والرؤساء.

ويبث التوجيه من الزملاء شعورًا بالقدرة على التحديد حتى فى سياق التمييز النوعى والتنميط، الذى عانت منه النساء فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات:

> "بالطبع، كان هناك زميليان فى هذا القسم، رئيس القسم ومصمم البرامج الذى كنا نعمل معه. فى كل مرة أشعر بالإحباط، ويأتى على التحويل من تكنولوجيا المعلومات إلى شىء آخر، كانا يقولان لى إن هناك سيدات بالخارج يعملن بهذا المجال، فما الذى يجعلنى أشعر أنى مختلفة؟ ويتوجهان لى بالسؤال، لماذا أحبط الآن بعد أن بلغت هذه المسافة؟ ويؤكدان لى أنهما دائما سيكونان حاضرين لمساعدتى. حقا فعلا ذلك! (Systems administrator, 2005).

عندما تقوم المهنيات فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بالتوجيه

معظم النساء التى أجرينا معهن المقابلات لعبن دورًا توجيهيًا لعديد من الشباب والنساء الراغبات فى التقدم بمجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وصفن المزايا التى وجدنها فى أن يكن موجهات.

- اكتساب شعور قوى بالرضا والعرفان عندما تلقى الشخص الذى وجهته ينمو ويتطور.

"تحدثنا إلى الفتيات حول المهن المختلفة، وتحدث كل منا عما يفعل. ذهبنا إلى ابتدائية نيروبى وتحدثنا إلى أطفال الصف الثامن حول ما يمكن توقعه. كنا بالفعل نخطط للذهاب ومقابلة فتيات من المناطق الريفية، حتى يمكننا التحدث معهن عن وجود أشياء كثيرة بإمكانهن التطلع إليها فى مستقبلهن. ثم أخذنا جانبًا مختلفًا فى مشروع يسمى "أرشد ابنتى إلى العمل". وأخذنا بعض الفتيات من مناطق ريفية، وبقينا معهن لمدة أسبوعين، جعلناهن يحضرن إلى مكاتبنا حتى يشاهدن ما نفعل. وكان هذا جزءا من البرنامج الذى نقوم به (IT support officer, 2005).

- بناء مهارات أساسية لتقديم تقييم كفء للغير، والمهارات الأساسية اللازمة للتدريب، وهذا يفيد فى الاستعداد لمناصب قيادية.

"ما أقوم به دائما، هو الحديث مع الطلاب، وخاصة السيدات منهم. بدأنا فى الفترة الأخيرة - المحاضرون والمسئولون فى قسم تكنولوجيا المعلومات - فى تنظيم منتدى لطلابنا، حيث نأمل على الأقل أنهم سيساعدوننا مستقبلاً فى شىء من الأشياء التى نقوم بها. ولسوء الحظ، لم يكن بين ستة من المسئولين عن هذا المنتدى، سوى امرأة واحدة. الأمر الذى جعلنى أقترب من الجنون، وكنت أقول لهن: هيا أيتها السيدات، تستطعن فعل ذلك، لماذا ليس لدينا سوى سيدة واحدة على قائمة المسئولين، بينما توجد مجموعة سيدات، لماذا يرغبن فى البقاء بالخلفية؟ وهكذا، فى نهاية الأمر كانوا جميعا يتساءلون لماذا كنت السيدة الوحيدة من بين جميع الأشخاص المهتمين بالنادى،

وقلت لهم دائما ما توجد نقطة بداية. وأنهن إذا ما رأونى هناك، يعرفن أن بإمكانهن أيضًا أن يصبحن هناك. وحينها أيضًا عندما كنت أتوجه إلى المعمل لإصلاح بعض الآلات، كنت دائما أدعو السيدات ليأتين معى، ويشاهدن كيف أقوم بفعل ذلك، ليعرفن فقط أن باستطاعتهن إصلاح تلك الآلات فعليًا.

– بناء الخبرات الشخصية (الاستقصاء الناجح والاستماع الحيوى والانعكاس والتواصل.

"أنا سفيرة للنيَّات الحسنة والتفاهم الدولى لمنتدى سوروبتيميستس. مجرد عضويتك فى هذا المنتدى تعرفك على أشياء كثيرة. نتناول كثير من المناطق التى بها مشاكل، بما فيها التعليم. عادة ندعو فتيات للحضور والبقاء معنا فى العطلات الدراسية، ونعرفهن على نمط حياتنا اليومى، بما فيها بيئة العمل. ويمتد نشاطنا أيضا إلى حقوق الإنسان وأوضاع المرأة. وهناك أيضا ستة مجالات فى البرامج مخصصة للنهوض بأوضاع المرأة، والمعايير الأخلاقية السامية، وحقوق الإنسان مكفولة للجميع، والتنمية والسلام، والنيَّات الحسنة والتفاهم والصداقة الدولية. ولدينا أيضًا برنامج تبادل طلابى، دورات تدريبية للنساء تحت رعايتنا. (IT support officer, 2005)

اتضح لنا من مناقشاتنا مع النساء فى المقابلات أن التوجيه الذى تلقينه ممن يعتبرنهم موجهين لهن، لعب دورًا داعمًا لشعورهن بالثبات والتبصر والصبر. ويجب أيضا أن يكون الشخص متسمًا بتلك الصفات حتى يمكنه السعى واجتذاب الموجهين الذين يرغب فى العمل معهم لتحقيق النجاح فى مهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، برغم ما هو قائم من تمييز على أساس النوع والقولبة التنميطية. وقد عبرت نسبة كبيرة من النساء التى تحدثنا معهن عن رؤيتهن للتوجيه باعتباره عونا جوهريًا فى تنمية المرأة.

"أنت تسعين إلى الموجهين، وقد سعيت إلى موجهين داخل المنظمة، وأظن أن جميع التطور الذى حققته فى مهنتى كان من خلال السعى إلى موجهين، تحديد موجه واتباعه. أنهم يدلونك على الطريق؛ ويخبرونك ماذا عليك أن تفعلى فيما يتعلق بالمسار الذى ترغبين فى سلوكه. (IT company manager, 2005).

خبرتى باعتبارى متلقية للتوجيه

وفرت لى منظمة جريس وما زالت فرصاً للتوجيه. وتفاوتت أشكال هذه الفرص من ورش عمل سنوية، التى تيسر الكتابة المشتركة، ومناهج أخرى للتعلم تساعد فى بحوث النوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وكان هناك تشجيع على التعلم من خلال شبكة الإنترنت من المنسقين الذين قاموا بتوجيهى ورئيس فريق البحث الذى أعمل فيه (وهو موجه لى أيضا)، والأهم من ذلك اكتسبته من التفاعل مع النساء اللاتى كنت أجرى معهن المقابلات فى بحثنا. وقد يسرت علاقة تلقى التوجيه كثيراً من الأشياء، وهى المراجع والتوصيات والتوضيحات والملاحظات والمقابلات المباشرة، وكتب مثل كتاب "عرق من الذهب" (The Vein of the Gold)، رحلة إلى قلبك الخلاق (Cameron 1996). والبحث الاستقصائى: تصميمه ومناهجه وتطبيقاته، (Heuristic Research: Design, Methodology and Applications (Mous takas 1990),)، جرائد ونشرات حول تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وتمكين النساء، والتفاعلات عبر الإنترنت مع الموجهين الذين أتابعهم. كل تلك الأشياء أمدتنى بخيوط من الخبرة، أدت بى إلى التنمية الذاتية وإلى التحول باتجاه النهوض. ورغم هذا أدت مصادر التوجيه تلك إلى تطوير الثقة فى الذات وتقدير الذات، واكتشاف الذات، والتعرف إلى الذات، وأسهمت تلك الأشياء مجتمعة فى تطويرى مهنياً.

زيادة الثقة فى النفس والشعور بالتقدير الذاتى

عزز التوجيه ثقتى فى نفسى وأعطانى شعوراً بالحرية، بمعنى أن أجد ذاتى وأعبر عنها. تعلمت أن أقوم بنقد ذاتى داخلياً، ومن ثم تحرير عمليات داخلية مرتبطة بالإدراك والانفتاح والمساءلة ودمج الأفكار والمعلومات والمعرفة.

كفرد وكباحثة فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، تعلمت بالنسبة لنتائجى البحثية وعمليات البحث أن أجد الحقائق من وجهتى الذاتية، وتعلمت أن أدع هذه الحقائق،

حتى عندما لا تكون قد اتخذت بعد صيغتها النهائية، تدخل فى حوار مع وجهات النظر الأخرى. أنا أثق فى نفسى وفى والحقيقة من وجهة نظرى. وأجد سعادة أيضا فى كتابة الأفكار وتوضيحها، وغير ذلك من أشكال التواصل، من موقع قوتى فى الكتابة. تجاوزت الشعور بأنى محدودة فى معرفتى التكنولوجية، إلى تكامل التدريب المقدم من أجل زيادة مهاراتى باعتبارى باحثة فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

اكتشاف الذات ومعرفة الذات

أصبحت ادرك، كباحثة، أنى الوسيلة الأكثر أهمية فى بحثى، ومن ثم تعلمت الاعتراف إلى مدى بعيد بفضل وجهات نظرى وخبراتى الشخصية، لما لها من تأثير على خبراتى البحثية. أتعامل بإيجابية وبشكل واعٍ مع ما أكونه، حتى أقبل ذاتيتى المتفردة. وعلى أيضًا الخضوع لعملية بحث باطنى، وفيه أكتشف المعانى الجوهرية لخبراتى، وأشعر أنى متيقظة وأقوم بتحويل نفسى، ومن ثم أمكن نفسى من اكتساب نقاط تركيز أكثر فى حياتى وفى مهنتى.

هذه المساحات المتعلقة بتنمية الذات مفيدة سواء لرحلتى البحثية ولخبرة مبحوثاتى.

خبراتى باعتبارى موجهة

خلال التحول، كان على اجتياز مناطق الثقة فى الذات وتقدير النفس واكتشافها والمعرفة بها، وما يعنيه هذا لتطورى المهنى، وخاصة فى مجال بحوث النوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات واستخدام معرفة وأدوات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، لقد حققت مكاسب فى الميادين التالية وأصبحت:

١- متحدثة تمارس التحريض، وخاصة بالنسبة للفتيات الشابات اللاتى يتجنبن ميدان تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والدورات الدراسية الأخرى المرتبطة بالعلوم بسبب الخجل:

> بالأمس زرنا مدرسة موى الثانوية للبنات، فى أسينيا، وتحدثت إلى الفتيات حول اختيار موضوعات الدراسة والمهن. وشجعناهن على تطوير موقف إيجابى تجاه المواضعات العلمية، وعلى ألا يقصرن أنفسهن، ويذهبن إلى الحد من قدراتهن. كن مسرورات إذ نظرن إلينا كأمثلة لنساء تمكن من النجاح فى دراسة موضوعات علمية، وفى الاشتغال بمهن فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. (My journal, 2008)

٢- مرشدة مهنية ومستشارة للأسرة والأصدقاء، وخاصة المبتعدين عن الموضوعات العلمية والمهن المرتبطة بالعلوم.

٣- ناصحة للشابات والفتيات الراغبات اتخاذ مسار مهنى فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

٤- نموذج الدور: "إنهن يتطلعن إلىّ ومستعدات دائما للانتباه لما أقوله. لقد كسبت ثقتهن واحترامهن" (my morning pages, 2007).

٥- متمتعة بالنجاح: "أكسب رضا ذاتيًا عندما أعود إلى شابة أو فتاة كانت تعتقد أن الموضوعات العلمية والمهن المرتبطة بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تخص الرجال أساسا، ومن ثم تحد المجال أمام نفسها" (my morning pages, 2007).

وباعتبارى موجهة، حقق لى التوجيه ما يلى:

- وسيط، أقوم عبره بعكس ممارستى الشخصية باعتبارى باحثة فى النوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

- فرصة لتطوير المهارات الشخصية والمهنية من خلال استخدام أدوات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وسبيلاً تؤدى إلى مزيد من البحث فى مجال النوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

- فرصًا لتكوين شبكات مع المتخصصات الأخريات فى المجال المهنى لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

- الرضا الوظيفى فى بحث تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وثقة متزايدة فى النفس من خلال الحديث المحفز، وخاصة إلى الفتيات الصغيرات اللاتى يرين دائما مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والعلوم الأخرى كميادين خاصة بالرجال.

- فرصا جديدة للتطور المهنى والتخصصى فى بحوث النوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

المهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، والباحثات حول موضوع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات:

ما نراه منعكسا فى المرآة

تتضمن عمليات التوجيه بالنسبة للمهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ولى، عمليتى عطاء وأخذ على السواء. الرضا النفسى المستمد من نقل المرء لما تعلمه إلى شخص يشاركه فى مواضيع الاهتمام والرغبات نفسها، يعد منحة فى حد ذاته. وفوق هذا، يتضمن تقديم التوجيه تعلمًا فى جانب منه: هناك فرص لتلقى ردود فعل نقدية، واكتساب تفكير مستقل، وتبصر بحقائق جديدة، وهى قدرات مهمة سواء لباحثى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات أو المهنيات فى المجال ذاته. إنها ترفع من احترام الذات، واكتشاف الذات، والمعرفة الذاتية والتطور المهنى، ومن هنا تؤدى إلى الرضا الذاتى. وتعتبر هذه، وستظل، أبعادًا مهمة جدًا فى كل أوقات العمل المهنى والحياة المهنية بمجملها.

يحقق التوجيه دعمًا ضروريًا للغاية. وبشكل خاص، تكون الراغبات فى التقدم إلى الاشتغال بمهنة فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، فى أمس الحاجة للتوجيه، وذلك نظرًا للعقبات الكبيرة التى نواجهها. وتعتبر زيادة الثقة فى النفس والتقدير الكبير لها شيئا مهمة للباحثات والمهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. إذ نحتاج إلى الحافز والدعم اللذين يصلان عبر عمليات التعلم والتقدم المهنى، وقد أظهر التوجيه فائدته الكبيرة فى هذا الخصوص.

وأكدت الخبرات التى تبادلناها فى هذا الفصل أهمية التوجيه بالنسبة لكل من الباحثيات والمهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، سواء كن متلقيات له أو مقدمات. وتهدف تلك الخبرات إلى إلهام الأخريات لاستكشاف هذه القدرات فى أنفسهن وإتاحة فرصة لها لخوض تلك الخبرات. ومن خلال تطوير المعرفة والرؤى الجديدة، ستشجع الثقة فى النفس والتقدير الذاتى، سواء لدى متلقيات التوجيه أو المقدمات له، على احتفاظهن بمراكزهن فى ميدان تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وتقوية علاقاتهن داخله. وهكذا لن يستفيد من عمليات التوجيه، هؤلاء الأفراد الذين مروا بخبرة التوجيه فقط، ولكنه سيثرى أيضا ميدان تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات نفسه.

الهـــوامش

(١) أتوجه بالشكر إلى أوكواش أباجي، رئيس فريق البحث، وأوليف سيفنا، عضوة فريق البحث.

(٢) تقرير البحث متاح على العنوان www.GRACE Network.net وتمت مناقشة نتائجه في الفصل الخامس عشر من هذا الكتاب.

المراجـــع

Meena, R. and M. Rusimbi (2008) Our Journey to Empowerment: The Role of ICT, Research report, www. GRACE-Network.net.

الفصل السابع عشر

رحلتنا نحو التمكين

دور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

روث مينا

مارى روزيمبى

"رحلتنا البحثية"

من خلال التدوين والبحث فى سير الحياة، أصبحنا واعيات بالفرص والعقبات التى ذكرتها منظمات الأعمال فى تنزانيا بالنسبة لاستخدام التليفون المحمول أو الإنترنت فى تعزيز مشاريعهن التجارية. لقد شاركت فى هذه الرحلة البحثية تسع من النساء، من بينهن الباحثتان اللتان كتبتا هذا الفصل. نشأت كل منا فى بيئة مختلفة، وحصلت على مستوى مختلف من التعليم، وتحمل وجهات نظر تتباين عن الأخريات فى الحياة، ولديها حالة عاطفية خاصة مختلفة. كانت لدينا جميعًا أحلام ومواطن قوة داخلية ونواجه تحديات مختلفة، ولكن لم يبد على أى منا أنها تشعر باليأس. ويركز هذا الفصل على هذه القوة الداخلية والشعور بالتمكين. ولن تتسع المساحة هنا لقص حكاية كل مبحوثة، ولذلك اخترنا تلخيص خمس منها فقط. ولا ندعى أنها تمثل التسع سيدات جميعهن، حيث لكل منا خبرات تتفرد بها، وعلى هذا لا يمكن التعميم[١].

تجاوزت باهاتى الفقر عندما أصبحت مصففة شعر مستقلة؛ يتمثل المصدر الأساسى لرأس مالها فى رشاقة أصابعها والتليفون المحمول. بينما بدأت روز ليمو رحلتها بالنسخ على الآلة الكاتبة، ثم أصبحت الآن شريكة فى ملكية مدرسة، ولديها شركة تخليص وشحن خاصة بها، ومساهمة فى شركات تجارية متنوعة. وانجذبت مارى روزيمبى إلى العمل الاجتماعى تأثراً بجدتها التى عاشت معها لمدة أربع سنوات. وبدأت ديميرا مواجهة الذكورية والتنميط الاجتماعى منذ طفولتها، والآن لديها دار نشر مع شريكات لهن ميول نسوية. وتحدت روث مينا عدم اقتناع والدها، ودفعت نفسها للوصول إلى مستوى أستاذ فى العلوم السياسية، وناشطة فى مجال حقوق الإنسان.

نبدأ بشرح الطرق المختلفة التى عرفت بها النساء الخمس السلطة. ثم يلى ذلك استكشاف العوامل التى أثرت فى مسيرتهن إلى التمكين. ومن سياق هذه المسيرة والعقبات التى انطوت عليها، نكتشف تأثير وسيلتين من وسائل المعلومات، التليفون المحمول وشبكة الإنترنت، على أبعاد المسارات التى اختارتها النساء.

ماذا نعنى بالسلطة؟

كان لكل امرأة من مبحوثاتنا تعريفها لما تعنيه السلطة بالنسبة لها. وفى هذا الفصل لا نقدم التعريف الوظيفى للسلطة حيث لكل منا خبرة مختلفة حولها، وخصوصاً ما يتعلق بالقوة الداخلية، ورغم أن هناك خيوطاً مشتركة تتخلل كل التعريفات، فإن لكل منا طريقتها المتفردة فى صياغة مفهوم القوة الداخلية. إذ مثلت لبعضنا الدافع الداخلى الذى يوجهنا إلى فعل الأشياء؛ وبالنسبة لبعض آخر، كان حب النفس الذى يدفعنا أيضا؛ وبالنسبة لغيرهن كانت حب الذات الذى يجعل الإنسان يعتنى بنفسه أولاً، بما يتضمنه ذلك الاستماع إلى صوته الداخلى. كما كانت القوة بالنسبة لأخريات، العملية التى تمضى خطوة فخطوة، وتحرك إنساناً ما من النقطة أ إلى النقطة ب، رغم الوعورة التى قد يقابلها فى الطريق. وينظر إليها أيضاً كطاقة من الداخل تعطى

الشخص شجاعة الإقدام. والبعد المشترك الوحيد بين التعريفات، أن أيا من النساء لم تنظر إلى القوة كقدرة على الضغط للتحكم في الآخرين، أو اكتساب نفوذ على الآخرين، أو دفعهم لفعل أشياء لم يكونوا ليقوموا بها دون ذلك.

باهاتى

قالت باهاتى "السلطة قوة من الداخل تدفعك إلى فعل أشياء لصالح شخصك". وتعمل باهاتى الآن مصففة شعر مستقلة. لم تحصل سوى على تعليم ابتدائى، وبضعة شهور من التدريب على صناعة الملابس. لقد فرت من فقر الريف وانتقلت إلى منطقة حضرية سعيا إلى الفرص. ولاحظت أن مجال العمل فى صناعة الملابس يتضمن منافسة عالية، وذلك بدعم من خالتها التى لا تعمل وتعيش على دعم أولادها، بدأت باهاتى محاولة العمل فى مجال تصفيف الشعر. ومن خلال خفض النفقات الأخرى إلى أدنى حد ممكن لمدة عامين، أصبحت قادرة على شراء تليفون محمول. وعملت بجدية فى البحث عن عملاء حتى تستطيع العمل مستقلة. وأصبحت فيما بعد قادرة على شراء قطعة أرض فى أحد أحياء الفقراء وبنت فوقها منزلاً، وواصلت عملها مصففة شعر مستقلة.

تخصيص تليفون محمول للعمل، كان رأس مال باهاتى الذى اعتمدت عليه عند بداية عملها لحساب نفسها، مجرد التليفون المحمول وأناملها. بينما كانت تصفف شعر بعض زبائنها المنتظمين فى الصالون الذى تعمل به، بدأت تهمس لهن بنيتها ترك العمل هناك، وأنها ستعمل لحسابها. ولم يستغرق حصولها على عدد من الزبائن القدماء والجديدين وقتًا طويلاً. ولم تبحث عن زبائن باستخدم التليفون، ولكنه كان فقط لتلقى مكالماتهن.

> أعتقد أن إعلانى عن عملى يأتى من جودة شغلى، وهكذا، كنت كلما أتقنت نمطًا من التصفيف لإحدى النساء، تسألها صديقاتها عن مصفف شعرها، وكيف يمكن الوصول إليه. فتعطيهن رقمى، فتطلبنى الأخرى لتحديد موعد. ولا أطلب الزبائن إلا فى حالة رغبتى فى التحقق من إحداهن عن نوع الشعر الإضافى الذى تود ملاءمته مع النمط الذى اختارته للتصفيف. ولذلك لا أكاد أنفق على التليفون أكثر من ١٠ آلاف شلن تنزانى، ١٠ دولارات أمريكية كل شهر.

من خلال امتلاك تليفون، أصبحت باهاتى قادرة على تخطى عدد من العقبات. أولاً، تركت عملاً كانت تُستغل فيه. وقد تطلب هذا القرار منها امتلاك إرادة قوية جداً، فكان من الجائز أن يعرضها لخطر كبير. وكانت حينها تعول نفسها، حيث فقدت الخالة التى كانت تعيش معها سابقا. وتتذكر أنها عندما بدأت العمل لحساب نفسها، كانت تعمل ليل نهار.

لا تستطيع باهاتى استخدام التليفون المحمول فى الاتصال بأسراتها، حتى وإن كانت قادرة على تحمل تكاليف ذلك. فأسرتها تعيش فى ريف أوجيجى، حيث لا يوجد اتصال سواء بالتليفون الأرضى أو المحمول. ومنذ قدومها إلى دار السلام، لم تتمكن من العودة إلى منزلها، وخلال العامين السابقين على المقابلة التى أجريناها معها لم تكن تلقت أى معلومات عن أحوال أسرتها. وتعد هذه إحدى العقبات التى لا تستطيع باهاتى التغلب عليها، وتعكس تمييزا فى فرص استخدام الأجهزة الإلكترونية بين الريف والحضر. وبينما أدى تطور صناعة التكنولوجيا إلى خلق "قرية عالمية"، مفتوحة الحدود، إلا أن هناك بعض الحواجز التى توسع هوة الانقسامات.

وعندما أجرينا المقابلة مع باهاتى، كانت قد انتقلت لتوها إلى منزلها الجديد. وتخطط لعرض إحدى الحجرات الصغيرة للإيجار لتستطيع زيادة دخلها وتقليل مخاطر إقامتها بمفردها قدر الإمكان. وقد أصبحت فى وضع أكثر راحة قليلا، حيث لن يكون عليها العمل ليل نهار لتلبية حاجاتها الأساسية. إذ إنها أصبحت قادرة على كسب نحو ٣٠٠ ألف شلن تنزانى كل شهر غير خاضعة لضريبة، أى ما يساوى ٣٠٠ دولار أمريكى شهريًا، مما أتاح لها تجاوز خط الفقر بمسافة، إذا قدرناه بأقل من دولار يوميًا. وبالتأكيد، يسر الجمع بين "قوتها الداخلية" مع تليفونها المحمول، حراكها الاقتصادى.

روز ليمو

وفقا لروز ليمو "السلطة هى القدرة على اختراق الحواجز للوصول إلى تحقيق رؤيتك لحياتك من خلال عملية تتم خطوة فخطوة." وتمتلك روز الآن مع شركاء لها مدرسةً فى الريف، أطلقوا عليها "اختراق الحواجز"، ولديها بمفردها شركة تفريغ وشحن تعرف باسم "تى تى" (وتعنى خطوة فخطوة).

وقالت "لن أتوقف إطلاقا، ولكنى أؤمن بمنهج خطوة فخطوة فى كشف قدراتى. هذا هو كل شىء لدىّ عن السلطة".

وعندما سُئلت روز عن السبب الذى شجعها على بداية عملها التجارى، خاصة أنها كانت قد بدأت بالفعل مسار عملها كمهنية، قالت:

> "بشكل أساسى، كان داخلى شىء يدفعنى بعيداً عن الوظائف الرسمية. وجدت أنى لا أشعر بالرضا مهما ارتقيت فى عملى المهنى. عندما كنت طفلة حلمت بأن أصير طبيبة، ولكن لم يكن أدائى جيداً فى المواد التى يتطلبها الحصول على شهادة فى الطب. ولذلك، انتهى بى المطاف إلى العمل ناسخة على آلة الكتابة، وسكرتيرة. وحتى عندما التحقت بالعمل فى الأمم المتحدة كسكرتيرة إدارية، لم يرضنى هذا. إنها طاقة داخلية دفعتنى للتوجه إلى العمل التجارى".

تقدمت رحلتها عبر خطوات أساسية، كان آخرها مشاركتها الحالية فى الأنشطة المدنية: فهى مديرة مجلس إدارة أحد البنوك الوطنية، ورئيسة مجلس إدارة فرع تانزانيا لشركة أول أفريكان ترافيل آند توريزم، وعضو فى نادى الروتارى.

ما تأثير الأشكال المختلفة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى هذه العملية؟ تتطلب أعمال روز التجارية الحالية ومشاركتها فى الأنشطة المدنية المتعددة لحجم واسع من الاتصالات. على سبيل المثال، تحتاج شركة التفريغ والشحن إلى معلومات من المصدرين ووكالات الشحن والاستيراد. وأى تعطيل لتدفق المعلومات سيكلف العميل مبلغًا كبيراً من المال مقابل التخزين فى الميناء، وربما يكون فى هذا دمار للشركة. ووفقا لروز، حتى تحقق هذه الشركة أرباح "عليك أن تكونى فى قمة الحذر، وإلا ستجدى صعوبة فى اجتذاب العملاء، حيث المنافسة شديدة فى هذا المجال".

تدار مدرسة روز من مبنى آخر، إذ كان عليها استخدام مكتب شركتها بالمدينة فى عديد من أنشطة المدرسة، نظرًا لعدم توفر التيار الكهربى فيها. لذا تتم أعمال التصوير وخدمات السكرتارية فى مكتب روز بالمدينة. وهناك لا مشكلة فى وسائل الاتصال، إذ تستطيع الاتصال بمدير المدرسة عن طريق غرف الدردشة على الإنترنت والإيميل، ومن ثم تخفض تكلفة فاتورة التليفون والوقت الذى يستغرق الذهاب والإياب من وإلى المدرسة. المدرسة داخلية، تقبل بعض الأطفال الصغار من عمر ١٣ سنة وما فوقها. ولا مجال لإهمال ضرورة التواصل مع الآباء. وعندما تواجه أحد هؤلاء الأطفال مشكلة، يصبح اتصال روز أو مدير المدرسة مع والديه ضرورة. وإلى جانب هذا، يتصل الآن الآباء والأمهات ويتابعون تقدم أبنائهم. ومن دون التليفون ربما لم يكن بعضهم ليختار هذه المدرسة، وكان ذلك سيؤثر على نشاطها.

وبالإضافة إلى ذلك، فملكية المدرسة مشتركة، وتدار بشكل مشترك، وتأخذ روز على عاتقها مسئوليات أكثر فى الإدارة اليومية للمدرسة. وهى فى حاجة للاتصال مع شريكها بانتظام حول سير العمل، وأى شئون أخرى تتطلب عناية مباشرة. كما تحلم روز أيضًا بتوسيع المدرسة لتضم تلاميذ فى التعليم الابتدائى. ويتطلب هذا اتصالات واسعة مع العملاء المحتملين، والأفراد ومؤسسات الأنشطة المماثلة والمدير الذى تعمل بالتعاون معه.

ومن المعلوم أن الأعمال التجارية يلزمها توفير موارد، سواء كانت موارد مالية أم مرتبطة بالمواد. ومن هنا، يحتاج الشخص معلومات حول التسهيلات الائتمانية المتوفرة. وقد أتاح اشتراك روز فى عدد من الشبكات التجارية، أن توفر لنفسها بعض الميزات التنافسية بالنسبة لإيجاد مصادر لتمويل التوسع، وتنويع مشروعاتها. وقد احتاج هذا أيضًا لتبادل المعلومات مع مؤسسات التمويل والشركاء التجاريين الآخرين. ويصعب إجراء حساب دقيق للتكلفة التى تحملتها روز فى تواصلها مع مختلف شركائها. وكانت تخصص لتليفون المدرسة ميزانية قدرها ٤٠٠ ألف شلن تنزانى كل شهر. ولكنها لم ترصد بعد تكاليف البنود الأخرى. وهى تجد تكاليف التليفون المحمول باهظة، ولكنها ضرورية لأعمالها التجارية.

مارى روزيمبى

تقول مارى روزيمبى، "القوة أن تكون قادرا على خلق خيارات واستكشاف ما يحقق مصلحتك فى الخيارات القائمة". ومارى ناشطة نسوية تقوم بالتدريب على مهارات العمل عبر المشاركة وتنشيط المجموعات، وهى مدرسة فى مجال تعليم الكبار، ومتخصصة فى قضايا النوع الاجتماعى أيضا. كما أنها والدة ترعى بمفردها ابنين، وكانت لديها ابنة بالإضافة إليهما، ولكن توفاها الله. وكانت تشغل وقت إجراء هذا البحث، منصب المدير التنفيذى لمنظمة قوية جداً للنشيطات النسويات (هى البرنامج التنزانى لتكوين شبكات حول النوع الاجتماعى Tanzania Gender Networking Programme -TGNP). ولانتماء مارى لأسرة من الطبقة المتوسطة، لأبوين يوفران الدعم لأبنائهما، كانت الفرص متاحة أمامها، وكان بمقدورها خلق"الخيارات".

وترجع مارى تبنيها لمبدأ المساواة، ورغبتها فى العمل مع الناس، وأيديولوجيتها المنحازة للفقراء، وتبنيها لفكرة التمكين وحقوق الإنسان إلى الخبرة التى اكتسبتها فى طفولتها المبكرة، حينما عاشت لسنوات مع جدتها فى القرية. وتقول مارى "كان للقرية تأثير هائل فى حياتى، وعلى الطريقة التى انظر بها إلى الأشياء. وكان لموقفى تجاه الناس، وإدراكى للفقر، وإيمانى بقضايا العدالة الاجتماعية والمساواة، جذور عميقة فى السنوات التى قضيتها مع جدتى".

وغرست فيها الشبكات وأنظمة الدعم التى شهدتها طفولتها فى المجتمع المحلى لجدتها، الإحساس باحترام كل البشر بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية. وتقول "قبل كل شىء، منحتنى فهما عميقا عن ماهية الفقر المادى والثروة التى فى قلوب المواطنين الفقراء العاديين فى مجتمعاتنا المحلية. وفات ذلك على أشقائى الذين تربوا فى الحضر، وميزنى عنهم من وجوه عدة".

وتقول إنها وجدت طريقها إلى التعليم معبداً، حيث أراد لها والداها الحصول على تعليم جيد، على عكس عديد من الفتيات الأخريات اللاتى عانين من الأبوية كعقبة فى التحاقهن بالمدارس. ودخلت مارى الجامعة عام ١٩٧٣، وتخصصت فى تعليم الكبار

والتاريخ واللغات، وهى مواد منحتها خلفية فى مناهج التحليل واللغة وتعليم الكبار، وتضمنت المناهج التشاركية. وأكملت دراستها إلى مستوى الماجستير. وألهمها أثناء دراستها اثنان من المفكرين، أولهما جى كيه نيريرى رجل السياسة والمعلم، والآخر باولو فريرى وفلسفته حول التعليم من أجل التمكين وتنمية الوعى. "وكان لكتاب تعليم المقهورين تأثير مفيد للغاية على حياتى إلى جانب نصوص أخرى، مثل كتاب رودنى "أوربا أصل تخلف أفريقيا (Europe Underdeveloped Africa). وفى منحة الدراسات النسوية، أحببت للغاية كتابات مايا أنجيلو. وشكلت تلك النصوص أيديولوجيتى، وإيمانى بتمكين الناس."

عملت مارى فى عدد من السفارات قبل التحاقها كمديرة تنفيذية فى البرنامج التنزانى لتكوين الشبكات فى مجال النوع الاجتماعى. تعرفت مارى من خلال عملها فى السفارات على أساليب جديدة فى العمل، من بينها استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ورغم هذا فبعد فترة وجيزة، خاب أملها فى فكرة الدعم الخارجى بمجملها كإستراتيجية أساسية للتغلب على الفقر وعدم المساواة النوعية. وتقول: "ولدت خيبة الأمل لدى رغبة أكبر فى العمل مع منظمات المجتمع المدنى التى تناضل من أجل العدالة والإنصاف والمساواة فى توزيع الموارد الوطنية. وكان هذا سببا فى تركها العمل بالسفارة والتحاقها بالمجتمع المدنى".

وأثر استخدام التليفون والإنترنت على حياة مارى فى أدوارها وهوياتها المتعددة، فقد استخدمتهما بكثافة. وتقول "لا أعرف كيف كانت ستستمر حياتى لولا هذه الأدوات. وتعتبر كلا من التليفون والإنترنت أدوات العمل التى يسرت لها إدارة حياتها الشخصية وأسرتها المباشرة، وأيضًا إدارة البرنامج التنزانى لتكوين شبكات النوع الاجتماعى" (TGNP).

"عندما كان ابنى فى أستراليا، كان علىّ إنفاق ١٥٠ دولارًا شهريا لأبقى على اتصال به. ومع تعرض ابنى لصدمة بسبب وفاة عدد من أفراد الأسرة، نما داخله الخوف، الخوف من الموت، الخوف من فقدانى، إذ لم يعد لديه سوى بعد والده، وربما أصبح أيضًا يخشى من الحياة. ورغم أنى أنفقت نسبة كبيرة من دخلى على المكالمات

التليفونية، فإن ذلك كان بمثابة علاج لابنى، ولى أيضًا. كان بعيدًا، وكنا نرتبط ببعضنا بعضًا بواسطة التليفون، والإيميل بعد ذلك".

ويدرس ابنى الأصغر الآن فى سوازيلاند، وأفعل معه الشىء نفسه. اشتريت له تليفونًا. ويرسل لى الرسائل إذا احتاج إلى مساعدتى، وتكون لنا محادثة طويلة على الأقل مرة كل أسبوع. فى الحقيقة، وعلى المستوى الشخصى، مكننى التليفون من القيام بدور الأمومة عن بعد، ومكننى من تأسيس روابط مع ابنى، وبناء صداقة متينة".

وتتصل مارى مع أمها يوميًا، إذ إنها لا تستطيع زيارتها كثيرا، مثل أخواتها الأخريات بسبب طبيعة عملها. وتتفهم أمها ذلك. وتتصل أيضا مع شقيقاتها، فيما يتعلق بالشئون العائلية يوميًا. وكل هذا فضلاً عن البقاء على صلة مع أصدقائها، بمن فيهم أعضاء الشبكة.

وتعتبر مارى مواقع الإنترنت مصدرًا جيدًا للمعلومات والمعرفة اللازمتين للتطوير الذاتى. وفضلاً عن عملها لدوام كامل فى البرنامج التنزانى لتكوين شبكات النوع الاجتماعى (TGNP)، تقوم أيضًا بعملها كمستشارة لحساب المنظمة، وأثناء عطلاتها، تشارك فى استشارات لحسابها الخاص. وكمدربة، تطور المصادر التى تعتمد عليها فى التدريب ومهارات التدريب على النوع الاجتماعى من خلال البحث فى المواقع على الإنترنت، والنصوص المتاحة بها. وكان قسم تنمية المعلومات داخل البرنامج (TGNP)، مفيدًا للغاية فى توفير الدعم الفنى اللازم للبحث عن هذه المعرفة.

وباعتبارها مديرة تنفيذية لشبكة نسوية ومنظمة دفاعية، ترى مارى الاتصالات الداخلية الجيدة، أمرًا أساسيا لاستمرارها. وأسسوا داخل المنظمة نظام اتصال عن طريق الأجهزة الإلكترونية، يمكن الموظفين من تبادل الملاحظات والمذكرات، والدخول فى مناقشات، وبلورة قضايا عديدة، ولولا هذا النظام، لم يكن كل ذلك يتم إلا بخطوات متتابعة بين المكاتب. ومن ثم فقد أحدث انقلابا فى طريقة عملهم.

وتقول مارى: "ورغم ذلك، لم تحل هذه الإستراتيجية فى الاتصالات محل اجتماعات فريق العمل، بل مكنتنا أن نكون أكثر تركيزا على شئون أساسية بدرجة أكبر للمنظمة".

ديميرا كيتونجا

تقول دميرا كيتونجا إن "القوة هى طاقة بداخل الشخص، تجعله قادراً على التفكير فى حياته الخاصة، ومطالبة البناء الاجتماعى بهويتنا." تشبه كيتونجا الدينامو، فى أنشطتها، إنها ناشرة وإحدى أول المشاركات فى ملكية دار للنشر، فنانة، ناشطة نسوية، وأم لثلاثة أطفال. وكانت قادرة على النجاح، من خلال العمل بعزم وحماس وفقًا لخطة تمويل محددة وفى بيئة أعمال مواتية، على مقاومة التنميط الاجتماعى. وكان لتعرفها على تقاليد وخبرات ثقافية متنوعة، تأثير هائل على رحلة حياتها. وتقول فى إشارة إلى أمها وجدتها "نشأت على يدى سيدتين قويتين، كان لهما تأثير هائل على حياتى":

> "تعلمت من أمى رفض القولبة التنميطية، وتحدى البنى النوعية للأدوار الاجتماعية والحياة الجنسية. وتعلمت من جدتى، حب الفلكلور، والإعجاب بالتراث الثقافى ورواية الحكايات. وتعرفت أثناء سفرى مع أبى من مكان ريفى إلى آخر، على تنوع اللغات واللهجات، واشتد فهمى لتنوع التراث الثقافى. وفى المدرسة الابتدائية والخدمة الوطنية، شعرت بتحدٍ لهويتى الجنسوية، إذ حاولت المؤسسات غرس حب الوطن بداخلى وتعليمه لى، فى إطار السياق الأبوى والهيراركى، وبالتالى فشلت فى التمييز بين الهوية الوطنية والشخصية، فى وقت كنت أثناءه فى أمس الحاجة للشعور بالتقدير لذاتى".

عاشت ديميرا طفولة حيوية. ورغم تربيتها فى منطقة مطبوعة على التقاليد والأعراف التى تنشئ البنات والأولاد على أدوار محددة لكل من النوعين، فإنها شككت فى القواعد القائمة على قوالب تنميطية من طفولتها المبكرة ورفضتها. أحبت التصفير بفمها وتسلق الأشجار، السلوك الذى اعتبروه غير ملائم للبنت. وعندما سألت ديميرا أمها لماذا يعتبر التصفير وتسلق الأشجار غير ملائمين لها، قالت أمها "إذا كانت لديك ملكات فى هذه الأمور لا تتوقفى، واستخدميها على أنها ملكات وهبها لك الله". ويتعارض هذا مع التصور الذى نميل للاعتقاد فيه، بالنسبة للمرأة الريفية، وغير المتعلمة، وحول الوعى النسوى. لقد أثرت الأم فعليًا على مواقف ديميرا تجاه احترام ذاتها، وحياتها الجنسية، واقتناعها بجدارتها.

وكانت جدة ديميرا، السيدة الأخرى التى أثرت فى حياتها، والتى عاشت معها قسمًا من طفولتها. كانت جدتها تروى لها الحكايات، وتعرفها على الفلكلور المحلى وكلمات الأغانى وطقوس البلوغ. ولا بد أن هذه الثروة من المعــرفة والخـــبرة كان لها تأثير باقٍ على حياة ديميرا. لقد أصبحت كاتبة متدفقة، وخـاصة لكتب الأطفــال، وألفت شعرًا وكتبت أغانى شـعبيـــة، وتكن إعجـــابًا شـديد الحمـــاس للموسيقى والثقافة التقليدية.

وطور التعليم الثانوى مواهب ديميرا. والتحقت بمنتديات القراءة والمناقشات والكتابة. وقابلت أيضًا فتيات مهتمات ومتحمسات للفنون واللغات والثقافة. وفى هذا المستوى، كانت مهاراتها فى القراءة والكتابة واللغات قد نضجت. ومثلت لها أصولاً طويلة الأمد فى حياتها المهنية وأنشطتها التجارية.

علاقة ديميرا بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات: بالنسبة لديميرا وشريكتها فى الإدارة إليشى، كانت الاتصالات الإلكترونية شيئًا محوريًا لعملهما اليومى فى التحرير والنشر. كانت تمكنهما من الاحتفاظ بقاعدة بيانات العملاء، وإصدار الأوامر، وإرسال كثير من الإيميلات للتواصل مع أصحاب المطـــابع، وفــريق العمــل، والآخــــرين، ووفقًا لديميرا:

> "فى صناعة النشر، تعتبر اتصالاتك العمود الفقرى لمثل هذا النوع من الأنشطة. عليك الاتصال بمؤلفى الكتب أو المقالات التى تقومين بتحريرها، وأنت فى حاجة للاتصال بأصحاب المطابع، وأيضًا للبحث عن أسواق. فضلاً عن ذلك، يكون عليك الإعلان عن نفسك، والوصول للمعلومات والمعــرفة أيضًا حول صنــاعة النشــر. ولكن كناشطة، أنت فى حاجة إلى أن تكونى جزءًا من شبكات، وتشاركى مع الآخرين، أحيانًا عبر الإيميل. وكثم لشباب صغار، تحتاجين إلى الاتصال معهم لتبادل الدعم. لا يمكن التفكير فى صناعة النشر اليوم دون أدوات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات".

روث مينا

تقول روث مينا "التمكين هو الثقة فى الذات وإدارتها، بما يدفعك للحركة فى حياتك ضد كل العقبات"، وروث مينا باحثة فى العلوم السياسية، ونسوية، وناشطة فى مجال حقوق الإنسان، وأم لأربعة أبناء، وجدة لأربعة أحفاد، وصديقة للكثيرين. "عندما التزمت بالعمل فى هذا البحث كانت تعد نفسها للتقاعد من عملها بالجامعة، وتخطط لإنشاء مركز للتعليم، ستديره بنفسها. ويتبع مركزها الجديد مدرسة للتعليم الثانوى، تعد محور أنشطته، إلى جانب غيرها من الأنشطة التعليميـة الأخرى قصيرة المدى، التى تستهدف الشباب. وتعتزم أن تستفيد المدرسة الثانوية، التى تعد مرحلة تمهيدية للتعليم الجامعى، من تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بشكل مكثف.

ولدت روث فى عائلة اتسمت بتعدد الزوجات، وكان لها ١٢ طفلاً، ١٠ بنات، وولدان. وعندما تزوجت أخت روث الكبيرة، "أعطوها" إلى أختها لتساعدها (وكان عمرها خمس سنوات). نشأت باعتبارها الطفلة الأولى لأختها، عليها كثير من المسئوليات، تتضمن أعباء منزلية، مثل العناية بأطفال أختها الصغار ، تنظيف حظيرة الحيوانات، وجلب المياه والحطب لإشعال النار، والطهو، إذ كانت أختها مشغولة فى أعمال المزرعة. شعرت روث بأن والديها أرسلاها إلى أختها الكبرى حتى تنشأ اجتماعيا على أن تكون امرأة مجدة تستطيع القيام بالمهام التى ترسخت باعتبارها عمل النساء.

وبينما جمعت روث بين أدوارها المنزلية فضلاً عن الدراسة، لم يكن أداؤها جيداً فى اختبارات الصف الرابع. ولحسن حظها، كان لها أخ مقتنع بوجهة نظر أوسع عن تعليم الفتيات، وقرر إبعادها من عند أختها، وأعادها إلى المدرسة، لتعيد الصف الرابع الابتدائى. ونجحت بدرجات مرتفعة جداً، وكانت إحدى بنتين تم اختيارهما من فصلها لتلتحق بالمدرسة الداخلية. وهذا ما فتح الباب أمامها لمزيد من فرص التعليم حتى وصلت إلى المستوى الجامعى، دون أى رسوب.

"في الحقيقة، كان والدى يمثل لى حافزًا ولكن بصورة سالبة. أبى لم يرد أبدًا أن تكون له ابنة يتجاوز تعليمها الصف الرابع الابتدائي، بينما قرر أن يساعد الولدين حتى أعلى مستوى يرغبان فيه. وأغضبني هذا جدًا. ربما لو لم يكن بسبب ضغط والدى، لأنهيت تعليمي بعد الصف الثامن واتجهت إلى العمل بمهنة التعليم أو التمريض مثل أختى، ولكنى فقط قررت البرهنة على خطأ والدى، وطالما أنه قال لن يكون هناك مزيد من التعليم، مضيت لاستكمال تعليمي دون التركيز على نقطة محددة، ولا طموح فى مهنة ما أو فى التعليم الجامعي".

وأثناء دراستها فى المستوى الأول، بدأت روث الاستمتاع بالتعليم. تقول: "حدث هذا عندما لم يعد يدفعني للتقدم إلى المستوى الأعلى الحافز السلبي المتمثل فى مقاومة الأبوية، ولكن حب التعليم."

في عام ١٩٦٨، كانت روث بين قليل من السيدات اخترن للالتحاق بكلية جامعة شرق أفريقيا، التى تحولت عام ١٩٧١ إلى جامعة دار السلام، التى تخرجت فيها. تقول عندما التحقت بالجامعة بدأت "البحث عن الذات" فيما يتعلق بماذا تريد أن تفعل بتعليمها. "بأمانة، خشيت مجرد التسجيل فى العلوم الاقتصادية كمادة أساسية لى، حيث أعلم مدى متطلبات وظيفة فى مجال كهذا!". لم يكن فى المدرسة الثانوية من تستشيره حول المهنة التى تريد العمل بها، وفى الجامعة كان هناك افتراض أن الطلاب الذين ارتقوا فى رحلة تعليمهم حتى هذا المستوى، لا بد أن لديهم المعلومات اللازمة! وإذا رجعنا بذهننا إلى الستينيات، لن نجد أجهزة كمبيوتر للبحث عن المعلومات المفيدة حول المسارات المهنية. وبينما اتخذت من مدرسيها نموذجًا مهنيًا، قررت تغيير مجال دراستها إلى التعليم. وهكذا أغلق النقص فى المعلومات أحد المسارات المهنية أمامها، وربما فتح الباب لها إلى مهنة التدريس، الأمر الذى يبدو أنها لم تأسف عليه.

وهكذا، اختارت ثلاث مواد أساسية، العلوم السياسية، والتعليم، والتاريخ. وهذه المجموعة عرفتها على أساتذة لهم قدرة كبيرة على التأثير، ومفكرين رواد فى الاقتصاد السياسى والتاريخ. تعرفت على يد العالم المتميز الراحل والتر رودنى، على التاريخ السياسى للاستعمار والإمبريالية والتخلف. وتعرفت على يد جون سول وليونيل كليف

على الجدل الاشتراكى، وفلسفة "الأوجاما"(*) والماركسية. ومع المحاضرات العامة التى كان ينظمها بعض هؤلاء الأساتذة فى "الميدان الثورى"، والتى كانت تربط الإمبريالية بالاستعمار الجديد، طورت وعيها السياسى إلى نظريات الاضطهاد والتخلف. وبينما تقول إن "التعليم الجامعى كان ملهما وممكنا"، فالعجيب أن تلك المعرفة الثورية جداً لم تطلعها على المعرفة والوعى النسويين. ومع ذلك، كما تقول "خلقت الأساس لتوجهى إلى النشاط، وغرست داخلى روح القتال!". واكتسبت وعيها النسوى عن طريق التعليم من خلال الخبرة، وتعزز خلال تعريفها لنفسها على النظريات النسوية.

وتقول روث عن نفسها بالنسبة لارتباطها بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، إنها أصبحت مستهلكة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات منذ وقت طويل. فكما يظهر من مسار حياتها، كان للوصول إلى معلومات حيوية، أو عدم الوصول، تأثير حاسم فى حياتها. لقد مكنتها معلومة حول منحة دراسية، وصلت بكلمة شفهية، من مواصلة تعليمها الثانوى. وإذا كان الأمر هكذا، فالإنترنت تمثل مصدراً مفيداً جداً للمعلومات والمعرفة. وتدخل روث على بوابات معرفية متنوعة لتتوصل إلى النصوص التى ستستخدمها فى التدريس، وأيضاً مواد التدريب على النوع الاجتماعى. ويعيش كل أولادها ما عدا واحداً منهم، بالخارج مع عائلاتهم. وتتصل بهم روث عبر الإيميل والرسائل النصية القصيرة أسبوعياً. وتتصل بخدمة بث شبكة الإنترنت فائقة السرعة، برودباند ومن خلال غرف الدردشة مع أسرتها. ويقلل هذا تكلفة المكالمات التليفونية، التى ترى أنها فوق طاقتها. ولكنها أيضا تستخدم التليفون المحمول بكثافة فى التواصل مع أصدقائها وزملائها من النشطاء.

(*) فى الأصل Ujamaa، وهى كلمة باللغة السواحيلية، تعنى الأسرة الممتدة، أو تشير إلى علاقات العائلة. صاغها جيوليوس نيريرى ضمن فلسفته التوحيدية، لتشير إلى شعور الفرد أنه جزء من الجماعة التى يعيش فيها. وباستلهام هذه الفكرة توحدت تنزانيا مع استقلالها تحت هذا الاسم عام ١٩٦٤، وأصبح نيريرى أول رئيس لجمهورية تنزانيا. (المترجمة).

ملاحظات عامة حول القوة والمعلومات

من الخمس حالات التى قدمناها فيما سبق، يمكننا أن نرى أن السلطة ينظر إليها على أنها قوة داخلية، دفعة من الداخل، شيئا لا يكون ملموسًا، ولكنه بعد ذلك تيسره البيئة الخارجية. والسلطة الداخلية هى تلك القوة التى تأتى من داخل الشخص، وجعلت باهاتى تنتقل من كيجوما إلى دار السلام لتبحث عن الفرص، والأكثر من هذا جعلتها تأخذ القرارات التى حررتها من التبعية الأبدية الحرمان. إنها القوة التى جعلت روز ليمو تترك وظيفة رسمية وتعمل لدى نفسها مع رأسمال ضئيل. إنها القوة الدافعة التى جعلت روث تبحث عن تمويل منحة دراسية بعد التعليم الابتدائى، والقوة التى مكنت مارى روزيمبى من قيادة منظمة ديناميكية جدا، وفى الوقت نفسه توازن بين أدوارها الثلاثة. إنها الإلهام الذى دفع ديميرا كيتونجا للمغامرة فى مجال الأعمال التجارية التى يسيطر عليه الذكور.

إنها القوة والطاقة اللتان تمكن كل شخص من تحويل العقبات إلى تحديات، وتمكنه من اكتشاف الفرص فى بيئة أعمال تنتشر بها القيود. وفى هذا السياق، القوة هى الشىء الذى لا يكون ملموسًا دائمًا: ويصعب حسابه، ولكنه يتجسد من خلال أبعاد ملموسة داخل البيئة الخارجية للفرد. هذه القوة الداخلية فى كل واحدة منا، ولكن معظمنا (النساء) لا نلاحظها، وإذا فعلنا نميل إلى الخوف منها. معظم النساء لديها هذه القوة الداخلية، التى تتيح لنا جميعا البقاء فى ظل صور قاسية من الحرمان والقهر، بينما نعانى بصمت، ونضع الابتسامات على ووجوهنا.

القوة الداخلية لا تساعد فقط الأفراد فى تحديد اختياراتهم، ولكنها تدفع البعض إلى اختيارات بعيدة كل البعد عن الاختيارات التى كانت مهيأة لهم فى ظل الأعراف والممارسات الأبوية. كل النساء اللاتى عرضنا مسيراتهن، اتخذن قرارات محددة عملت على نقلهن خطوة واحدة باتجاه طريق التمكين، حينما عارضن الأعراف والماراسات المقبولة. كل النساء اللاتى عرضنا مسيراتهن أظهرن حبًا لذواتهن وشعوراً بجدارتهن، والتحكم فيها، وكان هذا ما دفعهن إلى تحدى التهميش، والاستبعاد الاجتماعى،

والمكانة المتدنية. حب باهاتى لذاتها دفعها إلى رفض ترك نفسها خاضعة للاستغلال، ووجهها إلى شراء الأداة التى يسرت نمو أعمالها.

وتأتى القدرة على الإصغاء إلى صوت الشخص الداخلى ، فى نفس أهمية عملية التمكين، الصوت الذى ينبهك للعناية بما تحبين، إنه الصوت الداخلى الذى وجه مارى إلى الاستقالة من وظيفة فى سفارة بأجر عالٍ، من أجل عمل أقل تميزاً من الناحية الاجتماعية مع منظمة نشطاء. استجابت ديميرا إلى الصوت الداخلى فيما يتعلق باختيار نمط التعليم الصحيح وتطوير مهاراتها بالاعتماد على نفسها. من الضروى أن تتعلم النساء الإصغاء إلى صوتهن الداخلى، لأن هذا ما يمكنهن من الاعتراض على الاختيارات التى تحدد لهن دون رضا منهن. رفضت نساء فى أحيانٍ كثيرة الالتفات إلى هذا المعلم الداخلى، وترتب على هذا مشاركتهن فى أنشطة ترسخ تبعيتهن ووضعهن الهامشى.

بصرف النظر عن القوة التى لدينا، إلا أن حبنا لأنفسنا وقدرتنا على تحديد الاختيارات، ومدى استطاعتنا التمتع بالاحترام الكامل، وتقدير صوتنا الداخلى والإصغاء له، وتحديد اختيارات وتحقيق أحلامنا، كل هذا تشكله البيئة التى نعيش فيها، وفى بعض الأحيان تحدده.

بيئتنا الخارجية

تشكل بيئتنا الخارجية الأسلوب الذى نعرف به السلطة، والطريق الذى تفضى بنا إليه. نعيش فى أقل قارة استفادت من ثورة تكنولوجيا المعلومات، القارة الوحيدة التى دخلت هذا القرن مصحوبة بمستويات متزايدة من الحرمان والفقر. ويحمل هذا الفقر وجهًا ريفيًا ونسائيًا فى الوقت نفسه. وهى أيضًا القارة التى بيها فجوة رقمية مهولة، وحيث مد الشبكة الإلكترونية ما زال فى مرحلة بدائية جداً من التطور، مقارنة مع مناطق العالم الأخرى. إنها القارة التى عانت كثيراً من التفاوتات فى فرص الوصول إلى بعض

أدوات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات على مستوى العالم ، إذ يقدر أن هناك ٢١ مليونًا فقط من ٨١٦ مليون مواطن فقط، يتمتعون بميزة الحصول على تليفون محمول، معظمهم يعيشون إما فى شمال أفريقيا، أو جنوب أفريقيا.

أن تكونى امرأة تعيش فى قارة أفريقيا، وخاصة فى أفريقيا جنوب الصحراء، يعنى أنك ملزمة بالخضوع إلى عديد من عناصر ضعف الحال. ملزمة بالمشاركة فى الفقر مع أخواتك وبنات إخوتك وبنات عمك وصديقاتك، إلى آخره. وملزمة إذا كنت ناشطة باقتسام معاناة الحرمان من الأساسيات مثل الطعام والماء، ومواجهة تحديات موت الأمهات، إلى آخره. ويستهلك هذا كثيراً من طاقتنا، وفى أحيان يقلل نوعية الوقت الذى يستطيع المرء إنفاقه فى استخدام تكنولوجيا المعلومات من أجل دفع المسارات النسوية للأمام، أو العمل فى مجال التنمية. حتى القلة المميزة من الناس الذين لديهم فرص الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات، يتحملون تكلفة أعلى نظراً للوضع المتخلف الذى توجد عليه عندهم. يدفع الأفارقة سعراً أعلى مقابل ثورة المعلومات مقارنة بنظرائهم فى باقى أنحاء العالم.

وفضلاً عن ذلك، سيكون للأبعاد الاجتماعية السياسية لبيئتنا وتعليمنا تأثير قوى على الطريق إلى التمكين. مع تعليم باهاتى المحدود، لم تكن لديها إلا فرص اختيار محدودة فى حياتها. حاولت فى البداية مع صناعة الملابس، ولكنها أدركت أنها حتى تحصل من هذه الصناعة على ما يقيم حياتها، يلزمها استثمار فى تطوير نفسها. ولم يكن بمقدورها تحمل ذلك فى تلك الفترة المحددة، ولهذا قررت الالتحاق بصناعة تصفيف الشعر، التى كانت أيضًا مشبعة بشابات نصف ماهرات وقليل من الرجال.

ولكن مارى، وفر لها تدريبها على تعليم الكبار، وتعرفها على دراسات النوع الاجتماعى، مستوى مرتفعًا من الفهم لديناميكيات أنظمة القهر الاجتماعى، التى تعمل على تغييرها بشكل جماعى مع زميلاتها الأخريات فى الحركة النسائية. وبالمثل، تمكنت ديميرا من خلال تعليمها وتدريبها من تحقيق مزيد من التقدم فى مسارها المهنى بالمجال التجارى، وبخلاف ذلك لكانت خضعت لهيمنة الرجال. ورفعت من ثقتها بنفسها، وتقديرها لها، وحققت قدرة هائلة فى اختبار العمليات السائدة عامة.

أن يكون التمكين مستندًا على القوة الداخلية للشخص

رحلتنا تجاه التمكين، أشبه بتسلق تلا شائك صخرى وعر. بينما يشعر قليل منا أننا وصلنا إلى ما نعتبره قمة أو فتحًا فرديًا، تكون غالبيتنا ما زالت تكافح لتصل إلى ما يعتبره كل منا محطة الوصول لرحلتنا. بصرف النظر عن خلفياتنا المتباينة، بإمكان بعضنا اجتياح عدد من التلال، فى حين يكون البعض فى حاجة لجهود إضافية، وآخرون ما زالوا يجاهدون. ولكننا جميعًا فى رحلة من أجل "التمكين". وهناك عوامل متعددة مركبة تسهم فى تباين مستويات التمكين التى نصل إليها، كما ناقشنا من قبل. وتتضمن، ولكن لا تقتصر على ذلك: موقعنا الجغرافى، وامتلاك أو غياب فرص الوصول إلى المعلومات وما تساويه تكلفتها، ومستوى التعليم، والأهم من كل شىء، الإرادة الفردية فى احترام الصوت الداخلى والإنصات له، إذ يدفعنا إلى اكتشاف الفرص، وتحويل العقبات إلى تحديات، والتحرك فى الحياة.

ومن خبرات النساء التى عرضناها فى هذا الفصل، وفقًا لفهمنا لها، يبدو واضحًا أن أدوات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لها قدرة على تسهيل توفر الرفاهية الاقتصادية، بشرط أن تستغلها نساء يعتمدن على "القوة الكامنة فيهن".

الهــوامش

(١) التقرير الكامل للبحث منشور للمساهمة فى ثروة المعرفة التى تم إنتاجها فى مجال البحث، على موقع:
www. GRACE Network.net.

المراجـــع

-Khurana, G. (2008) 'Mobile phones and brain tumours – a public health concern', www.brain- surgery.us/mobph.pdf.

-Mitter, S. (2005) Interview, available at gender.developmentgateway. org/Content-item-view.10976+M547c1b5fa07.0.html?&L=0. Sen, A. (1999) Development as Freedom, New York and Toronto: Anchor Books.

-UNEP/GRID-Arendal (2006) Planet in Peril: Atlas of Current Threats to People and the Environment, UNEP.

خاتمة

إينيكى باسكنز – آن ويب

العلاقة بين النساء وتمكينهن، واستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى أفريقيا، علاقة معقدة؛ لا يمكن تلخيصها أو إيجاد حلول لها ببساطة. فرص وصول النساء إلى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات واستخدامهن لها، لا يمكن فهمه بمعزل عن مكانته وهوياتهن النوعية، والطريقة التى تتفاعل بها تلك المكانة والهويات مع أوضاعهن السياسية – الاقتصادية. وبالمثل، ينبغى أن يكون فهم كفاح النساء للتغلب على القيود التى تحد من مكانتهن وهوياتهن باستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وفى إطار هذا السياق، ينطبق الشىء نفسه على نجاحهن فى التغلب على تلك القيود. وفى هذا الضوء أصبحت بعض القضايا واضحة:

– علينا إدراك أن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، لا تؤدى إلى التمكين فى حد ذاتها، بل إن استخدامها الذى قد يؤدى إما التمكين أو عدم التمكين. وحتى يحدث تغيير مستدام و"تمكين حقيقى"، ينبغى للنساء أن يكن وسيطات فى العمليات الخاصة بهن، ومسئولات عن بيئاتهن، ومتحكمات فيها. ولهذا السبب، تكون وساطة النساء أمراً أساسياً، وبل فى الحقيقة الأمر الأساسى.

– استخدام النساء لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لا يعمل كمجرد فعل فردى، ولكنه مرتبط بعملية متضمنة لجميع السياقات التى تتأثر بهذا الفعل. وحيث تشترك النساء فى سياقات مختلفة بشكل متزامن، وعديد من تلك السياقات قائمة على أرضية عدم المساواة النوعية، ستؤثر عملية تغيير النساء وتمكينهن على تلك السياقات بصورة مباشرة وغير مباشرة، وربما تثير توتراً وارتباكاً، وحتى إنها قد تؤدى إلى فوضى.

أحيانا لا تكون الديناميكيات داخل تلك السياقات ظاهرة؛ وتصبح الآثار واضحة فقط وإنما يحدث الشخص تغييرا فى شىء محدد بعينه. ولذلك ستكون النساء أنفسهن الأقدر على تقرير إلى أى درجة يستطعن دفع سقف حياتهن إلى أعلى؛ يجب أن يكن وسيطات فى تنمية أنفسهن، وتمكين أنفسهن. ولا يعنى هذا أن تفضيلات النساء لا يمكن معارضتها، حينما تكون تعبيراً عن التكيف مع القيود والظلم والأوضاع غير المرضية. ولكن حتى حينها، ولو لم تكن تلك التفضيلات صادرة بصورة واعية، إلا أنها ينبغى أن تفهم أولاً.

– تسهم النساء بشكل مباشر فى بيئتهن، ويشاركن بنصيب لهن من المكاسب، حتى ولو عند مستوى ليس لهن فيه كثير من الاختيارات بسبب الحرمان العام من الحاجات الأساسية (توفر تيار كهربائى مثلاً). وتتسق هذه النتيجة مع التوقع العام بأن تمكين النساء يمثل أحد الوسائط الأساسية للتغير الاجتماعى والاقتصادى (Sen 1999).

ربما، بسبب أن غالبية الأفريقيات، ما زال أمامهن شوط طويل إلى الحرية، إلى نوع تقرير المصير الذى ترغب الأفريقيات فى الوصول له، كان تقرير المصير الذى أمكنهن التعرف عليه فقط، استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى تحسين حياتهن، وحياة من يحبون. ولا يمكن رؤية مسيرتهن وفهمها بمعزل عن السلطة فى سوق الاقتصاد العالمية، والتصورات السائدة حول النوع الاجتماعى، ومن دون إدراك القوة الهائلة التى بإمكانهن استنفارها داخلهن. وهذا ما حاول المؤلفون المساهمون هذا الكتاب تحقيقه: جعل اختيارات النساء مرئية ومفهومة، وإظهار كيف لا تكون قوة النساء الأوضح دائمًا، وكيف لا تكون اختياراتهن دائمًا متماشية مع الأولويات الاقتصادية، ولكنها تصبح منطقية للغاية عندما نفهما فى سياق مسئوليات النساء الثلاثية وأولوياتهن الخاصة. ويكشف أسلوب استخدام النساء تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تماماً، أين أصبحن فى مسيرتهن تجاه التمكين.

وعلى خلفية هذه الشبكة المعقدة من الأوضاع السيئة، يتضح أكثر طبقة بعد طبقة، إعجاز ما حققته الأفريقيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ويتضح أيضًا بشدة،

أن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تمس حياة النساء، وتؤثر فيها حتى فى أقصى البيئات الريفية. ولكن بينما تظهر معانى "الإتاحة" وإلحاحها شديدة التباين بسبب الأبوية، وفى أحيان كثيرة مقيدة بها، فلا مبالغة فى ذكر أهمية مواجهة عدم المساواة النوعية فى مجتمع المعلومات. وكما ذكرت ميتر "نفس المنطق العتيق: بسبب المكانة الأدنى للمرأة فى المجتمع، لا تتاح لها فرص الوصول المتساوية إلى جميع الأصول، بما فيها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات (٢٠٠٥). هناك إمكانية هائلة فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لتحسين حياتنا كبشر فى مجتمع قائم على المساواة. ولكن حتى يحدث هذا، من الضرورى تنظيم الانتشار والشيوع السريع لتلك التكنولوجيا لصالح السعى إلى تنمية مجتمع يتسم بعدم التمييز، وأن تكون مصحوبة بجهود لتقليل الفوارق الإقليمية وبين الشمال والجنوب.

وهكذا، يحتاج تحسين فرص وصول النساء إلى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات إلى تحول فى عقليات الناس، وفى المعرفة التى تمت صياغتها عالميا على عدم المساواة بين الجنسين، وعلى نحو أكثر تحديداً، شكلتها الهيمنة الذكورية. ويعد المنظور الذكورى الذى صاغ المجتمعات الأفريقية ودور النساء فى سوق العمل والمجال الخاص، متغيرين أساسيين فيما يتعلق بالتمكين وعدم التمكين فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

ومع التغييرات السريعة فى التكنولوجيا، يثار أيضًا تساؤل حول استدامة نمط المجتمع الذى يتم ترسيخه الآن، مع مساعدة تلك الأدوات الحديثة من الاتصالات. وتعكس الفجوة الرقمية، ببعدها الخاص بالشمال والجنوب وبعدها النوعى، تشوهاً فى نموذجنا الاقتصادى. وتطمس المشاركة المهمة للشعوب فى الجنوب، وللنساء على مستوى العالم، وبالتالى لا تحظى بأى مكافأة وتقدير. والأهم، لا يقتصر الأمر على مجرد أن هذه التكنولوجيا فى حد ذاتها تثير تهديدات صحية وبيئة، ولكننا ندرك أكثر وأكثر أن كوكبنا أصبح مهدداً بسبب التحاقنا قصير النظر بالاقتصاد غير المستدام
(UNEP/ GRID Arendal 2006).

بينما تزيد تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات شعور الاتصال المتبادل على مستوى العالم بين الأجناس التى تقطن هذا الكوكب، فهذا الاعتبار ربما يجعلنا قادرين على اتخاذ وقفة لمنع تكنولوجيا الاتصالات و المعلومات من خلق مساحات جديدة للاستبعاد، وبالتالى للفقر والانعزال، داخل الدول وبين الدول. وهذا بالفعل موقف الباحثين مؤلفى هذا الكتاب، بكل تنوعاتهم.

ونود لفت الانتباه إلى الصعوبات التى واجهها الباحثون. إذ تتطلب المحافظة على موقف انعكاسى كثيراً من الانتباه، وقد تسبب لهم اضطـراباً، لأن عنصـر الوعى النقدى الموجه ذاتيًا، يكون جزءًا من كل انعكاس. وفوق هذا، يثير الانعكاس من هذا النوع حتمًا تغييراً فى البـاحثين، الأمر الذى قـد يحـدث ضـغـوطًا فى حـد ذاته، حتى وإن كان مرغوباً.

ومن ثم، تتعلق الأهمية الكبرى لهؤلاء الراغبين فى خوض مثل تلك الرحلة: بالسعى إلى تعريف العوامل المؤثرة فى عملية البناء المعرفى المحيطة بأفريقيا، فلا يتوقف أمر مستقبل تكنولوجيا الاتصالات والمعـلومات وتمكين نسـائها على واقع المرأة فـقـط، ولكنه يتصل أيضًا بإمكانية خلق واقع جديد.

الهـــوامش

(١) يوجد على سبيل المثال، عدد من الدراسات متعلقة بالجـوانب الصحية لاستخـدام التليفـون المحمول. انظر من الأمثلة الحديثة على ذلك ((Khurana (2008)).

المراجع

قائمة أسماء الأشخاص
(مرتبة وفقًا لأبجدية اللغة الإنجليزية)

Abagi, Okwach	أكواش أباجي
Abraham, Kiss Brian	كيس برين أبراهام
Amuria, Gorretti Zavuga	جوريتي زافوجا أموريا
Baguma, Rehema	رهيما باجوما
Bakesha, Susan	سوزان باكشا
Buskens, Ineke	إينيكي باسكنز
Chibomba, Kelvin	كيلفن شيبومبا
Comfort, Kazanka	كانزانكا كومفورت
Emdon, Heloise	هيلويسي إمدون
Epodoi, Rachael Mijumbi	راشيل ميجومبي أبودوي
Gakure, R.	آر. جاكيور
Gaster, Polly	بولي جاستر
Ginger, Lucia	لوسيا جينجير
Harkim, C.	سي. هاركيم
Huyer, S.	إس. هوير

Knobloch, U.	يو. كنوبلوش
Kyomuhendo, Grace Banterbya	جريس بانتيبيا كيوموهيندو
Macome, Esselina	إيسلينا ماكوم
Macueve. Gertrudes	جيرترود ماكويفي
Mandlate. Judite	جوديت ماندليت
Mbambo-Thata, Buhle	بولي مبامبو-ثاتا
Mitaba, Leah	لياه ميتابا
Mlambo, Elizabeth	إليزابث ملامبو
Mpundu, Priscilla	بريسيلا مبوندو
Muller, Jocelyn	جوسلين مولر
Munyua, Alice Wanajira	أليس وانجيرا مونيوا
Mureithi M.,	إم. موريثي
Mwatsiya, Preious	بريوس مواتسيا
Nakafero, Angela	أنجيلا ناكافيرو
Nsubuga, Martin	مارتن نسوبوجا
Nussbaum, M.	إم. نوسباوم
Okelo, Dorothy	دوروثي أوكيلو
Omamo, Salome Awuor	سالومي أوور أمامو
Sane, Ibou	إيبو سين
Sassen, Saskia	ساسكيا ساسين
Semakula, Daniel	دانييل سيماكولا

Sen, Amarty	أمارتى سن
Sifuna, Olive	أوليف سيفنا
Sikoska, T	تى. سيكوسكا
Tafnout, Amina	أمينة تافنوت
Tandon, N.	إن. تاندون
Tchinda, Elise	إليس تشيندا
Timjerdin, Aatifa	عاطفة تميجردين
Traore, Mamadou Balla	مامادو بالا تراورى
Walker, Anne	آن وكر
Webb, Anne	آن ويب
Wolf, S.	إس وولف
Yitamben, Cisele	جيزيل يتامبين
Zulu, Brenda	بريندا زولو

قائمة أسماء الأشخاص

(مرتبة وفقًا لأبجدية اللغة العربية)

آر. جاكيور	Gakure, R.
إس وولف	Wolf, S.
إس. هوير	Huyer, S.
أكواش أباجي	Abagi, Okwach
إليس تشيندا	Tchinda, Elise
إم. موريثي	Mureithi M.,
إم. نوسباوم	Nussbaum, M.
أمارتي سن	Sen, Amarty
أمينة تافنوت	Tafnout, Amina
آن وكر	Walker, Anne
آن ويب	Webb, Anne
إن. تاندون	Tandon, N.
أنجيلا ناكافيرو	Nakafero, Angela
أوليف سيفنا	Sifuna, Olive
إيبو سين	Sane, Ibou

Macome, Esselina	إيسلينا ماكوم
Buskens, Ineke	إينيكي باسكنز
Mpundu, Priscilla	بريسيلا مبوندو
Zulu, Brenda	بريندا زولو
Mwatsiya, Preious	بريوس مواتسيا
Mbambo- Thata, Buhle	بولي مبامبو-ثاتا
Gaster, Polly	بولي جاستر
Sikoska, T	تي. سيكوسكا
Kyomuhendo, Grace Banterbya	جريس بانتيبيا كيوموهيندو
Mandlate. Judite	جوديت ماندليت
Amuria, Gorretti Zavuga	جوريتي زافوجا أموريا
Muller, Jocelyn	جوسلين مولر
Williams, Joan C.	جون سي ويليامز
Macueve. Gertrudes	جيرترود ماكويفي
Yitamben, Cisele	جيزيل يتامبين
Semakula, Daniel	دانييل سيماكولا
Okelo, Dorothy	دوروثي أوكيلو
Epodoi, Rachael Mijumbi	راشيل ميجومبي أبودوي
Baguma, Rehema	رهيما باجوما
Sassen, Saskia	ساسكيا ساسين
Omamo, Salome Awuor	سالومي أوور أمامو

Bakesha, Susan	سوزان باكشا
Harkim, C.	سى. هاركيم
Timjerdin, Aatifa	عاطفة تميجردين
Comfort, Kazanka	كانزانكا كومفورت
Abraham, Kiss Brian	كيس برين أبراهام
Chibomba, Kelvin	كيلفن شيبومبا
Ginger, Lucia	لوسيا جينجير
Mitaba, Leah	لياه ميتابا
Nsubuga, Martin	مارتن نسوبوجا
Traore, Mamadou Balla	مامادو بالا تراورى
Emdon, Heloise	هيلويسى إمدون
Mlambo, Elizabeth	إليزابث ملامبو
Munyua, Alice Wanajira مونيوا	أليس وانجيرا
Knobloch, U.	يو. كنوبلوش

قائمة أسماء المنظمات والهيئات

(مرتبة وفقـًا لأبجدية اللغة الإنجليزية)

Africa virtual University (AVU) — جامعة أفريقيا على شبكة الإنترنت

African Growth Opportunity Act (AGOA) — قانون الفرص والنمو فى أفريقيا

مؤسسة الاتصالات المتقدمة

Association for Progressive Communications (APC)

جمعية حماية البيئة

Association for the Protection of the Environment (APE)

جمعية دعم ومساعدة منظمات الأعمال

Association pour le Soutien et l'Appui à la Femme Entrepreneur (ASAFE)

Central Bureau of Statistics (CBS) — مكتب الإحصاء الوطنى (كينيا)

غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية فى الكاميرون

Chamber of Commerce, Industry, Mines and Crafts - CCIMA

Chipata District Women's Association — جمعية مدينة شيباتا النسائية

جمعية تنمية المجتمع المحلى وحماية البيئة

Community Development and Environmental Protection Association (CDEPA)

حركة شئون المستهلك فى نيجيريا

Consumer Affairs Movement of Nigeria (CAMON)

التعاون لتنمية البلدان الناشئة

Cooperation for Development of Emerging Countries (COSPE)

مجلس التمكين الاقتصادى للمرأة فى أفريقيا - فرع أوغندا

Council for Economic Empowerment of Women in Africa - Uganda Chapter (CEEWA-U)

Department of Minerals and Energy وزارة التعدين والطاقة (جنوب أفريقيا)

Development Alternatives Consult (DAC) استشارات بدائل التنمية

مركز بحوث التنمية الدولية/ مكتب شرق وجنوب أفريقيا

Development Research Centre/Eastern and Southern Africa Office (IDRC/ESAO)

Economic interest groupings (EIGs) تجمعات المصالح الاقتصادى

المركز المعلوماتى بجامعة إدواردو موندلين

Eduardo Mondlane University Informatics Centre (CIUEM)

جريس - شبكة بحوث النوع الاجتماعى فى أفريقيا حول تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التمكين

Gender Research in Africa into ICTs for Empowerment (GRACE)

Group for the Promotion of Women (GPW) مجموعة النهوض المرأة

منظمة التنمية عبر تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى العالم العربى

Information and Communication Technologies for Development (ArabDev)

وكالة تطوير صناعة تكنولوجيا المعلومات

Information Technology Industry Development Agency (ITIDA)

Institute of Directors of Kenya (IODK) معهد المدراء فى كينيا

مركز بحوث التنمية الدولية

International Development Research Centre (IDRC)

International Telecommunication Union (ITU) الاتحاد الدولى للاتصالات

المركز الدولى للدفاع عن المرأة

International Women's Tribune Centre (IWTC)

هيئة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة

Internet Corporation of Assigned Names and Numbers (ICANN)

Italian Cooperation Agency (ICA) الوكالة الإيطالية للتعاونيات

Kenya Rural Enterprise Programme (KREP) برنامج كينيا للمشروعات الريفية

Kyomuhendo, Grace Banterbya جريس بانتيبيا كيوموهيندو

جمعية نساء ناكاسيكى للتنمية

Nakaseke Women's Development Association (NAWODA)

هيئة تنظيم الطاقة الوطنية فى جنوب أفريقيا

National Energy Regulator of South Africa

مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية

Non-Governmental Organizations Coordinating Council (NGOCC1)

الوكالة النرويجية للتنمية والتعاون

Norwegian Agency for Development Cooperation

جمعية أفريقيا الواحدة لتنمية نساء الريف

Oneworld Africa District Women's Development Association

Student Representative Council (SRC) المجلس التمثيلى للطلاب

البرنامج التنزانى لتكوين الشبكات فى مجال النوع الاجتماعى

Tanzania Gender Networking Programme (TGNP)

غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف فى الكاميرون

The Cameroon Chamber of Commerce, Industry, Mines and Crafts (CCIMA)

مركز محكمة النساء الدولية

The International Women's Tribune Centre-IWTC

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة – اليونسكو

The United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization - UNESCO

Together منظمة معاً

مؤتمر طوكيو الدولى من أجل التنمية الأفريقية

Tokyo International Conference for African Development

Uganda Development Services (UDS) إدارة تنمية أوغندا

مجلس أوغندا الوطنى للعلوم والتكنولوجيا

Uganda National Council of Science and Technology (UNCST)

Women Weavers Online (WWO) نساجات عبر الإنترنت

جمعية زامبيا للبحوث والتنمية

Zambia Association for Research and Development (ZARD)

قائمة المؤسسات والهيئات
(مرتبة وفقًا لأبجدية اللغة العربية)

International Telecommunication Union (ITU) — الاتحاد الدولى للاتصالات

Uganda Development Services (UDS) — إدارة تنمية أوغندا

Development Alternatives Consult (DAC) — استشارات بدائل التنمية

البرنامج التنزانى لتكوين الشبكات فى مجال النوع الاجتماعى

Tanzania Gender Networking Programme (TGNP)

Kenya Rural Enterprise Programme (KREP) — برنامج كينيا للمشروعات الريفية

Economic interest groupings (EIGs) — تجمعات المصالح الاقتصادى

التعاون لتنمية البلدان الناشئة

Cooperation for Development of Emerging Countries (COSPE)

Africa virtual University (AVU) — جامعة أفريقيا على شبكة الإنترنت

جريس – شبكة بحوث النوع الاجتماعى فى أفريقيا حول تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التمكين.

Gender Research in Africa into ICTs for Empowerment (GRACE)

Kyomuhendo, Grace Banterbya — جريس بانتيبيا كيوموهيندو

جمعية أفريقيا الواحدة لتنمية نساء الريف

Oneworld Africa District Women's Development Association

جمعية تنمية المجتمع المحلى وحماية البيئة

Community Development and Environmental Protection Association (CDEPA)

Association for the Protection of the Environment (APE) جمعية حماية البيئة

جمعية دعم ومساعدة منظمات الأعمال

Association pour le Soutien et l'Appui à la Femme Entrepreneur (ASAFE)

جمعية زامبيا للبحوث والتنمية

Zambia Association for Research and Development (ZARD)

Chipata District Women's Association جمعية مدينة شيباتا النسائية

جمعية نساء ناكاسيكى للتنمية

Nakaseke Women's Development Association (NAWODA)

حركة شئون المستهلك فى نيجيريا

Consumer Affairs Movement of Nigeria (CAMON)

غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية فى الكاميرون

Chamber of Commerce, Industry, Mines and Crafts - CCIMA

غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف فى الكاميرون

The Cameroon (CCIMA) Chamber of Commerce, Industry, Mines and Crafts

African Growth Opportunity Act (AGOA) قانون الفرص والنمو فى أفريقيا

Student Representative Council (SRC) المجلس التمثيلى للطلاب

مجلس التمكين الاقتصادى للمرأة فى أفريقيا – فرع أوغندا

Council for Economic Empowerment of Women in Africa - Uganda Chapter (CEEWA-U)

مجلس أوغندا الوطنى للعلوم والتكنولوجيا

Uganda National Council of Science and Technology (UNCST)

مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية

Non-Governmental Organizations Coordinating Council (NGOCC1)

Group for the Promotion of Women (GPW) مجموعة النهوض المرأة

International Women's Tribune Centre (IWTC) المركز الدولى للدفاع عن بالمرأة

المركز المعلوماتى بجامعة إدواردو موندلين

Eduardo Mondlane University Informatics Centre (CIUEM)

مركز بحوث التنمية الدولية

International Development Research Centre (IDRC)

مركز بحوث التنمية الدولية/ مكتب شرق وجنوب أفريقيا

Development Research Centre/Eastern and Southern Africa Office (IDRC/ESAO)

The International Women's Tribune Centre-IWTC مركز محكمة النساء الدولية

Institute of Directors of Kenya (IODK) معهد المدراء فى كينيا

Central Bureau of Statistics (CBS) مكتب الإحصاء الوطنى (كينيا)

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة – اليونسكو

The United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization-UNESCO

منظمة التنمية عبر تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى العالم العربى

Information and Communication Technologies for Development (ArabDev)

Together — منظمة معاً

مؤتمر طوكيو الدولى من أجل التنمية الأفريقية

Tokyo International Conference for African Development

مؤسسة الاتصالات المتقدمة

Association for Progressive Communications (APC)

Women Weavers Online (WWO) — نساجات عبر الإنترنت

هيئة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة

Internet Corporation of Assigned Names and Numbers (ICANN)

هيئة تنظيم الطاقة الوطنية فى جنوب أفريقيا

National Energy Regulator of South Africa

Department of Minerals and Energy — وزارة التعدين والطاقة (جنوب أفريقيا)

Italian Cooperation Agency (ICA) — الوكالة الإيطالية للتعاونيات

الوكالة النرويجية للتنمية والتعاون

Norwegian Agency for Development Cooperation

وكالة تطوير صناعة تكنولوجيا المعلومات

Information Technology Industry Development Agency (ITIDA)

قائمة المصطلحات المستخدمة

Adaptive preferences	تفضيلات مكيَّفة
Address book	دليل الأرقام المسجلة
Agency	فاعلية – هيئة
Agent	أداة
Baseline Survey	مسح أساسى
Disempowered women	نساء محرومات
Female-accepted role	الدور المقبول للأنثى
Fish landing	مصائد الأسماك
Fish processors	المشتغلات فى تجهيز الأسماك
Focus group discussions (FGD)	مناقشات جماعية مركزة
Free Attitude Interview (FAI)	مقابلة التعبير الحر
Free call sessions (FCS)	جلسات بدعوات غير مرتبة
Group discussion	مناقشة جماعية
Homo economicus	الإنسان الاقتصادى
Homo situs	الكائن المتكيف مع موضعه
Informed agent	أداة ناقلة للمعرفة

Interactive sessions	جلسات تفاعلية
Life stories	سير الحياة
Mini-grid system	نظام شبكة مصغرة
Non verbal communications	الاتصالات غير اللفظية
Reflexive attitude (RA)	موقف انعكاسى
Reflexivity	التصرفات العاكسة
Semi -structured interviews (SSI)	مقابلات شبه مهيكلة
Transformational Attitude Interview	مقابلة تهدف تعديل السلوك

المشاركون فى سطور :

أكواش أباجى: حاصل على دكتوراه فى علم اجتماع التعليم من جامعة ماكجيل، ويدير مركز ريسيرشويب، الذى مقره فى نيروبى. أكواش متخصص فى الإشراف وتقييم التنمية المؤسسية، ولديه خبرة مهنية كبيرة فى القطاع الاجتماعى (التعليم والصحة). الباحث المسئول عن النوع الاجتماعى وتحليل السياسات. وقدم مساعدته فنية للحكومات والمنظمات المختلفة فى مناطق شرق وجنوب أفريقيا.

كيس برين أبراهام: ناشط زيمبابوى فى مجال المجتمع المدنى والتغيير. شارك بحماس فى تطوير منتدى زامبيا الاجتماعى (يهدف المنتدى إلى خلق فضاء للحوار الجاد والتفكير البديل). وهو عضو المعهد الإعلامى لجنوب أفريقيا، ومجلس المنتدى الاجتماعى لأفريقيا.

سوزان باكشا: تعمل حاليًا مستشارة لمنظمة استشارات بدائل التنمية Development Alternatives Consult (DAC). متخصصة فى النوع الاجتماعى، ولديها خبرة واسعة فى البحوث والتدريب على النوع الاجتماعى، وتحليل السياسات والأنشطة الدفاعية. شاركت فى العمل على تعميم النوع الاجتماعى فى السياسات الحكومية، وفى عدد من مشروعات التنمية المستهدفة للنهوض بأوضاع المرأة. وعضوة فى عدد من المنظمات النسائية، وتساهم بحماس فى مشروعات متنوعة بها، ومن بينها المنظمة الوطنية لتدريب المرشحات National Women Candidates' Training، والتدريب على جعل الميزانيات مراعية للنوع الاجتماعى، والنوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات Gender and ICT، والتدريب على مهارات القيادة Leadership Skills Training.

كازنكا كومفورت: السكرتير العام لمؤسسة فانتسام، وهى منظمة تيسير فرص الحصول على القروض متناهية الصغر، واستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وتعمل بصورة تطوعية وسيطاً لتخفيف حدة الفقرة بين الريفيات النيجيريات. وتعمل كمفرت بشكل وثيق مع مدير البرنامج؛ فى الرصد وتقديم الدعم الفنى واللوجيستى للبرامج المختلفة. وتعلم مبادئ مهارات استخدام الكمبيوتر للفتيات والنساء فى مركز محلى للتعليم فى بايانلوكو، وتعمل على دمج تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى البرامج المختلفة لفانتوسام. ومنحت إحدى مبادراتها أول جائزة هافكين فى أفريقيا (www.apc.org/english/hafkin/2001/2001/).

جون دادا: تطوع مع مؤسسة فانتسام منذ إنشائها فى ١٩٩٦، يتولى مسئولية تنمية برامج التنمية التى تدعم المبادرات التى تركز على النوع الاجتماعى والشباب، التواصل مع الريف وخدمات القروض الصغيرة للمنظمات. وقد غطت الصحافة الصحافة النيجيرية بعض برامج مؤسسة فانتسام، فضلاً عن لوموند، وسى إن إن، وبى بى سى الخدمة العالمية، وقد وقع الاختيار عليها عام ٢٠٠٨ فى تصفيات جائزة مسابقة ستوكهولم لمشروعات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية، وفى مسابقة تطوير أسواق المهاجرين الأفارقة فى أوربا، التى يقيمها البنك الدولى بخصوص تمويل المشاريع الريادية.

بولى جاستر: رئيسة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية فى المركز المعلوماتى بجامعة ادواردو موندلين. وكانت عضوة فى الفريق الموزمبيقى الذى قام بدور ريادى فى أقامة مراكز اتصالات فى المدن الإقليمية بالمناطق الريفية عام ١٩٩٩، ونسقت أخيراً مبادرة تطوير مراكز وسائط الإعلام المتعددة فى المجتمع المحلى بموزمبيق، التابعة لليونسكو. ونتيجة اهتماماتها بالتنمية المحلية والاتصالات ووسائل إعلام المجتمع المحلى، جمعت بين أنشطة التطبيق العملى والبحث حول قضايا تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية، وكانت مستشارة باحثى جريس فى موزمبيق.

لوسيا جينجر: أستاذة أنظمة تكنولوجيا المعلومات فى جامعة سانت توماس فى موزمبيق. تتضمن اهتماماتها البحثية إنشاء شبكات الكمبيوتر، وأنظمة المعلومات الجغرافية، والحلول مفتوحة المصدر. شاركت فى جمع المادة وتحليلها مع مشروع جريس فى موزمبيق.

ليلى حسنين: حاصلة على دكتوراه فى الإدارة العامة، ولديها خبرة ٢٠ عامًا فى التنمية الاجتماعية الاقتصادية، وبناء القدرات المؤسسية. دكتورة حسنين مسئولة المعلومات فى برنامج شبكة التنمية المستدامة التابعة لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية فى نيويورك، ومسئولة على المستوى الوطنى لليونسيف ومنظمة الصحة العالمية فى مصر. أسست حسنين منظمة التنمية من خلال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى العالم العربى ArabDev، التى ركزت منذ عام ١٩٩٩ على قضية تسخير تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية، وقادت مبادرات قاعدية بخصوص تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بمصر، فى تعاون وثيق مع وزارة التعليم ومنظمات غير حكومية محلية وإقليمية، ووزارة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

جريس بانتيايا كيوموهيندو: حاصلة على دكتوراه فى علم الاجتماع والأنثرولوجيا الاجتماعية، وماجستير فى الأنثروبولجيا الاجتماعية. وهى حاليًا أستاذة فى قسم دراسات النساء والنوع الاجتماعى فى جامعة ماكريرى، بكامبالا. وهى باحثة متميزة فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولديها خبرة كمدربة ومحاضرة، وباحثة ونشيطة فى الدفاع فى مجال المساواة النوعية والتحول. وأجرت جريس بحثًا كبيرًا حول الصحة الانجابية، وصحة الأم بشكل خاص، وحول مرض الإيدز فى ظل الأوضاع التى تعانى من النزاعات. وبحثت أيضًا حول النساء ومجالات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ولها أعمال منشورة على نطاق واسع، وأنهت فى الفترة الأخيرة كتابًا بعنوان Women, Work and Domestic Virtue in Uganda، (المرأة والعمل وفضيلة التدجين فى أوغندا)، وحاز الكتاب على جائزة من جمعية الدراسات الأفريقية فى ٢٠٠٧.

إيسلينا ماكوم: أستاذ مساعد لأنظمة المعلومات فى جامعة إدواردو موندلين، التى تدرس فيها لبعض الوقت، وعضو مجلس إدارة ومديرة تنفيذية فى البنك المركزى الموزمبيقى. وتتضمن اهتماماتها البحثية تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية، والحكومة الإلكترونية، والنوع الاجتماعى، والتنمية وإدارة أنظمة المعلومات فى المنظمات. قادت فريق العمل فى عدد من الدراسات حول تطوير مراكز الاتصالات فى موزمبيق، و مستشارة فريق البحث فى موزمبيق.

جيرترود ماكويفى: أستاذة فى علوم الحاسوب فى جامعة إدواردو موندلين فى موزمبيق. وتعمل الآن فى بحوث الدكتوراه فى مجال أنظمة المعلومات. وتتضمن اهتماماتها البحثية تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية عموما، والحكومة الإلكترونية والنوع الاجتماعى بوجه خاص. شاركت فى الأنشطة الخاصة ببحث مراكز الاتصالات منذ عام ٢٠٠٠، والكاتبة الرئيسية لدراسة موزمبيق.

جوديت ماندليت: أستاذة فى قسم الرياضيات والمعلوماتية فى كلية العلوم بجامعة إدواردو موندلين فى موزمبيق. يتمثل اهتمامها البحثى فى اتصالات البيانات، وتكوين الشبكات وحلول المصادر المفتوحة. عضوة فى فريق البحث فى موزمبيق، وعملت بصفة خاصة فى جمع المادة وتحليلها.

بولى مبامبو ثاتا: المديرة التنفيذية لخدمات المكتبة فى جامعة جنوب أفريقيا. أثناء إجراء البحث عام ٢٠٠٦/٢٠٠٧، وعملت فى إدارة المكتبة فى جامعة موزمبيق فى هرارى. لديها معرفة واسعة فى مجال بيئة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى أفريقيا، اكتسبتها من خلال ارتباطها بالمكتبات الأفريقية. تتمثل اهتماماتها البحثية فى محو أمية المعلومات، والنساء وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. حاصلة على ماجستير فى علوم المعلومات.

روث مينا: ناشطة نسوية، وعملت بالتعليم لمدة خمسة أعوام فى مستويات مختلفة، تتضمن المدارس الثانوية، والكليات والجامعة. حصلت على عدة جوائز، من بينها زمالة فولبرايت رفيعة المستوى فى جامعة ستانفورد فى الولايات المتحدة الأمريكية الممنوحة

من فورد فاونديشين، ومسابقة البحث الخاصة بمركز بحوث التنمية الدولية، وعملت أيضًا أستاذًا زائرًا في جامعات مختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا. شغوفة بالعمل مع الشباب، باعتبارهم قوة تحويلية ممكنة ضد الأنظمة القمعية، بما فيها الأبوية. وهي الآن تدير مركز تعليم متعدد التخصصات، هدفه الأساسي دعم الشباب حتى "يكونوا في أفضل ما يمكن أن يكونوا عليه". ومن بين مؤلفاتها، بحث تراه الأقرب لها بعنوان "حوار مع بيبي تيتي" في Marjori Mbilinyi and Mary Rusimbi (2003), Activist Voices: Feminist Struggles for an Alternative World، وهي حاليًا رئيسة برنامج تكوين شبكات للنوع الاجتماعي في تانزانيا.

إليزابث ملامبو: تعمل حاليا نائبة مسئول المكتبة في جامعة زيمبابوي. منسق برنامج مهارات محو أمية المعلومات، وهو دورة مصممة للطلاب في مرحلة ماقبل التخرج، والدراسات العليا أيضًا. وكانت قبلها أمينة المكتبة الرئيسية في معهد دراسات التنمية. عضوة في لجان متنوعة في جامعة زيمبابوي، ونائبة رئيس مجلس الإدارة الحالي لمجموعة العمل النسائي، وهي منظمة غير حكومية مسئولة عن التعزيز الكامل والنهوض بحقوق النساء.

جوسلين مولر: تستعد الآن لإتمام درجة الماجستير في دراسات التنمية بجامعة كيب تاون. مسئولة البحث في مركز بحوث الطاقة. ويتمثل اهتمامها البحثي حاليًا في القدرة المتكيفة لمزارعي كروم النبيذ الناشئين، والمجتمعات المحلية التي تعيش على مزارع صناعة النبيذ، وتخفيف حدة الفقر في الاسر المعيشية الحضرية منخفضة الدخل، من خلال تحسين فرص الوصول إلى خدمات الطاقة في المجتمع واستخدامها. وتهتم بشكل خاص بقضايا النوع الاجتماعي والتنمية، خاصة حول تطوير وتصميم وتوفير المناهج التشاركية مثل وسائل ببناء القدرات، حتى تستطيع النساء توضيح حاجاتهن التنموية لصانعي القرار.

بريوس مواتسيا: أمينة مكتبة كلية الآداب بجامعة زيمبابوي. وتقوم بمسئولية إجراء الاتصالات اللازمة مع أعضاء هيئة التدريس في الكلية بخصوص شراء مواد المكتبة،

وتنسيق وتدريس مهارات محو أمية المعلومات، وهى الدورة الدراسية التى تزود الطلاب بالمهارات اللازمة لاستخدام المصادر الإلكترونية. وتهتم فى مجال البحث بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات واستخدامها فى التعليم، ومحو أمية المعلومات، والمكتبات الإلكترونية.

أنجيلا ناكافيرو: نشيطة فى مجال النوع الاجتماعى فى أوغندا. قادت عملية تأسيس منظمة بدائل التنمية Development Alternatives (DELTA) غير الحكومية، وتجمع النساء الأوغنديات من أجل تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات Uganda Women's Caucus on ICTs (UWCI). وتشغل حاليا منصب المديرة التنفيذية لمنظمة بدائل التنمية، وعضوة فى شبكة نساء أوغندا Women of Uganda Network (WOUGNET)، ومنتدى النساء من أجل الديمقراطية Forum for Women in Democracy (FOWODE). وتعمل أنجيلا مدربة على تحليل النوع الاجتماعى، وضع ميزانيات مراعية للنوع الاجتماع، وحملات الدفاع عن السياسات والتخطيط الإستراتيجى. وتتمتع بخبرة واسعة فى مراجعة/ وتقييم التحليلات/ والبحوث حول سياسات النوع الاجتماعى والنشاط الدفاعى فى مجال النوع الاجتماعى. وتولت مبادرات متعددة تهدف إلى تعميم النوع الاجتماعى فى أداء الاتحاد الأفريقى والمنظمات على المستوى القومى.

دورثى أوكيلو: منسقة شبكة النساء الأوغنديات، التى تتمثل رسالتها فى تعزيز ودعم استخدام النساء والمنظمات النسائية فى أوغندا لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. نشيطة فى مجال تشجيع مزيد من النساء، والمشروعات صغيرة الحجم، والمجتمعات المحلية الريفية على الاشتراك فى مجتمع المعلومات من أجل التنمية، عن طريق الدفاع عن سياسات النوع الاجتماعى، وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وعن طريق تطبيق البرامج، والرصد، والتقييم. دكتورة أوكيلو عضوة فى مجلس الائتلاف الدولى من أجل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتنمية Communications Technology and Development (GAID)، الذى يعمل فى إطار لجنة الأمم المتحدة للشئون الاقتصادية والاجتماعية.

سالومى أواور أمامو: حاصلة على ماجستير فى دراسات المنظمات غير الحكومية والإدارة، ومستشارة فى بحوث علم الاجتماع. وتعمل الآن باحثًا مساعدًا فى أون، كما تساعد أيضًا فى مركز البحث والتنمية، ومديرة تنمية المجتمع المحلى مع منظمة سباكين بلا حدود، وكلتاهما منظمة غير حكومية مقرها فى نيروبى، بكينيا. تعمل فى مجال تحليل النوع الاجتماعى وتعميمه، والبحوث وتحليل السياسات فى القطاع الاجتماعى، وتجرى بحوثًا كيفية وكمية على السواء، تشارك فى أنشطة الضغط والدفاع وبناء القدرات فى مجالات المياه والمرافق الصحية، وتعبئة المجتمع المحلى، ومرض الإيدز، وإجراء تقييم للريف بصورة تشاركية. وتتولى أيضًا تنظيم وتنسيق ورش العمل/ وحلقات النقاش. قامت بالتدريب والعمل مع منظمات متعددة، تتضمن منظمة العمل الدولية – الهند، وورلد فيجين إنديا، وبرنامج الهند للمعونة الأمريكية فى آسيا والمحيط الباسفيكى، ووزارة التعليم، واليونسيسف فى كينا.

مارى روزيمبى: عضو مؤسس للبرنامج التنزانى لتكوين الشبكات فى مجال النوع الاجتماعى، وشغلت منصب مديرته التنفيذية لمدة عشر سنوات حتى مارس ٢٠٠٧. لعبت دور قيادى رئيسى فى الحركة النسائية لعدة سنوات من خلال تأسيس منظمات عديدة والاشتراك فى عضوية مجلس إدارتها، والسعى إلى تعزيز المساواة النوعية، والعدل والتحول الاجتماعى فى البلاد والإقليم والعالم. وعملت سابقا مسئولة برنامج حول النوع الاجتماعى فى سفارة هولندا وكندا فى تنزانيا. وتعمل مارى حاليًا فى مجال النوع الاجتماعى والتنمية، كمتخصصة فى تحليل النوع الاجتماعى وسياساته، ووضع ميزانيات مراعية للنوع الاجتماعى، والتدريب والتيسير والبحث القائم على المشاركة، وتطوير منظمات المجتمع المدنى تنظيمًا. نشرت مارى عددًا من المقالات وفصولاً فى الكتب حول قضايا النوع الاجتماعى والتنمية.

إيبو سين: باحث وأستاذ فى قسم علم الاجتماع بداكار، جامعة شيخ أنتاتيوب، وجاستون بيرجر دى سانت لويس فى السنغال، وحاصل على دكتوراه فى علم الاجتماع من جامعة لوميرى (ليون تو)، فرنسا. درس علم الاجتماعى الحضرى، والاجتماع السياسى، واجتماع التنمية، واجتماع القطاع غير الرسمى، واجتماع حركة الجمعيات،

ومناهج بحث العلوم الاجتماعية، ومشروعات التقييم، ونظريات علم الاجتماع. وتتركز أعماله على القطاع غير الرسمى التجارى فى السنغال، والتنمية والديموجرافيا التاريخية، ويهتم الآن بالنوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والتنمية.

أوليف سيفنا: حاصلة على درجة البكالوريوس فى الاتصالات وتنمية المجتمعات المحلية من جامعة دايستار، نيروبى، كينيا. باحث مساعد فى مركز ريسيرشويب. وتعمل حاليًا فى الإدراة بجامعة جومو كينياتا للزراعة والتكنولوجيا. وتستعد للحصول على درجة الماجستير فى إدارة الأعمال.

أمينة تافنوت: تخرجت فى مدرسة علوم المعلومات فى الرباط، بالمغرب، حاصلة على ماجستير فى علوم المعلومات. عملت فى مركز الوثائق القومى National Documentation Centre التابع لوزارة التخطيط. وتدير الآن مشروع مع هيئة التنمية الاجتماعية Social Development Agency. عضو فى الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب Association Démocratique des Femmes du Maroc (ADFM)، ومسئولة عن العلاقات العامة فى الشبكة الأفريقية للمراكز والمكاتب القانونية للنساء المتحدثات بالفرنسية Réseau Africain des Centres et Cliniques Juridiques des Femmes dans l'Espace Francophone.

ورأست أمينة وأدارت مركز نجمة للمعلومات والمساعدة القانونية للنساء الناجيات من العنف Nejma Centre for Informa tion and Legal Assistance for Women Survivors of Violence، وشغلت منصب المنسق الوطنى للشبكة العامة للمراكز القانونية من أجل النساء الناجيات من العنف National Network of Legal Centres for Women Survivors of Violence (ANARUZ)، ومنسقة مشروع ربط المعلومات حول النوع الاجتماعى فى بلاد المغرب الشرقية. Mashreq Maghreb Gender Linking Information Project (Mac Mag GLIP)، وكانت عضوة فى اللجنة التحضيرية والتنظيمية لمنتدى المنظمات غير الحكومية لتقييم تطبيق وثيقة خطة عمل بكين ٢٠٠٤/٢٠٠٥.

إليس تشندا: حاصلة على درجة الماجستير في العلوم الإدارية، وتستعد الآن للحصول على دكتوراه حول ريادة الأعمال من جامعة لويس باستور في ستراسبوج بفرنسا. تدرس بمعهد جامعة دوالا للتكنولوجيا (الكاميرون). إليس مسئولة الدراسات في جمعية دوالا لدعم منظمات الأعمال Douala's Association for the Support of Women Entrepreneurs (ASAFE). وأجرت عدة دراسات للجمعية، سواء داخليًا أم مع السلطات العامة في الكاميرون.

عاطفة تيميجردين: متخصصة أساسًا في علم الاجتماع، درست الفلسفة في المدارس الثانوية في الرباط، قبل الالتحاق بلجنة حقوق الإنسان والمواطنة، التابعة لوزارة التعليم الوطني. عضوة في الجمعية الديمقراطية للنساء المغرب، ومنسقة في الشبكة العامة للنساء ضحايا العنف. وكانت عضوة أيضًا في هيئة نقابة معلمي الفلسفة بالمغرب من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٧. شاركت في أنشطة عديدة على المستوى الوطني والعالمي، حول قضايا مرتبطة بالعنف على أساس النوع الاجتماعي، والمساواة النوعية، وحقوق الإنسان والقيادة.

مامادو بالا تراوري: باحث ومحاضر في جامعة جاستون بيرجر دي سانت لويس (السنغال) Gaston Berger de Saint Louis University. يركز عمله الحالي على الأنثروبولوجيا الاجتماعية للتنمية والتغير الاجتماعي. محرر في كراسات جماعة البحوث متعددة التخصصات لدعم التخطيط الإقليمي والتنمية المحلية Cahiers of the Interdisciplinary Research Group for Support to Regional Planning and Local Development (GIRARDEL)، ورئيس تحرير مجلة Afrique, Sociétés, Recherche.

أليس وانجيرا مونيوا: شاركت في التأسيس والدعوة لشبكة العمل من أجل تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في كينيا Kenya ICT Action Network (KICTANet)، وقامت بدور منسقتها العامة. مفوضة لجنة الاتصالات في كينيا Communications Commission of Kenya (CCK)، وعضوة مجلس إدارة شبكة المعلومات الكينية Kenya Information Network (KENIC). وتهتم بمجال البحوث السياسة وتنظيم معلومات الاتصالات.

جيزيل يتأمبين: باحثة فى الاقتصاد من خلال التدريب، مستشارة معروفة لها خبرة دولية رفيعة المستوى، فى مسائل ريادة أعمال مشروعات التنمية، وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والنوع الاجتماعى. مؤسسة ورئيسة جمعية دعم النساء رائدات الأعمال Associ ation for the Support of Women Entrepreneurs (ASAFE)، وهى مشروع غير هادف للربح. وكانت أيضا نائب الرئيس فى مجلس إدارة المبادرة الإلكترونية للمهاجرين فى الخارج Diaspora Digital Initiative (UNIFEM).. مدافعة متحمسة عن حقوق الأشخاص المحرومين، وخاصة النساء والشباب، وينصب نشاطها أيضًا على تحسين الخدمات المعيشية للمحطين بها، من خلال البحث عن فرص الوصول إلى موارد منتجة وخدمات تقنية (تمويل بديل، تدريب، ووظائف تضيف قيمة كبيرة... إلى آخره). أنشأت مبادرة كرة القدم فى الشارع فى الكاميرون عام ٢٠٠٤، وصنف فريقها فى الترتيب السادس من بين ٤٨ دولة تم تمثيلها فى ٢٠٠٦ فى كأس العالم للمشردين فى كيب تاون، بجنوب أفريقيا.

المحررتان في سطور :

إينيكى باسكنز

باحثة فى الأنثروبولوجيا الثقافية، ومهتمة بمناهج البحث وتمكين النساء، وتهتم بصفة خاصة بالتنوع الثقافى والتفرد الإنسانى لكل شخص. وهى تخرجت فى جامعة ليدن فى هولندا.

عاشت فى غانا والهند والبرازيل. ثم واصلت مسيرتها حتى جنوب أفريقيا عام ١٩٩٠، وأسست عام ١٩٩٦ شركتها "بحوث من أجل المستقبل". ومنذ ذلك الحين، استقلت بإجراء بحوثها على المستوى الدولى، باعتبارها مستشارة فى عمليات تيسير الأنشطة فى مجال النوع الاجتماعى(*). وركزت فى أبحاثها على المناهج التحررية التى تُبصر بعالم الخب المستدام والعادل، واهتمت فى أسلوب التدريب الذى تبنته بالبحوث التى تتعرف على موهبة كل مشارك، كما ركز عملها فى مجال تيسير الأنشطة، وعلى الوعى بالنوع الاجتماعى والتعاون الحقيقى. وتقود باسكنز الآن شبكة بحوث النوع الاجتماعى فى أفريقيا حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التمكين - جريس(**)

(*) بسبب التكرار الكثيف لعبارة النوع الاجتماعى "gender" فى كتاب حدد النوع الاجتماعى مكونًا رئيسيًا فى موضوعه، ولصعوبة النسب إلى اسم مركب فى اللغة العربية، أو استخدامه كوصف، أو غير ذلك من الصيغ، فكرنا أن استخدام الاسم مركبا بكثرة سيضعف النص ويجعله مفككًا، مما يرهق القارئ فى الوصول إلى الأفكار الأهم، ولذلك أشرنا إلى كلمة "gender" فى بعض الأحيان بكلمة النوع فقط. وننوه بأننا نعنى بها فى هذا الكتاب النوع الاجتماعى (المترجمة).

(**) سيتم التعريف، فى موقع لاحق على نحو أكثر تفصيلاً، بشبكة بحوث النوع الاجتماعى فى أفريقيا حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التمكين (GRACE). وننوه إلى أننا سوف نشير إليها فيما يلى بالحروف العربية على هذا النحو "جريس" على سبيل الاختصار (المترجمة).

بـ(GRACE- Gender Research in Africa into ITCs for Empowerment). وتضـم الشبكة فريق عمل من ثمانية وعشرين باحثًا مقيمين فى تسع عشرة دولة فى أفريقيا والشـرق الأوسط، وتشـارك فى بحـوث النوع الاجـتمـاعى حـول تكنولوجـيا المعلومـات والاتصالات من أجل تمكين المرأة. وكما تدرس باسكنز أيضًا فى مدرسة رامثا للتنوير فى يلم، واشنطن، الولايات المتحـدة الأمـريكية. وقد أزكت لديها هذه الرحلة العلمـيـة، شغفًا باحتضان المجهول فى كل جوانب حياتها.

آن ويـب

منسـقة البـحـوث فى شـبكة "جريس". وتخص بتركيزها أســاسًا مناهج بحـوث العمل التشاركى، فى البحوث النسوية التى تركز على البحث الكيفى. وعملت مع مجتمعات محلية وفرق بحثية خلال الخمسة عشر عامًا الماضية فى سعيها للحد من مظاهر عدم المساواة. وعملت فى التدريب على علم الاجتماع وتعليم الكبار ودراسات النوع الاجتماعى فى تورنتو (معـهد أونتاريو لدراسـات التعليم) ولاهاى (مـعهد الدراسات الاجتمـاعية). وقد تضـمن عملها بالتـدريس احتكاكًا بأشـخـاص من كل مشـارب الحياة والأمـاكن، بصورة رسمية أو غير رسمية، فى كندا وأوربا وأفريقيا، وكان فى ذلك إثراء متواصل لها. وتقيم ويب الآن فى كيبيك، بكندا.

المترجمة فى سطور :

عزة خليل

باحثة ومترجمة. عملت فى مركز البحوث العربية والأفريقية من عام ١٩٨٩ حتى ٢٠٠٩. وعلمت مترجمة فى جريدة الشروق من عام ٢٠٠٩ حتى ٢٠١٣. تهتم بالبحوث حول الحركات النسائية والحركات الاجتماعية والشعبية والسياسية، والدراسات الأفريقية. ولها عدد من البحوث المنشورة والكتب المترجمة، كما قامت بالترجمة فى بعض الدوريات والنشرات غير الدورية. وقامت بتحرير بعض الكتب.

من الكتب التى ترجمتها؛ نظم العمل واللبرلة. إعادة هيكلة العلاقات بين الدولة والمجتمع فى أفريقيا، تحرير ب. بيكمان، القاهرة، دار المحروسة للنشر (٢٠٠٧). وهذا العالم لمن؟ زيف الإسلاموفوبيا. تأليف شمس إسماعيل حسن، الدار العربية للعلوم (٢٠١٠). شاركت فى ترجمة كتاب الحركات الاجتماعية فى أفريقيا مع مجموعة مترجمين، تحرير حلمى شعراوى، المركز القومى للترجمة (٢٠١١). النساء وإعادة خلق السياسة فى الجنوب الأفريقى، جيسلا جيسلر، المركز القومى للترجمة (٢٠١٤). أفريقيا النيوليبرالية. نتائج هندسة العالم اجتماعيًا، جراهام هاريسون، المركز القومى للترجمة. (تحت الطبع).

التصحيح اللغوى: وجيه فاروق
الإشـراف الفنـى: حسـن كـامل